مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي بك

مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثامن عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – مُحَمَّدُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عِيسَى ﴾

محمد بن أزهر الأخباري

أَحَدُ الأَخْبَارِيِّينَ المَشْهُورِينَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ: مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ. وَكَانَ قَدْ سَمِعَ مِنَ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ وَغَيْرِهِ، وَلَهُ مِنَ الكُتُبِ: كِتَابُ التَّارِيخِ، مِنْ جِيَادِ الكُتُبِ.

﴿ ٢ – مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ ﴾

محمد بن إسحاق بن يسار

صَاحِبُ السِّيرَةِ كُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ، وَيَسَارٌ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ (١)، وَهُوَ أَوَّلُ سَبْيٍ دَخَلَ المَدِينَةَ مِنَ العِرَاقِ. قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: وَمُوسَى بْنُ يَسَارٍ أَخُو إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَمُّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ رَاوِيَةٌ أَيْضاً عَلَّامَةٌ. مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ سَنَةَ خَمْسِينَ أَوْ إِحْدَى أَوِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ. وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الخَيْزُرَانِ عِنْدَ قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ.

قَالَ المَرْزُبَانِيُّ: وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ مَغَازِيَ (٢) رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَلَّفَهَا، وَكَانَ يَرْوِي عَنْ عَاصِمِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَيَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنِ

---

(١) بلدة قرب الأنبار (٢) أي غزوات ومناقب الغزاة، مفرده مغزى: بمعنى الغزو وموضعه وزمانه

شِهَابٍ وَالْأَعْمَشِ، وَيَرْوِي عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ امْرَأَةِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ هِشَامًا فَقَالَ : هُوَ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى امْرَأَتِي ؟ كَأَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَخَرَجَ عَنِ الْمَدِينَةِ قَدِيمًا فَلَمْ يَرْوِ عَنْهُ مِنْهُمْ(١) أَحَدٌ غَيْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ. وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ مَعَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِالْجَزِيرَةِ، وَكَانَ قَصَدَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ بِالْحِيرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَغَازِي فَسَمِعَ مِنْهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ لِذَلِكَ السَّبَبِ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ حِينَ كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَتَى الرَّيَّ فَسَمِعَ مِنْهُ أَهْلُهَا فَرُوَاتُهُ مِنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ أَكْثَرُ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَأَتَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ كَتَبَ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَضْعِفُهُ ، وَكَانَ لَهُ أَخَوَانِ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ ابْنَا إِسْحَاقَ ، وَقَدْ رَوَيَا الْحَدِيثَ .

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ غَسَّانَ الْغَلَابِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ يَحْيَي بْنَ مَعِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ فَقَالَ : قَالَ عَاصِمُ ابْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: لَا يَزَالُ فِي النَّاسِ عِلْمٌ مَا عَاشَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ. قَالَ يَحْيَي : وَابْنُ إِسْحَاقَ يَسْمَعُ مِنْ عَاصِمٍ فَكَانَ يُقَالُ(٢) :

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى عَلِيٍّ الْمَدِينِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَي بْنَ

---

(١) يعنى من أهل المدينة . (٢) يظهر أن شيئاً قد سقط .

سَعيدٍ القطَّانَ يقولُ : كانَ مُحمَّدُ بنُ إسحاقَ والحسنُ بنُ ضمرةَ وإبراهيمُ بنُ محمّدٍ كلُّ هؤلاءِ يتشيعونَ ويقدِّمونَ عليًّا على عثمانَ .

وقالَ الشاذكانِي (١) : كانَ محمّدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ يتشيّعُ، وكانَ قدريًّا . وقالَ أحمدُ بنُ يونسَ : أصحابُ المغازي يتشيعونَ كابنِ إسحاقَ وأبي معشرٍ ويحيَى بنِ سعيدٍ الأمويِّ وغيرِهِمْ . وأصحابُ التفسيرِ السُّديُّ والكلبيُّ وغيرُهُما ، وكانَ لَهُ انقطاعٌ إلَى عبدِ اللهِ بنِ حسنِ بنِ حسنٍ، وكانَ يأتيهِ بالشيءِ فيقولُ لهُ : أثبتْ هذا فِي علمِكَ فيثبتُهُ ويرْويهِ عنهُ .

وحدّثَ فيما أسندَهُ إلَى الواقديِّ قالَ : كانَ محمّدُ بنُ إسحاقَ يجلسُ قريبًا منَ النساءِ في مؤخّرِ المسجدِ فيُروَى عنهُ أنّهُ كانَ يسامرُ النساءَ ، فرُفِعَ إلَى هشامٍ وهُوَ أميرُ المدينةِ وكانتْ لهُ شعرةٌ حسنةٌ فرقّقَ رأسهُ وضربَهُ أسواطًا ونهاهُ عنِ الجلوسِ هنالكَ وكانَ حسنَ الوجهِ.

وحدّثَ عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ قالَ : كنتُ عندَ مالكِ بنِ أنسٍ فقالَ لهُ رجلٌ : إنّ محمّدَ بنَ إسحاقَ يقولُ : اعرِضوا علَى علمَ مالكِ بنِ أنسٍ فإنِّي أنا بيطارُهُ (٢) . فقالَ مالكٌ : انظروا

(١) فى الأصل : « الشاذكونى » تحريف (٢) البيطار: الذى يعالج الدابة ويسمر نعالها ، وصناعته البيطرة ، ويقال : فلان عالم بيطار : أى خبير

إِلَى دَجَّالٍ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ يَقُولُ : اعْرِضُوا عَلَىَّ عِلْمَ مَالِكٍ .
قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ : وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا جَمَعَ الدَّجَّالَ قَبْلَهُ .

وَحَدَّثَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّهْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حَلْقَتِهِ فَأَغْفَى (١) ثُمَّ انْتَبَهَ فَقَالَ : رَأَيْتُ حِمَاراً اقْتِيدَ بِحَبْلٍ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى أَتَتْهُ رُسُلُ الْوَالِي فَاقْتَادُوهُ بِحَبْلٍ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْمَسْجِدِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَانَتْ تُعْمَلُ لَهُ الْأَشْعَارُ فَيَضَعُهَا فِي كُتُبِ الْمَغَازِي فَصَارَ بِهَا فَضِيحَةً عِنْدَ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ ، وَأَخْطَأَ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّسَبِ الَّذِي أَوْرَدَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَكَانَ يَحْمِلُ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَيُسَمِّيهِمْ فِي كُتُبِهِ أَهْلَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ يُضَعِّفُونَهُ وَيَتَّهِمُونَهُ .
وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْخُلَفَاءِ رَوَاهُ عَنْهُ الْأُمَوِيُّ ، كِتَابُ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي ، كِتَابُ الْمُبْتَدَإِ رَوَاهُ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ النُّفَيْلِيُّ ، وَمَاتَ النُّفَيْلِيُّ بِحَرَّانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

﴿ ٣ — مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ ﴾

قَالَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ : مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ محمد بن إسحاق الصيمرى

(١) أى نام نومة خفيفة

أَبِي الْعَنْبَسِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ مَاهَانَ أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ الشَّاعِرُ أَحَدُ الْأُدَبَاءِ الْمُلَحَاءِ، خَبِيثُ اللِّسَانِ هَجَّاءٌ، هَجَاهُ أَكْثَرُ شُعَرَاءِ زَمَانِهِ وَقَدِمَ بَغْدَادَ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَحُمِلَ إِلَى الْكُوفَةِ فَدُفِنَ بِهَا وَنَادَمَ الْمُتَوَكِّلَ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَهْجُو أَحْمَدَ بْنَ الْمُدَبِّرِ:

أَسَلُ (١) الَّذِي عَطَفَ الْمَوَا

كِبَ وَالْمَرَاكِبَ (٢) نَحْوَ بَابِكْ

وَأَرَاكَ نَفْسَكَ مَالِكاً مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي حِسَابِكْ

وَأَذَلَّ مَوْقِفِيَ الْعَزِيـ ـزَ عَلَى وُقُوفٍ فِي رِحَابِكْ

أَلَّا يُطِيـــلَ تَجَرُّعِي غُصَصَ الْمَنِيَّةِ مِنْ حِجَابِكْ

وَهُوَ الْقَائِلُ:

كَمْ مَرِيضٍ قَدْ عَاشَ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ

بَعْدَ مَوْتِ الطَّبِيبِ وَالْعُوَّادِ (٣)

قَدْ يُصَادُ الْقَطَا فَيَنْجُو سَلِيماً وَيَحِلُّ الْقَضَاءُ بِالصَّيَّادِ

وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فِي الْفِهْرِسْتِ فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ مِنْ أَهْلِ الْفُكَاهَاتِ

---

(١) أسل: أصله أسأل، من السؤال والدعاء. (٢) سقطت هنا كلمة مثل: «والمراكب» أو على هذا الوزن. (٣) يريد أنه عاش بعد أن يئس منه وعاش مع أن طبيبه وعواده ماتوا وأنت عليم بأن تركيب البيت فى الشطر الثانى ليس بذاك «عبد الخالق»

وَأَصْلُهُ مِنَ الْكُوفَةِ وَكَانَ قَاضِي الصَّيْمَرَةِ، وَكَانَ مَعَ اسْتِعْمَالِهِ لِلْهَزْلِ شَرِيفاً عَارِفاً بِالنُّجُومِ، وَلَهُ فِيهِ كِتَابٌ يَمْدَحُهُ الْمُنَجِّمُونَ، وَأَدْخَلَهُ الْمُتَوَكِّلُ فِي نُدَمَائِهِ وَخَصَّ بِهِ، وَلَهُ مَعَ الْبُحْتُرِيِّ خَبَرٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ، وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ وَدَخَلَ فِي نُدَمَائِهِ، وَلَهُ يَهْجُو طَبَّاخَ الْمُعْتَمِدِ:

يَا طِيبَ أَيَّامِي بِمَعْشُوقِ وَنَحْنُ فِي بُعْدٍ مِنَ السُّوقِ
إِذَا طَلَبْتُ الْخُبْزَ مِنْ فَارِسٍ يَنْفُخُ لِي صَالِحُ بِالْبُوقِ

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ تَأْخِيرِ الْمَعْرِفَةِ، كِتَابُ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْمُنَجِّمِينَ، كِتَابُ الطَّبَلْبَنْبِ [١]، كِتَابُ كُرْزَابَلَا [٢]، كِتَابُ طِوَالِ اللِّحَى، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْمُتَطَبِّبِينَ، كِتَابُ عَنْقَاءِ مُغْرِبٍ، كِتَابُ الرَّاحَةِ وَمَنَافِعِ الْقِيَادَةِ، كِتَابُ فَضَائِلِ حَلْقِ الرَّأْسِ، كِتَابُ هَنْدَسَةِ الْعَقْلِ، كِتَابُ الْأَحَادِيثِ الشَّاذَّةِ، كِتَابُ فَضَائِلِ الزَّوِّ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مِيخَائِيلَ الصَّيْدَنَانِيِّ فِي الْكِيمِيَاءِ، كِتَابُ عَجَائِبِ الْبَحْرِ، كِتَابُ مَسَاوِي الْعَوَامِّ وَأَخْبَارِ السَّفَلَةِ وَالْأَغْتَامِ، كِتَابُ فَضْلِ السُّلَّمِ عَلَى الدَّرَجَةِ، كِتَابُ الْفَاسِ بْنِ الْحَائِكِ، كِتَابُ الدَّوْلَتَيْنِ فِي تَفْضِيلِ الْخِلَافَتَيْنِ، كِتَابُ تَذْكِيَةِ الْعُقُولِ

(١) فى الفهرست : « الطنبلنب » وعند طابعه : أنه الطبل الصغير

(٢) فى الفهرست : « كورابلاه »

كِتَابُ السَّحَّاقَاتِ وَالْبَغَّائِينَ ، كِتَابُ الْخَضْخَضَةِ فِي جَلْدِ عُمَيْرَةَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي فِرْعَوْنَ كُنْدُرِ بْنِ حَجْدَرٍ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الرُّؤْيَا ، كِتَابُ الثُّقَلَاءِ ، كِتَابُ نَوَادِرِ الْقُوَّادِ ، كِتَابُ دَعْوَةِ الْعَامَّةِ ، كِتَابُ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، كِتَابُ كُنَى الدَّوَابِّ ، كِتَابُ أَحْكَامِ النُّجُومِ ، كِتَابُ الْمَدْخَلِ فِي صِنَاعَةِ التَّنْجِيمِ ، كِتَابُ صَاحِبِ الزَّمَانِ ، كِتَابُ الْخَلْقَتَيْنِ ، كِتَابُ اسْتِغَاثَةِ الْجَمَلِ عَلَى رَبِّهِ ، كِتَابُ فَضْلِ السُّرْمِ عَلَى الْفَمِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ : قِوَامُ أَمْرِ الْإِنْسَانِ بِتِسْعِ دَالَاتٍ : دَارٍ وَدِينَارٍ وَدِرْهَمٍ وَدَقِيقٍ وَدَابَّةٍ وَدِبْسٍ (١) وَدَنٍّ (٢) وَدَسَمٍ وَدَعْوَةٍ .

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الْعَنْبَسِ وَكَانَ قَدِمَ إِلَيْنَا بَغْدَادَ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى وَكَانَ مُتَأَدِّبًا قَالَ : عَرَضَتْ لِأَبِي حَاجَةٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ وَزِيرِ الْمُعْتَمِدِ فِي أَقْطَاعٍ لَهُ نَخَافُ مُعَارَضَتَهُ وَذَلِكَ أَيَّامَ تَقَلُّدِهِ دِيوَانَ الضِّيَاعِ فَقَالَ :

زَارَنِي بَدْرٌ عَلَى غُصُنٍ ... قَابِلًا وَصْلِي يُقَبِّلُنِي
خِلْتُهُ فِي النَّوْمِ مِنْ فَرَحِي ... قَدْ أَعَادَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي
إِنَّ لِي عَنْ مِثْلِهِ شُغُلًا ... بِمَقَالِ الشِّعْرِ فِي الْحَسَنِ

(١) الدبس : عسل التمر ونحوه وعسل النحل (٢) الدن : الراقود العظيم والدسم : الودك : من لحم أو شحم . والدعوة : الدعاء إلى الطعام : أي الضيافة والوليمة.

وَأَبِيهِ مَخْلَدٍ فَبِهِ قَدْ لَبِسْنَا سَابِغَ الْمِنَنِ
كَاتِبٌ قَلَّ النَّظِيرُ لَهُ فَاضِلٌ فِي الْعِلْمِ وَاللَّسَنِ

قَالَ: فَأَمْضَى لَهُ كُلَّ مَا أَرَادَ وَلَمْ يُعَارِضْهُ فِي شَيْءٍ.

وَأَنْشَدَ جَحْظَةُ لِأَبِي الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ:

لَئِنْ كُنْتَ عَنْ أَرْضٍ تُقِلُّكَ نَازِحاً
فَلَمْ يَحْكِنِي غَيْرُ السَّلِيمِ الْمُسَهَّدِ
وَعَلِمْتُ مُذْ جَرَّعْتَنِي صَابَ بَيْنِكُمْ
غَرِيبَ الْبُكَا عَيْنَ الْحَمَامِ الْمُغَرِّدِ

وَعَنْ أَبِي الْفَرَجِ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ وَالْبُحْتُرِيُّ يُنْشِدُهُ:

عَنْ أَيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمْ وَبِأَيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمْ

حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ:

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْـ مُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمْ
وَالْمُجْتَدَى بْنِ الْمُجْتَدَى وَالْمُنْعِمِ بْنِ الْمُنْتَقِمْ
إِسْلَمْ لِدِينِ مُحَمَّدٍ وَإِذَا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمْ

قَالَ: وَكَانَ الْبُحْتُرِيُّ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِنْشَاداً، يَتَشَدَّقُ وَيَتَزَاوَرُ فِي مِشْيَتِهِ (١) مَرَّةً جَانِباً وَمَرَّةً الْقَهْقَرَى، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ

(١) أي ينحرف ويعدل

مَرَّةً وَمَنْكِبَهُ أُخْرَى، وَيُشِيرُ بِكُمِّهِ وَيَقُولُ: أَحْسَنْتُ وَاللهِ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْمُسْتَمِعِينَ فَيَقُولُ: مَا لَكُمْ لَا تَقُولُونَ: أَحْسَنْتَ؟ هَذَا وَاللهِ مَا لَا يُحْسِنُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ، فَضَجِرَ الْمُتَوَكِّلُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُ يَا صَيْمَرِيُّ مَا يَقُولُ؟ فَقُلْتُ بَلَى يَا سَيِّدِي، فَمُرْ فِيهِ بِمَا أَحْبَبْتَ فَقَالَ: بِحَيَاتِي اهْجُهُ عَلَى هَذَا الرَّوِيِّ الَّذِي أَنْشَدَنِيهِ.. فَقُلْتُ:

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحُرَمْ (١) … وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمْ
يَا بُحْتُرِيُّ حَذَارِ وَيْـ … ـلَكَ مِنْ قُضَاقِضَةٍ (٢) ضُغُمْ
فَلَقَدْ أَسَلْتَ لِوَالِدَيْـ … ـكَ مِنَ الْهِجَا سَيْلَ (٣) الْعَرِمْ
وَاللهِ حِلْفَةَ صَادِقٍ … وَبِقَبْرِ أَحْمَدَ وَالْحَرَمْ
وَبِحَقِّ جَعْفَرٍ الْإِمَا … مِ ابْنِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِمْ
لَأُصَيِّرَنَّكَ شُهْرَةً … بَيْنَ الْمَسِيلِ إِلَى الْعَلَمْ
فَبِأَيِّ عِرْضٍ تَعْتَصِمْ … وَبِهَتْكِهِ جَفَّ الْقَلَمْ؟
حَيِّ الطُّلُولَ بِذِي سَلَمْ … حَيْثُ الْأَرَاكَةُ وَالْخِيَمْ
يَابْنَ الثَّقِيلَةِ وَالثَّقِيـ … ـلِ عَلَى قُلُوبِ ذَوِي النِّعَمْ
وَعَلَى الصَّغِيرِ مَعَ الْكَبِـ … ـيرِ مَعَ الْمَوَالِي وَالْحَشَمْ
فِي أَيِّ سَلْحٍ تَلْتَطِمْ (٤) … وَبِأَيِّ كَفٍّ تَلْتَقِمْ؟

(١) الحرم: ما لا يحل انتهاكه، جمع حرمة (٢) هما اسمان للأسد
(٣) سيل العرم: الذى لا يطاق دفعه، أو العرم: واد بعينه نزل فيه السيل فأضيف إليه
(٤) في الأغاني: «ترتطم»: أي تحتبس ولا تقدر على الخروج.

يَابْنَ الْمُبَاحَةِ لِلْوَرَى أَمِنَ الْعَفَافِ أَوِ التُّهَمْ ؟
إِذْ رَحْلُ أُخْتِكَ لِلعجَمْ وَفِرَاشُ أُمِّكَ فِي الظُّلَمْ
وَبِبَابِ دَارِكَ حَانَةٌ فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمْ

قَالَ : وَخَرَجَ الْبُحْتُرِيُّ مُغْضَباً يَعْدُو وَجَعلتُ أَصِيحُ بِهِ خَلْفَهُ :

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحِرَمْ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمْ

وَالْمُتَوَكِّلُ يَضْحَكُ وَيُصَفِّقُ حَتَّى غَابَ عَنْهُ . هَذِهِ رِوَايَةُ جَحْظَةَ ، وَالَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ أَنَّ أَبَا الْعَنْبَسِ كَانَ وَاقِفاً خَلْفَ السَّرِيرِ وَالْبُحْتُرِيُّ يُنْشِدُ قَوْلَهُ :

عَنْ أَيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمْ وَبِأَيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمْ ؟

فَقَالَ أَبُو الْعَنْبَسِ ارْتِجَالًا

فِي أَيِّ سَلْحٍ تَرْتَطِمْ وَبِأَيِّ كَفٍّ تَلْتَقِمْ ؟
أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحِرَمْ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمْ

فَغَضِبَ الْبُحْتُرِيُّ وَخَرَجَ وَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى أَكْثَرَ ، وَأَمَرَ لِأَبِي الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

﴿ ٤ — مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَسْبَاطَ الْكِنْدِيُّ * ﴾

محمد بن إسحاق الكندى

أَبُو النَّضْرِ الْمِصْرِيُّ ، ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ ، قَالَ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له فى بغية الوعاة

الزَّبِيدِىُّ : أَخَذَ عَنِ الزَّجَّاجِ . وَلَهُ كِتَابٌ فِى النَّحْوِ سَمَّاهُ كِتَابَ الْعُيُونِ وَالنُّكَتِ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى أَخْذِ الاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ ، وَتَلا ذَلِكَ بِذِكْرِ شَىْءٍ مِنْ أَبْوَابِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا . وَقَالَ ابْنُ مِسْعَرٍ : نَزَلَ أَبُو النَّضْرِ أَنطَاكِيَةَ مُدَّةً ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ ، وَلَهُ كِتَابَانِ : كِتَابُ التَّلْقِينِ ، كِتَابُ الْمُوقِظِ . وَرَأَيْتُ أَنَا لَهُ كِتَابَ الْمُغْنِى فِى النَّحْوِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ فَقَالَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِى الْحَسَنِ بْنِ الْخَطِيبِ : حَدَّثَنَا الْبَبَّغَا قَالَ : كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَنَا فِى خِدْمَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالتَّقَدُّمِ فِى النَّحْوِ وَعِلْمِ الْمَنْطِقِ مِمَّنْ دَرَسَ عَلَى الزَّجَّاجِ وَأَخَذَ عَنْهُ يُكْنَى بِأَبِى النَّضْرِ وَذَكَرَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ ، وَحَكَى أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الشِّعْرِ ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّ الْأَبْيَاتَ الَّتِى يَنْسُبُهَا قَوْمٌ إِلَى ابْنِ الْمُغِيرَةِ وَآخَرُونَ إِلَى أَبِى نَضْلَةَ « قُلْتُ : أَنَا وَجَدْتُهَا أَنَا فِى دِيوَانِ أَبِى الْقَاسِمِ التَّنُوخِىِّ مَعْزُوَّةً إِلَى أَبِى الْقَاسِمِ وَتُرْوَى لِغَيْرِهِمْ أَيْضًا » أَنَّهَا لِأَبِى النَّضْرِ مِنْ قَدِيمِ شِعْرِهِ ، وَأَنْشَدَهَا لِنَفْسِهِ وَهِىَ :

وَكَأْسٍ مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٍ تَضَمَّنَهَا قَدَحٌ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارِ
فَهَذَا النِّهَايَةُ فِى الِابْيِضَاضِ وَهَذَا النِّهَايَةُ فِى الِاحْمِرَارِ

وَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُوجَدَا لِفَرْطِ التَّنَافِي وَفَرْطِ النِّفَارِ
وَلَكِنْ تَجَاوَرَ سَطْحَاهُمَا الْ بَسِيطَانِ فَاجْتَمَعَا بِالْجِوَارِ
كَأَنَّ الْمُدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا طَافَ لِلسَّقْيِ أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ لَهُ فَرْدُ كُمٍّ مِنَ الْجُلَّنَارِ

وَقَدْ أَوْرَدَ التَّنُوخِيُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي كِتَابِ النِّشْوَارِ وَحَكَى أَنَّ أَبَا النَّضْرِ كَانَ عَالِمًا بِالْهَنْدَسَةِ قَيِّمًا بِعُلُومِ الْأَوَائِلِ.

وَلِأَبِي النَّضْرِ أَيْضًا:

هَاتِ اسْقِنِي بِالْكَبِيرِ وَانْتَخِبِ نَافِيَةً لِلْهُمُومِ وَالْكُرَبِ
فَلَوْ تَرَانِي إِذَا انْتَشَيْتُ وَقَدْ حَرَّكْتُ كَفِّي بِهَا مِنَ الطَّرَبِ
خِلْتَنِي لَابِسًا مُشَهَّرَةً مِنْ لَازَوَرْدٍ يَشِفُّ مِنْ ذَهَبِ

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ: أَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ بْنُ جَعْفَرٍ الْخَلَّالُ لِأَبِي النَّضْرِ الْمِصْرِيِّ النَّحْوِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ يَذْكُرُ فِيهَا رَجُلًا مَدَحَهُ قَالَ: وَكَانَ مُتَّسِعًا فِي الشِّعْرِ الْجَيِّدِ الْمُسْتَحْسَنِ:

وَرَأَيْتُ أَحْمَدَنَا وَسَيِّدَنَا مُتَصَدِّرًا لِلْوِرْدِ وَالصَّدَرِ
خِلْتُ النُّجُومَ خُلِقْنَ دَائِرَةً مَوْصُولَةَ الطَّرَفَيْنِ بِالْقَمَرِ

٥ — مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّابُسْتِيُّ (١)

محمد بن إسحاق الشابستي

صَاحِبُ خِزَانَةِ كُتُبِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُعِزِّ بِمِصْرَ وَالْمُتَوَلِّي

(١) نسبة إلى شابسة: قرية من قرى مرو. وكانت في الأصل: «الشابشتي» تحريف

عَرَضَهَا، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ. مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ بْنِ الْعَزِيزِ، وَلَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفَ مِنْهَا: كِتَابُ الدِّيَارَاتِ، كِتَابُ الْيُسْرِ بَعْدَ الْعُسْرِ، كِتَابُ مَرَاتِبِ الْفُقَهَاءِ، كِتَابُ التَّوْقِيتِ وَالتَّخْوِيفِ، كِتَابُ مُرَاسَلَاتٍ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ، كِتَابٌ فِي الزُّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ فَرَأَيْتُ أَنَا كِتَابَ الدِّيَارَاتِ مِنْ تَصْنِيفِهِ وَهُوَ مُتَرْجَمٌ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ كَمَا تَرَى. وَنَقَلَ لِي بِمِصْرَ بَعْضُ مَنِ اخْتَبَرْتُ صِحَّةَ نَقْلِهِ أَنَّهُ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ (١) وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿ ٦ – مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ ﴾

محمد بن إسحاق النديم

كُنْيَتُهُ أَبُو الْفَرَجِ، وَكُنْيَةُ أَبِيهِ أَبُو يَعْقُوبَ، مُصَنِّفُ كِتَابِ الْفِهْرِسْتِ الَّذِي جَوَّدَ فِيهِ، وَاسْتَوْعَبَ اسْتِيعَابًا يَدُلُّ عَلَى اطِّلَاعِهِ عَلَى فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ وَتَحَقُّقِهِ لِجَمِيعِ الْكُتُبِ، وَلَا أُبْعِدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ وَرَّاقًا يَبِيعُ الْكُتُبَ، وَذَكَرَ فِي مُقَدِّمَةِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّهُ صُنِّفَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: فِهْرِسْتُ الْكُتُبِ، كِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ. وَكَانَ شِيعِيًّا مُعْتَزِلِيًّا.

(١) جاء في وفيات الأعيان: أن اسم أبيه محمد

٧ – مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ دَاوُدَ *

محمد بن إسحاق الزوزني

ابْنِ حَامِدٍ أَبُو جَعْفَرٍ الْقَاضِي الزَّوْزَنِيُّ الْبَحَّاثِيُّ، ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ وَأَنَّهُ مَاتَ بِغَزْنَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَالَ: هُوَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمَعْرُوفِينَ وَالشُّعَرَاءِ الْمُفْلِقِينَ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْعَجِيبَةِ الْمُفِيدَةِ جِدًّا وَهَزْلًا، وَالْفَائِقُ أَهْلَ عَصْرِهِ ظَرْفًا وَفَضْلًا، وَالْمُتَعَصِّبُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ الْمَخْصُوصُ بِخِدْمَةِ الْبَيْتِ الْمُوَفَّقِيِّ، الْمُحْتَرَمُ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ وَالْكِبَارِ لِفَضْلِهِ مَرَّةً، وَلِلتَّوَقِّي مِنْ حُمَاةِ لِسَانِهِ (١) وَعَقَارِبِ هِجَائِهِ ثَانِيَةً. وَلَقَدْ رُزِقَ مِنَ الْهِجَاءِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ طَرِيقَةً لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا، وَمَا تَرَكَ أَحَدًا مِنَ الْكُبَرَاءِ وَالْأَئِمَّةِ وَالْفُقَهَاءِ وَسَائِرِ الْأَصْنَافِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا هَجَاهُ وَوَقَعَ فِيهِ، فَكَانَ الْكُلُّ يَتَتَرَّسُونَ بِاحْتِرَامِهِ (٢) وَإِيوَائِهِ عَنْ سِهَامِ هِجَائِهِ.

قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ: وَكَانَ صَدِيقَ وَالِدِي مِنَ الْبَائِتِينَ عِنْدَهُ فِي الْأَحَايِينِ، وَالْمُقْتَرِحِينَ عَلَيْهِ مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الطَّبَائِخِ وَالْمَطْعُومَاتِ، سَمِعْتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَحْكِي عَنْهُ أَحْوَالَهُ وَتَهَتُّكَهُ

(١) جمع حمة وهي: الحية أو إبرتها التي تلدغ بها (٢) يجعلون احترامهم ترسا

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة ج ٢

وَاشْتِغَالَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَفَاضِلِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُحْتَمَلُ عَنْهُ اتِّقَاءَ لِسَانِهِ، وَمِمَّا حَكَاهُ لِي رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا وَقَعَ بَصَرِي قَطُّ عَلَى شَخْصٍ إِلَّا تَصَوَّرَ فِي قَلْبِي هِجَاؤُهُ قَبْلَ أَنْ أُكَلِّمَهُ وَأُجَرِّبَهُ أَوْ أَخْبُرَ أَحْوَالَهُ. وَحَكَى لِي بَعْضُ مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يُفْلِتْ أَحَدٌ مِنْ هِجَائِي إِلَّا الْقَاضِي الْإِمَامُ صَاعِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ، فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ[1] فِي نَفْسِي أَنْ أَهْجُوَهُ، فَحَيْثُ تَأَمَّلْتُ فِي حُسْنِ عِبَادَتِهِ وَكَمَالِ فَضْلِهِ وَمَرْضِيِّ سِيرَتِهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَتَرَكْتُ مَا أَجَلْتُهُ فِي فِكْرِي. عَلَى أَنِّي سَمِعْتُ فِيمَا قَرَعَ سَمْعِي تَشْبِيبًا مِنْهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَفَا اللهُ عَنْهُ، وَلَقَدْ خَصَّ طَائِفَةً مِنَ الْأَكَابِرِ وَالْعُلَمَاءِ بِوَضْعِ التَّصْنِيفِ فِيهِمْ وَرَمْيِهِمْ بِمَا بَرَّأَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ، وَبَالَغَ فِي الْإِفْحَاشِ وَأَغْرَقَ فِي قَوْسِ الْإِيحَاشِ وَأَظْهَرَ النُّسُكَ[2] بَيْنَ النَّاسِ وَأَغْرَبَ فِي فُنُونِ الْهِجَاءِ، وَأَتَى بِالْعِبَارَاتِ الرَّشِيقَةِ وَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ مِنْ حَيْثُ الصَّنْعَةُ، وَإِنْ كَانَتْ عَنْ آخِرِهَا أَوْزَارًا وَآثَامًا وَكَذِبًا وَبُهْتَانًا، وَاتَّفَقَ الْأَفَاضِلُ عَلَى أَنَّهُ أَهْجَى أَهْلِ عَصْرِهِ مِنَ الْفُضَلَاءِ، وَأَفْتَقَهُمْ شَتْمًا قَبِيحًا، وَتَعْرِيضًا

---

(١) أى صورت (٢) كانت فى هذا الأصل: « وأظهر النسخ » وهذا التصحيح من الأصل الذى ننقل عنه، ولعله يريد أن الناس التزموا الجادة خوف إيذائه وهجائه

وَتَصْرِيحًا ، وَكَانَ يَسْكُنُ مَدْرَسَةَ السَّيُورِىّ بِبَاعَذْرَا (١) ، وَيَخُصُّ جَمَاعَةَ سُكَّانِهَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِى عَصْرِهِ بِالْهِجَاءِ ، وَلَهُ مَعَهُمْ تَارَاتٌ (٢) وَأَحْوَالٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا ، ثُمَّ مَعَ تَبَحُّرِهِ وَانْفِرَادِهِ بِفَنِّ الْهِجَاءِ كَانَ لَهُ شِعْرٌ فِى الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا فِى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَسَائِرِ الْمَعَانِى ، قَصَائِدُهُ الْغُرُّ فِى السَّادَةِ وَالْأَئِمَّةِ مَشْهُورَةٌ ، وَمُقَطَّعَاتُهُ فِى الْغَزَلِ مَأْثُورَةٌ ، وَكَانَ يَنْسَخُ كُتُبَ الْأَدَبِ بِخَطٍّ مَقْرُوءٍ صَحِيحٍ أَحْسَنَ النَّسْخِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ نُسْخَةً مِنْ كِتَابِ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ لِأَبِى مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِىِّ فِى خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ بِخَطِّهِ الْمَلِيحِ بِيعَتْ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا نَيْسَابُورِيَّةً وَكَانَتْ تُسَاوِى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ كَتَبَ نُسْخَةً مِنْ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِأَبِى سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِىِّ وَقَرَأَهَا عَلَى جَدِّى الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَافِرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِىِّ قِرَاءَةَ سَمَاعٍ ، وَعَلَى الْحَاكِمِ الْإِمَامِ أَبِى سَعْدِ ابْنِ دُوسْتَ قِرَاءَةَ تَصْحِيحٍ وَإِتْقَانٍ أَقْطَعُ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ نُسْخَةٌ أَبْيَنُ وَلَا أَمْلَحُ مِنْهَا ، وَهِىَ الْآنَ بِرَسْمِ خِزَانَةِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِى الْجَامِعِ الْقَدِيمِ مَوْقُوفَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ أَرَادَ صِدْقِى فِى ادِّعَائِى فَلْيُطَالِعْهُ

(١) كانت فى الأصل : « باب عزرة » وقد بحثت فى معجم البلدان عن مسمى هذا الاسم فلم أعثر إلا على ما ذكر ، ولعله محرف عنه : قرية من قرى الموصل .

(٢) أى مشاغبات وضجات

مِنْهَا ، وَلَمْ أَظْفَرْ مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ فِى الْأَحَادِيثِ بِشَىْءٍ يُمْكِنُنِى أَنْ أُودِعَهُ هٰذَا الْكِتَابَ مَعَ أَنِّى لَا أَشُكُّ فِى سَمَاعِهِ ، وَلَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ عَنْ خَالِهِ أَبِى الْحَسَنِ هَارُونَ الزَّوْزَنِىِّ عَنْ أَبِى حَاتِمِ بْنِ حِبَّانَ وَلَمْ يَقَعْ إِلَىَّ بَعْدُ ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِى بَعْضِ الْأَكَابِرِ :

يَرْتَاحُ لِلْمَجْدِ مُهْتَزًّا كَمُطَّرِدٍ
مُثَقَّفٍ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ عَسَّالِ (١)
فَمَرَّةً بَاسِمٌ عَنْ ثَغْرِ بَرْقِ حَيًا
وَتَارَةً كَاشِفٌ عَنْ نَابِ رِئْبَالِ (٢)
فَمَا أُسَامَةُ مَطْرُوراً بَرَائِنُهُ
ضَخْمُ الْجُزَارَةِ يَحْمِى خِيسَ أَشْبَالِ (٣)
يَوْماً بِأَشْجَعَ مِنْهُ حَشْوَ مَلْحَمَةٍ
وَالْحَرْبُ تَصْدَعُ أَبْطَالاً بِأَبْطَالِ
وَلَا خَضَارَةُ صَخَّاباً غَوَارِبُهُ
تَسْمُو أَوَاذِيُّهُ حَالاً عَلَى حَالِ (٤)
أَنْدَى وَأَسْمَحُ مِنْهُ إِذْ يُبَشِّرُهُ
مُبَشِّرُوهُ بِرُوَّادٍ وَنُزَّالِ

إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ أَمْثَالِهِ إِلَى تَمَامِ الْقَصِيدَةِ ، وَلَهُ :

---

(١) يقال : اطرد الأمر : تبع بعضه بعضا وجرى ، والمثقف : المقوم بالثقاف ، والعسال : الشديد الاهتزاز والاضطراب (٢) الرئبال : من أسماء الأسد (٣) مطروراً براثنه : محدة أنيابه ، والجزارة بالضم : الأطراف والعنق ، والخيس : موضع الأسد (٤) خضارة : علم للبحر ، وغواربه : أعالى موجه ، وأواذيه : أمواجه ، وعلى بمعنى بعد

وَذِي شَنَبٍ لَوْ أَنَّ جَمْرَةَ ظَلْمِهِ (١)
أُشَبِّهُهَا بِالْجَمْرِ خِفْتُ بِهِ ظُلْمَا
قَبَضْتُ عَلَيْهِ خَالِياً وَاعْتَنَقْتُهُ
فَأَوْسَعَنِي شَتْماً وَأَوْسَعْتُهُ لَثْمَا

وَمِنْ شِعْرِهِ يَصِفُ الْبَرَدَ :

مُتَنَاثِرٌ فَوْقَ الثَّرَى حَبَّاتُهُ
كَثُغُورِ مَغْسُولِ الثَّنَايَا أَشْنَبِ
بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ ذُرَى صَحَّابَةٍ
كَالدُّرِّ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُثْقَبِ

قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ : وَاقْتَصَرْتُ عَلَى هٰذَا النَّمُوذَجِ (٢) مِنْ كَلَامِهِ مَخَافَةَ الْإِمْلَالِ ، وَمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ عَلَيْهِ فَدِيوَانُ شِعْرِهِ هَزْلًا وَجِدًّا مَوْجُودٌ ، وَاللّٰهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَلَمْ أَرَ مِنْ تَصَانِيفِ الْبَحَّاثِيِّ هٰذَا شَيْئاً إِلَّا شَرْحَ دِيوَانِ الْبُحْتُرِيِّ ، وَلَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا شَيْءٌ ابْتَكَرَهُ ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ هٰذَا الدِّيوَانَ مَشْرُوحاً ، وَلَا تَعَرَّضَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا سَمِعْتُ أَحَداً قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ دِيوَانَ أَبِي عُبَادَةَ الْبُحْتُرِيِّ مَشْرُوحاً ، وَتَأَمَّلْتُهُ فَرَأَيْتُهُ قَدْ مُلِئَ عِلْماً وَحُشِيَ فَهْماً ، وَذَاكَ أَنَّ شُرُوحَ الدَّوَاوِينِ الْمَعْرُوفَةِ كَأَبِي تَمَّامٍ وَالْمُتَنَبِّي وَغَيْرِهِمَا

---

(١) أي ريقه (٢) في هذا الأصل : « الأنموذج » وهو خطأ في اللغة ، وقد سبق بحثه بتوسعة في غير هذا الموضع من الكتاب .

تَساعَدَتِ القرائِحُ عليها[١]، وتَرافَدَتِ الهِمَمُ إليها، وما أرى له فِيما أَعتمِدُهُ مِنْ شَرْحِ هذا الكتابِ عُمْدَةً إلّا أنْ يكونَ كِتابَ عبثِ الوليدِ للمعرّى، وكِتابَ الموازنةِ للآمِدِيّ لا غيرُ. وقد ذكرَ البحّاثيَّ هذا أبو منصورٍ الثعالبيُّ في تتمةِ يتيمةِ الدهرِ بما أنا ذاكرُهُ إن شاءَ اللهُ.

قالَ أبو منصورٍ: أبو جعفرٍ محمّدُ بنُ إسحاقَ البحّاثيُّ زينةُ زَوزَن، وطُرَفُ الطُّرَفِ، ورَيحانُ الرُّوحِ، يقولُ في هجاءِ لحيتِهِ الطويلةِ:

يا لحيةً قدْ علِقَتْ مِنْ عارِضي ... لا أستطيعُ لِقُبْحِها تَشبيهَا
طالَتْ فلَمْ تُفلِحْ ولَمْ تكُ لحيةٌ ... لِتطولَ إلّا والحماقةُ فِيها
إنّي لأُظهِرُ لِلبريّةِ حُبَّها ... واللهُ يَعلمُ أنّني أَقلِيها

ويقولُ في ذمِّ خالٍ على وجهِ بعضِ مَنْ يهجوهُ:

أبو طاهرٍ في الشؤمِ واللؤمِ غايةٌ ... بعيدٌ عنِ الإسلامِ والعقلِ والدِّينِ
على وجهِهِ خالٌ قريبٌ منَ أنفِهِ ... كَمِثْلِ ذُبابٍ واقعٍ فوقَ سرقينِ

وَلَهُ:

يَنِيكونَ غِزلانَ الحِسانِ ولا أرى
غزالًا منَ الغِزلانِ فَرْدًا بِساحتي

---

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل: «عليه»، وكذلك «إليها» بعد، كانت في الأصل: «إليهم»

فَمَنْ يَكُ قَدْ لَاقَى مِنَ النَّيْكِ رَاحَةً
فَفِي رَاحَتِي أُنْسِي وَرِفْقِي وَرَاحَتِي

وَلَهُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْفَقْرَ ضَرْبَةَ لَازِبٍ
وَلَمْ يَكُ لِي فِي الْكَفِّ عَقْدٌ عَلَى نَقْدِ
وَلَا لِي غُلَامٌ قَدْ يُنَاكُ وَلَمْ يَكُنْ
سَبِيلٌ إِلَى التُّرْكِ الْمُكَحَّلَةِ الْجُرْدِ
شَرَيْتُ قَبِيحاً مِنْ بَنِي الْهِنْدِ أَسْوَداً
وَنَيْكُ الْهُنُودِ السُّودِ خَيْرٌ مِنَ الْجَلْدِ

وَلَهُ أَيْضاً يَهْجُو :

فَسْوِي وَضَرْطِي وَالْخَرَا مَائِعاً . عَلَى الَّذِي مَقْلُوبُهُ فَسْوِي (١)
مَنْ خُلْقُهُ أَقْبَحُ مِنْ خَلْقِهِ وَجُحْرُهُ أَوْسَعُ مِنْ دَلْوِي

وَلَهُ :

تَعَوَّدَ هَتْكَ السِّتْرِ نِسْوَانُ سَكْبَرٍ
وَجُنَّ لِبَاسَ الْفِسْقِ مِنْ أَحْسَنِ الْكُسَا
وَطِرْنَ سُرُوراً حِينَ لُقِّبْنَ سَكْبَراً
فَسَكْبَرُ إِذْ قَلَبْتَهُ صَارَ رَبْ كُسَا

---

(١) يريد : يوسف .

وَلِلْبَحَّاثِيِّ فِي صِفَةِ دَعْوَةٍ :

سَأَلُونَا عَنْ قِرَاهُ فَاخْتَصَرْنَا فِي الْجَوَابِ
كَانَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ بَارِدًا[1] غَيْرَ الشَّرَابِ

وَمِنْ خَبِيثِ شِعْرِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَشُكْرًا عَلَى إِنْعَامِهِ الشَّامِلِ فِي كُلِّ شَيْ
إِنَّ الَّذِي لَاعَبَنِي فِي الصِّبَا
مَاتَ وَمَنْ قَدْ نِكْتُهُ بَعْدُ حَيْ

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ أَسْعَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُتْبِيِّ قَالَ : حَكَى أَبُو جَعْفَرٍ الْبَحَّاثِيُّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّيْفِيَّ كَانَ يَخْتَلِفُ مَعَنَا إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي سَعْدِ بْنِ دُوسْتَ وَكَانَ مِنْ أَنْجَبِ تَلَامِذَتِهِ نَظْمًا وَنَثْرًا ، فَاخْتُطِفَ فِي رَيْعَانِ شَبَابِهِ وَنَضَارَةِ عُمْرِهِ فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ لَيْلَةً قُلْتُ : مَا وَجَدْتُ مِنْ أَشْعَارِكَ شَيْئًا يَكُونُ لِي تَذْكِرَةً فَقَالَ : لَيْسَ لِي شِعْرٌ . فَقُلْتُ : أَلَسْتَ الْقَائِلَ ؟ :

بَاكِرْ أَبَا بَكْرٍ بِكَاسٍ مَا بَيْنَ إِبْرِيقٍ وَطَاسِ

فَقَالَ : وَأَنَا أَقُولُ :

حَلَّ الْخُطُوبُ بِسَاحَتِي لَا كُنْتِ أَيَّتُهَا الْخُطُوبُ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « بارد »

غَادَرَتْنَا فَغَدَرْتِ إِنَّ الدَّهْرَ خَدَّاعٌ خَلُوبُ
دُنْيَا تَقَضَّتْ لَمْ يَكُنْ لِي فِي أَطَايِبِهَا نَصِيبُ

قَالَ: فَانْتَبَهْتُ وَأَشْعَلْتُ السِّرَاجَ وَكَتَبْتُ عَنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ. حَكَى يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ أَنَّ الْقَاضِيَ الْبَحَّاثِيَّ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعْدِ بْنِ دُوسْتَ فَأَنْشَدَهُ:

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْـ
ـيَا فَأَصْبَحْتُ سَاكِنَ الْأَجْدَاثِ
هَلْ يَقُولَنَّ إِخْوَتِي بَعْدَ مَوْتِي رَحِمَ اللهُ ذَلِكَ الْبَحَّاثِي؟

فَلَمَّا مَاتَ الْبَحَّاثِيُّ قَالَ فِيهِ أَبُو سَعْدِ بْنُ دُوسْتَ:

يَا أَبَا جَعْفَرِ بْنَ إِسْحَاقَ إِنِّي خَانَنِي فِيكَ نَازِلُ الْأَحْدَاثِ
مَنْ هَوَى مِنْ مَصَاعِدِ الْعِزِّ قَسْرًا
يَكُ تَحْتَ الرِّجَامِ (١) فِي الْأَجْدَاثِ
فَلَكَ الْيَوْمَ مِنْ قَوَافٍ حِسَانٍ
سِرْنَ فِي الْمَدْحِ سَيْرَهَا فِي الْمَرَانِي
مَعَ كُتْبٍ جَمَعْنَ فِي كُلِّ فَنٍّ حِينَ يُرْوَيْنَ أَلْفُ بَاكٍ وَرَاثِي
قَائِلٌ كُلُّهَا بِغَيْرِ لِسَانٍ رَحِمَ اللهُ ذَلِكَ الْبَحَّاثِي

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ:

---

(١) الرجام: الحجارة التي فوق القبر.

أَنَّ شِعْرَ الْبَحَّاثِيِّ نَيِّفٌ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفَ بَيْتٍ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ فِي تِسْعِ مُجَلَّدَاتٍ ، فَانْتَخَبْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْتَخَبَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ :

بِأَبِي مَنْ عِنْدَ لَثْمِي زَادَ فِي عِشْقِي بِشَتْمِهْ
وَمَضَى يَبْكِي وَيَمْحُو أَثَرَ اللَّثْمِ بِكُمِّهْ

وَلَهُ مِثْلُهُ :

بُلِيتُ بِطِفْلٍ قَلَّ طَائِلُ نَفْعِهِ
سِوَى قُبَلٍ يُزْرِي بِهَا طُولُ مَنْعِهِ
وَيَمْسَحُهَا مِنْ عَارِضَيْهِ بِكُمِّهِ وَيَغْسِلُهَا عَنْ وَجْنَتَيْهِ بِدَمْعِهِ
يُكَاشِفُنِي إِنْ لَاحَ شَخْصِي بِعَيْنِهِ وَيَغْتَابُنِي إِنْ مَرَّ ذِكْرِي بِسَمْعِهِ

وَلَمْ أَجِدْ لَهُ فِي غَيْرِ الْهِجَاءِ السَّخِيفِ شَيْئًا أَسْتَحْسِنُهُ ، قَالَ يَهْجُو :

أَلَا إِنَّ هَذَا الْبَيْهَقِيَّ مُحَدِّثٌ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ فِي جَنْبِهِ مَلَكْ
فَفِي وَجْهِهِ قُبْحٌ وَفِي قَلْبِهِ عَمًى
وَفِي نُطْقِهِ كِذْبٌ وَفِي دِينِهِ حَلَكْ[1]
لَوِ ابْنُ مَعِينٍ[2] كَانَ حَيًّا لَجَاءَهُ
وَبِالسَّلْحِ سَلْحِ الْكَلْبِ لِحْيَتَهُ دَلَكْ

---

(١) الحلك : شدة السواد ، والمراد فساد الايمان وعدم الاخلاص

(٢) قال أحمد بن حنبل : ههنا رجل خلقه الله ليظهر كذب الكذابين ، يعني يحيى بن معين .

فَلَا تَعْجَبَا إِنْ مُدَّ فِي عُمْرِ مِثْلِهِ
وَيَهْلِكُ أَهْلُ الْفَضْلِ إِذْ خَرِفَ الْفَلَكْ

وَلَهُ :

مَأْتَمُ الشَّيْخِ مَأْنَسٌ لِلْكِرَامِ جِئْتُهُ قَاضِياً لِحَقِّ الْحِمَامِ
مَعَ حُزْنٍ يَحْكِي حَزِينَ الْأَغَانِي وَبُكَاءٍ يَحْكِي بُكَاءَ الْحَمَامِ
كَجَهَامِ الْغَمَامِ جَفْناً وَوَجْهاً
مُكْدِيَ الدَّمْعِ وَارِيَ الِابْتِسَامِ (١)

وَكَانَ الْبَارِعُ الزَّوْزَنِيُّ عُرْضَةً لِأَهَاجِيهِ وَغَرَضاً لِطِعَانِ قَوَافِيهِ ، وَكَانَ يُلَقِّبُهُ بِالْبَاعِرِ وَيَدَّعِي أَنَّهُ أَفْتَرَسَهُ ظَبْياً غَرِيراً وَأَفْتَرَشَهُ بَدْراً مُنِيراً ، فَلَمَّا الْتَحَى أَنْكَرَ صُحْبَتَهُ ، وَنَبَذَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ مَوَدَّتَهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

كَانَ الْبُوَيْعِرُ بَدْراً فِي حَدَاثَتِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَهُ وَجْهاً وَأَبْهَاهُ
وَالطِّيبُ أَجْمَعُ فِيمَا تَحْتَ مِئْزَرِهِ
وَالسِّحْرُ مَا بَثَّهُ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ
رَبَّيْتُهُ وَهُوَ فِي حِجْرِي أُلَاعِبُهُ نَهَارَهُ وَفِرَاشِي كَانَ مَأْوَاهُ
أُفِيدُهُ مِنْ جَنَايَا الْعِلْمِ أَحْسَنَهَا وَأَسْتَفِيدُ لَذِيذاً مِنْ جَنَى فَاهُ
حَتَّى إِذَا مَا عَشَا جِلْدُ أُسْتِهِ وَغَدَا مُشَعَّراً وَدَجَا وَاسْوَدَّ قُطْرَاهُ

---

(١) جهام الغمام : السحاب لاماء فيه ، أو قد أراق ماءه . ومكدى الدمع : قليله . ووارى الابتسام : مظهره

وَصَارَ كَلْباً وَخِنْزِيراً وَزَوْبَعَةً وَغُولَ قَفْرٍ يُمِيتُ الْإِنْسَ لُقْيَاهُ

أَنْشَا يُمَزِّقُ عِرْضِي مُنْكِراً أَدَبِي
وَلَيْسَ يُحْسِنُ إِلَّا مَا أَفَدْنَاهُ

إِنْ كَانَ يُنْكِرُ مَا قَدَّمْتُ مِنْ أَدَبِي
فَلَيْسَ يُنْكِرُ أَيْرِى ثَمَّ مَفْسَاهُ

لَوْ لَمْ تُغَيِّرْ صُرُوفُ الدَّهْرِ صُورَتَهُ
لَكَانَ مَغْفُورَةً عِنْدِي خَطَايَاهُ

وَلَهُ فِي السُّخْفِ أَبْيَاتٌ (١)

وَلَهُ :

إِنِّي لَمَرْزُوقٌ مِنَ النَّاسِ إِذْ أَصْبَحْتُ مِنْ أَحْذَقِ حُذَّاقِهِمْ

مَاذَاكَ مِنْ فَضْلٍ وَلَكِنَّنِي أُخَالِقُ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ

﴿ ٨ — مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

محمد بن إسماعيل الميكالى

ابْنِ مِيكَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمِيكَالِيُّ ، قَدِ اسْتَوْفَيْنَا هَذَا النَّسَبَ فِي بَابِ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ فَأَغْنَى ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ أَدِيباً شَاعِراً لُغَوِيّاً فَقِيهاً ، مَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ قَدْ تَفَقَّهَ عَلَى قَاضِي الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، وَعَقَدَ لَهُ مَجْلِسَ

(١) بهامش الاصل : « ههنا أورد المؤلف للبحاثى قطعا لم نر فائدة فى نشرها »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الإِمْلَاءِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمائَةٍ ، سَمِعَ مِنْهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْبَيِّعِ الْحَافِظُ .

٩ — مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّحْوِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ *

محمد بن إسماعيل النحوى

يُعْرَفُ بِالْحَكِيمِ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ وَضَّاحٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ الْخُشَنِيَّ ، وَمُطَرِّفَ بْنَ قَيْسٍ ، وَعَبْدَ اللهِ ابْنَ مَسَرَّةَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْغَازِ (١) ، وَكَانَ عَالِماً بِالنَّحْوِ وَالْحِسَابِ دَقِيقَ النَّظَرِ ، مُثِيراً لِلْمَعَانِي الْغَامِضَةِ مُؤَكِّداً لَهَا ، لَا يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ ، وَعُمِّرَ إِلَى أَنْ بَلَغَ ثَمَانِينَ عَاماً وَأَدَّبَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرَ ، وَتُوُفِّيَ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمائَةٍ وَنَسْلُهُ انْقَرَضَ .

١٠ — مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَنْجِيٍّ أَبُو عَبْدِ اللهِ

محمد بن إسماعيل الكاتب

الْكَاتِبُ ، لَهُ نَبَاهَةٌ وَذِكْرٌ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَضِدِ وَإِلَى آخِرِ أَيَّامِ الرَّاضِي ، وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ الْكُتَّابِ وَمَشَايِخِهِمْ ، مَعْرُوفٌ بِجَوْدَةِ الْخَطِّ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ : مِنْهَا كِتَابُ الْكُتَّابِ وَالصِّنَاعَةِ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ . قَالَ ابْنُ بُشْرَانَ (٢) : مَاتَ مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَعْرُوفُ بِزَنْجِيٍّ الْكَاتِبُ الْأَنْبَارِيُّ فِي شَوَّالٍ

(١) فى هامش الأصل الذى ننقل عنه : عند الفرضى : « الغازى »

(٢) كانت فى هذا الأصل « شيران » وهذا التصحيح من هامشه .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مُتَقَدِّماً فِي كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ وَالرَّسَائِلِ وَالْكَلَامِ حَسَنَ الْمَجْلِسِ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ .

﴿ ١١ – مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرٍ الرُّهْنِيُّ أَبُو الْحُسَيْنِ الشَّيْبَانِيُّ ﴾

وَالرُّهْنِيُّ بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالنُّونِ مَنْسُوبٌ إِلَى رُهْنَةَ : قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى كَرْمَانَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ نَرْمَاسِيرَ مِنْ أَرْضِ كَرْمَانَ ، وَهُوَ يُكْنَى أَبَا الْحُسَيْنِ شَيْبَانِيُّ الْأَصْلِ ، مَعْرُوفٌ بِالْفَضْلِ وَالْفِقْهِ . قَالَ ابْنُ النَّحَّاسِ فِي كِتَابِهِ : قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا : إِنَّهُ كَانَ فِي مَذْهَبِهِ ارْتِفَاعٌ وَحَدِيثُهُ قَرِيبٌ مِنَ السَّلَامَةِ ، وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ قِيلَ .

محمد بن بحر الرهني

قَالَ شَيْخُنَا رَشِيدُ الدِّينِ : كَانَ لَقِناً[1] حَافِظاً يُذَاكِرُ بِثَمَانِيَةِ آلَافِ حَدِيثٍ غَيْرَ أَنَّهُ كَثُرَ حِفْظُهُ ، وَتَتَبَّعَ الْغَرَائِبَ فَعَمَرَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ . قَالَ : وَوَقَفْتُ عَلَى كِتَابِهِ الْبِدَعِ فَمَا أَنْكَرْتُ فِيهِ شَيْئاً وَعِنْدَ اللهِ عِلْمُهُ . وَكَانَ عَالِماً بِالْأَنْسَابِ وَأَخْبَارِ النَّاسِ شِيعِيَّ الْمَذْهَبِ غَالِياً فِيهِ ، لَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا : كِتَابٌ سَمَّاهُ كِتَابَ نِحَلِ الْعَرَبِ يَذْكُرُ فِيهِ تَفَرُّقَ الْعَرَبِ فِي الْبِلَادِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ شِيعِيّاً

(١) أي سريع الفهم

وَمَنْ كَانَ مِنهم خَارِجيًّا أَوْ سُنيًّا فيحْسُنُ قَوْلُهُ فِي الشِّيعةِ وَيَقعُ فِيمَنْ عَدَاهُمْ . وَقفتُ عَلَى جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ذَكَرَ فِيهِ نِحَلَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ خَاصَةً مِنْ كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّ لَهُ تَصنِيفاً آخرَ سَمَّاهُ كِتَابَ الدَّلَائِلِ عَلَى نِحَلِ الْقَبَائِلِ ، وَذَكَرَ فِيهِ أَعْنِي كِتَابَ النِّحَلِ : أَخبرَنِي ابْنُ الْمُحتَسِبِ بِبَغْدَادَ فِي دَرْبِ عَبْدَةَ بِالْحَرْبِيَّةِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَزَّازُ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْمَدَائِنِيُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمُغَنِّي وَغَيْرِهِ ، فَذَكَرَ قِصَّةَ الْمُلَبَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَوْنِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ الْخَارِجِ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ شَارِياً [1] بِالْجَزِيرَةِ حَتَّى قُتِلَ .

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي خَلَفٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيُّ وَقَالَ فِيهِ : حَدَّثَنِي النَّوْفَلِيُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ وَقَالَ فِيهِ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ كَيْسَانَ النَّحْوِيَّ وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ يَقُولُ : لَمْ يَجِئْ عَلَى فَعَّلَ إِلَّا أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ : الْبَقَّمُ : هِيَ الْخَشَبَةُ الَّتِي يُصْبَغُ بِهَا وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ ، وَشَلَّمُ :

(١) أي متقدماً للقتال ، والشاري : من شرى نفسه من الله ، ومن هذا : الشراة من طوائف الخوارج .

اُسْمُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالنَّبَطِيَّةِ . وَبَذَّرُ : وَهُوَ اُسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ . قَالَ كُثَيِّرٌ :

سَقَى اللّٰهُ أَمْوَاهًا عَرَفْتُ مَكَانَهَا
جُرَابًا وَمَلْكُومًا وَبَذَّرَ وَالْغَمْرَا(١)

وَخَصَمٌ : اُسْمٌ لِلْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ .

﴿ ١٢ — مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ الْبِسْطَامِيُّ ﴾

محمد بن بكر البسطامي

لَا أَعْرِفُ مِنْ حَالِهِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ حَمْزَةُ الْأَصْبَهَانِيُّ وَقَدْ ذَكَرَ الْخَلِيلَ وَغَيْرَهُ ثُمَّ قَالَ : وَصَنَّفَ بِالْأَمْسِ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ الْبِسْطَامِيُّ كِتَابًا عَلَى كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْمُسَمَّى الْجَمْهَرَةَ وَقَالَ : كَانَ السَّبَبُ لِوَضْعِي هَذَا الْكِتَابَ تَطَرُّفٌ فِي الْكِتَابِ(٢) الْمُسَمَّى كِتَابَ الْيَاقُوتَةِ ، وَأَنَّ مُصَنِّفَهُ حَشَا أَكْثَرَ الْكِتَابِ بِمَا يَنْطِقُ بِهِ الْعَرَبُ وَعَزَاهُ إِلَى ثَعْلَبٍ ، وَقَدْ طَلَبْنَا مَا ادَّعَى مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَرَبِ فِي الْمُصَنَّفَاتِ فَلَمْ نَجِدْهُ ثُمَّ سَأَلْنَا عَنْهُ أَصْحَابَ ثَعْلَبٍ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَالَّذِي صَنَّفَ هَذِهِ الْكُتُبَ

(١) أمواها جمع ماء ، وجراب اسم ماء ، وقيل : بئر بمكة قديمة ، وبذر : بئر بمكة أيضاً لبنى عبد الدار ، وملكوم : إسم مفعول وهو مقلوب ممكول من مكلت البئر : إذا استخرجت ماءها ، أو من لكمه : إذا لكزه فى صدره ، وهم اسم ماء بمكة كذلك . والغمر فى اللغة بسكون الميم : الماء الكثير ، وهو بئر قديمة بمكة أيضا .

(٢) أى عدى له طريقاً مستحدثا .

لَمْ يُقِمْ عَلَى مَا أَوْدَعَهُ شَاهِداً وَلَا دَلِيلاً مِنَ الْقُرْآنِ أَوِ الْحَدِيثِ أَوِ الْمَثَلِ، وَلَا نَمَا فِيمَا رَوَاهُ (١) إِلَّا إِلَى «أَخْبَرَنَا ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ» فَتَمَّتْ لَهُ رِوَايَةُ تِلْكَ الْأَبَاطِيلِ بَيْنَ قَوْمٍ لَمْ يُطَالِبُوهُ بِدَلِيلٍ وَظَنُّوا أَنَّهُ فِيهَا مُصِيبٌ، ثُمَّ ذَكَرَ كِتَابَ الْعَيْنِ وَأَنَّهُ مِنْ تَصْنِيفِ تَلَامِيذِ الْخَلِيلِ كَمَا ذَكَرْتُهُ فِي تَرْجَمَةِ الْخَلِيلِ.

﴿ ١٣ – مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَوَّارِ بْنِ عِلْوَانَ ﴾

محمد بن ثابت النميرى

النُّمَيْرِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ أَبُو بَكْرٍ إِمَامُ الْجَامِعِ بِأَصْبَهَانَ فِي بَابِ كُوشَكَ (٢)، ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ مَنْدَةَ فَقَالَ: كَانَ سُنِّيًّا فَاضِلًا مِنَ النَّاسِ بَارِعاً فِي الْأَدَبِ شَاعِراً فَصِيحاً كَثِيرَ السَّمَاعِ قَلِيلَ الرِّوَايَةِ، مَسْكَنُهُ فِي دَرْبِ الْبُخَارِيِّ، رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فُورَكَ، وَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُقْرِىءِ وَأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّهْرَدِيرِيِّ، كَتَبَ عَنْهُ عَمِّي الْإِمَامُ وَجَمَاعَةٌ رَحِمَهُمُ اللهُ.

﴿ ١٤ – مُحَمَّدُ بْنُ تَمِيمٍ أَبُو الْمَعَانِي الْبَرْمَكِيُّ * ﴾

محمد بن تميم البرمكى

اللُّغَوِيُّ، لَهُ كِتَابٌ كَبِيرٌ فِي اللُّغَةِ سَمَّاهُ الْمُنْتَهَى فِي اللُّغَةِ مَنْقُولٌ مِنْ كِتَابِ الصِّحَاحِ لِلْجَوْهَرِيِّ، وَزَادَ فِيهِ

(١) أى نسب (٢) محلة كبيرة بأصبهان

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٢٨

أَشياءَ قليلةً وأغربَ في ترتيبه، إلا أنَّه والجوهريَّ كانا في عصرٍ واحدٍ، لأنِّي وجدتُ كتابَ الجوهريِّ بخطِّه وقد فرغ منه في سنةِ ستٍّ وتسعين وثلاثمائةٍ، وذكر البرمكيُّ في مقدّمة كتابه: أنّه صنّفه في سنةِ سبعٍ وتسعين وثلاثمائةٍ، ولاشكَّ أنَّ أحدَ الكتابينِ منقولٌ من الآخرِ نقلاً، والذي أشكُّ فيه أنَّ البرمكيَّ نقلَ كتابَ الصّحاحِ، لأنَّ أبا سهلٍ محمّدَ بنَ عليٍّ الهرويَّ كانَ بمصرَ وحكى عنِ البرمكيِّ، وقد روى الهرويُّ الصّحاحَ عن ابنِ عبدُوسٍ، ولعلَّ الكتابَ خرجَ عنِ الجوهريِّ وهو حيٌّ وقدمَ به إلى مصرَ.

﴿ ١٥ — محمّدُ بنُ بحرٍ الأصفهانيُّ * ﴾

الكاتبُ، يُكنى أبا مُسلمٍ، كانَ كاتباً مُترسّلاً بليغاً مُتكلّماً جدِلاً (١)، ماتَ فيما ذكرَه حمزةُ في تاريخِه في آخرِ سنةِ اثنتينِ وعشرينَ وثلاثمائةٍ، ومولدُه سنةَ أربعٍ وخمسينَ ومائتينِ، وكانَ الوزيرُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ عيسى بنِ داودَ بنِ الجرّاحِ يشتاقُه ويصفُه. محمد بن بحر الأصفهانى

وقالَ أبو عليٍّ التنوخيُّ وقد ذكرَ محمّدَ بنَ زيدٍ الدّاعيَ فقالَ: وهوَ الذي كانَ أبو مسلمٍ محمّدُ بنُ بحرٍ الأصفهانيُّ الكاتبُ

(١) الجدل بكسر الدال: الصلب والشديد فى الخصومة والنزاع

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٢٣

الْمُعْتَزِلِىُّ الْعَالِمُ بِالتَّفْسِيرِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ صُنُوفِ الْعِلْمِ ، قَدْ صَارَ عَامِلَ أَصْبَهَانَ وَعَامِلَ فَارِسَ لِلْمُقْتَدِرِ يَكْتُبُ لَهُ وَيَتَوَلَّى أَمْرَهُ . ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ : لَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ جَامِعِ التَّأْوِيلِ لِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مُجَلَّداً ، كِتَابُ جَامِعِ رَسَائِلِهِ كِتَابُ حَمْزَةَ[1] كِتَابُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، كِتَابٌ فِى النَّحْوِ ، وَسَمَّى حَمْزَةُ كِتَابَهُ فِى الْقُرْآنِ شَرْحَ التَّأْوِيلِ . وَكَانَ ابْنُ أَبِى الْبَغْلِ وُلِّىَ فِى سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ دِيوَانَ الْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ بِأَصْبَهَانَ وَهُوَ بِبَغْدَادَ ، فَوَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى أَبِى مُسْلِمِ بْنِ بَحْرٍ بِأَنْ يَخْلُفَهُ عَلَى دِيوَانِ الضِّيَاعِ بِهَا ، ثُمَّ وَرَدَ ابْنُ أَبِى الْبَغْلِ إِلَى أَصْبَهَانَ فَأَقَرَّهُ عَلَى خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ مَاتَ أَبُو عَلِىٍّ مُحَمَّدُ بْنُ رُسْتُمَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَرُتِّبَ مَكَانَهُ أَبُو مُسْلِمِ بْنُ بَحْرٍ وَذَلِكَ فِى شَوَّالٍ ، ثُمَّ وَرَدَ عَلِىُّ بْنُ بُوَيْهِ فِى خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ فَهَزَمَ الْمُظَفَّرَ بْنَ يَاقُوتَ فِى خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، وَدَخَلَ ابْنُ بُوَيْهِ أَصْبَهَانَ فِى مُنْتَصَفِ ذِى الْقَعْدَةِ فَعُزِلَ أَبُو مُسْلِمٍ . نَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ أَصْفَهَانَ قَالَ : وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ فِى أَبْيَاتٍ بِالْفَارِسِيَّةِ لِأَبِى الْأَشْعَثِ الْقُمِّىِّ :

يَا لَلشَّبَابِ وَغُصْنِهِ النَّضْرِ وَالْعَيْشِ فِى أَيَّامِهِ الزُّهْرِ

(١) يريد أن الكتابين ذكرهما حمزة دون صاحب الفهرست .

لَوْ دَامَ لِي عَهْدُ الْمَتَاعِ بِهِ ... وَأَمِنْتُ فِيهِ حَوَادِثَ الدَّهْرِ
لَكِنَّهُ لِي مُعْقِبٌ هَرَماً ... وَهُوَ النَّذِيرُ بِآخِرِ الْعُمْرِ

قَالَ: وَقَالَ فِي أَبِي الْمُعَمَّرِ:

هَلْ أَنْتَ مُبْلِغُ هَذَا الْقَائِدِ الْبَطَلِ
عَنِّي مَقَالَةَ طَبٍّ غَيْرِ ذِي خَطَلِ
إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ قِرْطَاساً عَمَدْتُ لَهُ
فَأَنْتَ فِي رَمْيِ قَلْبِي مِنْ بَنِي ثُعَلِ (١)

قَالَ: وَدَخَلَ يَوْماً إِلَى دَارِ أَخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ بَحْرٍ فَرَأَى مَعَهُ دَفْتَراً عَلَى ظَهْرِهِ أَبْيَاتُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ، وَذَاكَ عِنْدَ مَا بَيَّضَ مَا كَانُ بْنُ كَاكِي الدَّيْلَمِيُّ (٢) وَوَرَدَتْ خَيْلُهُ قُمَّ، وَأَبْيَاتُ نَصْرٍ:

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ
وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تُورَى ... وَإِنَّ الْحَرْبَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي ... أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ ؟؟

فَكَتَبَ أَبُو مُسْلِمٍ تَحْتَهَا:

أَرَى نَاراً تُشَبُّ بِكُلِّ وَادٍ ... لَهَا فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ شُعَاعُ
وَقَدْ رَقَدَتْ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْهَا ... وَأَضْحَتْ وَهِيَ آمِنَةٌ رِتَاعُ

---

(١) بنو ثعل قبيلة مشهورة بالرماء قال الشاعر : « رب رام من بني ثعل » .
(٢) بيض ما كان : ترك لبس السواد ولبس البياض .

كَمَا رَقَدَتْ أُمَيَّةُ ثُمَّ هَبَّتْ لِتَدْفَعَ حِينَ لَيْسَ بِهَا دِفَاعُ

وَلَمَّا مَاتَ قَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عُمَارَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ يَرْثِيهِ :

وَقَالُوا أَلَا تَرْثِي ابْنَ بَحْرٍ مُحَمَّداً فَقُلْتُ لَهُمْ رُدُّوا فُؤَادِي وَاسْمَعُوا

فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْقَوْلَ مَنْ طَارَ قَلْبُهُ
جَرِيحاً قَرِيحاً بِالْمَصَائِبِ يُقْرَعُ

وَمَنْ بَانَ عَنْهُ إِلْفُهُ وَخَلِيلُهُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى الْبَعْثِ مَرْجِعُ

وَمَنْ كَانَ أَوْفَى الْأَوْفِيَاءِ لِمُخْلِصٍ
وَمَنْ حِيزَ فِي سِرْبَالِهِ الْفَضْلُ أَجْمَعُ

سَحَاباً كَمَاءِ الْمُزْنِ شِيبَ بِهِ الْجَنَى
جَنَى الشَّهْدِ فِي صَفْوِ الْمُدَامِ يُشَعْشَعُ

وَغَرْبَ ذَكَاءٍ (١) وَاقِدٍ مِثْلَ جَمْرَةٍ
وَطَبْعٍ بِهِ الْعَضْبُ الْمُهَنَّدُ يُطْبَعُ (٢)

وَمَنْ كَانَ مِنْ بَيْتِ الْكِتَابَةِ فِي الذُّرَى
وَذَا مَنْطِقٍ فِي الْحَفْلِ لَا يَتَتَعْتَعُ

وَلَهُ :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّهُ حِينَ يَلْتَحِي
يُفَرِّجُ عَنِّي أَوْ يُجَدِّدُ لِي صَبْرَا

فَلَمَّا الْتَحَى وَاسْوَدَّ عَارِضُ وَجْهِهِ تَحَوَّلَ لِي الْبَلْوَى بِوَاحِدَةٍ عَشْرَا

(١) أى حدته . (٢) أى يصاغ ويعمل .

١٦ – مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَاتِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ *

محمد بن بركات الصوفى

ابْنِ عَبْدِ اللهِ السَّعِيدِىُّ الصُّوفِىُّ ، نَقَلْتُ نَسَبَهُ هٰذَا مِنْ خَطِّ يَدِهِ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَاتَ فِى سَنَةِ عِشْرِينَ وَخَمْسِمائَةٍ وَقِيلَ: إِنَّ مَوْلِدَهُ فِى سَنَةِ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ، فَيَكُونُ عُمْرُهُ عَلَى هٰذَا مِائَةَ سَنَةٍ . أَحَدُ فُضَلَاءِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَعْيَانِهِمُ الْمُبَرِّزِينَ. أَخَذَ النَّحْوَ وَالْأَدَبَ عَنْ أَبِى الْحَسَنِ بْنِ بَابَشَاذَ فَأَتْقَنَهُ، وَلَهُ أَيْضًا مَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِالْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَكَانَ يَقُولُ الشِّعْرَ فَيُجِيدُ . وَمِنْ قَوْلِهِ :

يَا عُنُقَ الْإِبْرِيقِ مِنْ فِضَّةٍ ... وَيَا قَوَامَ الْغُصْنِ الرَّطْبِ
هَبْكَ تَجَافَيْتَ وَأَقْصَيْتَنِى ... تَقْدِرُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ قَلْبِى؟

وَمِنْهُ :

وَإِذَا الصَّنِيعَةُ وَافَقَتْ أَهْلًا لَهَا ... دَلَّتْ عَلَى تَوْفِيقِ مُصْطَنِعِ الْيَدِ

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ خِطَطِ مِصْرَ أَجَادَ فِيهِ ، وَلَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفَ فِى النَّحْوِ ، كِتَابُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِيمَا بَلَغَنِى وَاللهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَاتٍ السَّعِيدِىُّ يُخَاطِبُ أَبَا الْقَاسِمِ هِبَةَ اللهِ بْنَ عَلِىِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ ثَابِتٍ الْبُوصِيرِىَّ الْأَنْصَارِىَّ :

فَلَهُ أَوَامِرُ مِنْ حِجَاهُ حَكِيمَةٌ ... وَلَهُ زَوَاجِرُ مِنْ (١) نُهَاهُ

(١) فى الأصل : « عن »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة بترجمة ضافية

يقظانُ من فهمٍ لكلِّ فضيلةٍ ... بنباهةٍ جلَتْ عن الأشباهِ

علّامةٌ ما مُشكِلٌ مستبهمٌ ... خافٍ عن الأفهامِ عنْ أساهِ[1]

﴿ ١٧ – مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبٍ * ﴾

محمد بن جرير الطبري

أبو جعفرٍ الطَّبَرِيُّ المُحدِّثُ الفقيهُ المقرئُ المؤرِّخُ المعروفُ المشهورُ. مَاتَ فيما ذَكرَهُ أبو بكرٍ الخطيبُ يومَ السبتِ لأربعٍ بقينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ عشرٍ وثلاثمائةٍ، ودُفِنَ يومَ الأحدِ بالغَداةِ في دارِ برحبةِ يعقوبَ ولمْ يَغْبرْ[2] شيْبُهُ، وكانَ السوادُ في شعرِ رأسهِ ولحيتهِ كثيراً. ومَوْلدُهُ سنةَ أربعٍ أوْ أوّلَ سنةِ خمسٍ وعشرينَ ومائتينِ. وكانَ أسمرَ إلى[3] الأُدْمةِ أعينَ نحيفَ الجسمِ مديدَ القامةِ فصيحَ اللسانِ.

قالَ غيرُ الخطيبِ: ودُفِنَ ليلاً خوفاً منَ العامّةِ لأنّهُ كانَ يُتّهَمُ بالتشيّعِ، وأمّا الخطيبُ فإنّهُ قالَ: ولمْ يُؤذَنْ بهِ أحدٌ فاجتمعَ على جنازتهِ منْ لا يُحصِي عددَهُمْ إلّا اللهُ، وصُلِّيَ على قبرهِ عدّةَ شهورٍ ليلاً ونهاراً، ورثاهُ خلقٌ كثيرٌ منْ أهلِ الدِّينِ والأدبِ.

---

(١) هكذا بالأصل، وترى الشطرين الثانيين من البيتين الأول والثالث ليسا بالتامين إذ الأبيات من بحر الكامل (٢) كانت هذه الكلمة: «يغير» بالياء المثناة (٣) لم تكن هذه في الأصل، وقد نقلتها عن ترجمته في آخر تفسيره المطبوع «عبد الخالق»

(*) ترجم له كتاب أنباه الرواة ج ثان ص ٦٣

قَالَ: وَسَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، وَأَحْمَدَ ابْنَ مَنِيعٍ الْبَغَوِيَّ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَمِيدٍ الرَّازِيَّ، وَأَبَا هَمَّامٍ الْوَلِيدَ ابْنَ شُجَاعٍ، وَأَبَا كُرَيْبٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَلَاءِ، وَعَدَدَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ. وَحَدَّثَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ، وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

قَالَ: وَكَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ يُحْكَمُ بِقَوْلِهِ، وَيُرْجَعُ إِلَى رَأْيِهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَكَانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَارِفًا بِالْقُرْآنِ بَصِيرًا بِالْمَعَانِي، فَقِيهًا بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا وَصَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَنَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا، عَارِفًا بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُخَالِفِينَ فِي الْأَحْكَامِ، وَمَسَائِلِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، عَارِفًا بِأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِمْ، وَلَهُ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ، وَكِتَابٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لَمْ يُصَنِّفْ أَحَدٌ مِثْلَهُ، وَكِتَابٌ سَمَّاهُ تَهْذِيبَ الْآثَارِ لَمْ أَرَ سِوَاهُ فِي مَعْنَاهُ لَمْ يُتَمِّمْهُ، وَلَهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ وَاخْتِيَارٌ مِنْ أَقَاوِيلِ الْفُقَهَاءِ، وَتَفَرَّدَ بِمَسَائِلَ حُفِظَتْ عَنْهُ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَسَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ اللُّغَوِيَّ السِّمْسِمِيَّ

يَحْكِى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَكْتُبُ فِى كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا أَرْبَعِينَ وَرَقَةً قَالَ: وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِنِىُّ الْفَقِيهُ: لَوْ سَافَرَ رَجُلٌ إِلَى الصِّينِ حَتَّى يُحَصِّلَ كِتَابَ تَفْسِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَثِيرًا، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

وَحَدَّثَ عَنِ الْقَاضِى أَبِى عُمَرَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ السِّمْسَارِ وَأَبِى الْقَاسِمِ بْنِ عُقَيْلٍ الْوَرَّاقِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الطَّبَرِىَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَتَنْشَطُونَ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: كَمْ يَكُونُ قَدْرُهُ؟ قَالَ: ثَلَاثُونَ أَلْفَ وَرَقَةٍ. فَقَالُوا: هَذَا مِمَّا يُفْنِى الْأَعْمَارَ قَبْلَ تَمَامِهِ، فَاخْتَصَرَهُ فِى نَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ ثُمَّ قَالَ: تَنْشَطُونَ لِتَارِيخِ الْعَالَمِ مِنْ آدَمَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا؟ قَالُوا كَمْ قَدْرُهُ؟ فَذَكَرَ نَحْوًا مِمَّا ذَكَرَهُ فِى التَّفْسِيرِ، فَأَجَابُوهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ مَاتَتِ الْهِمَمُ، فَاخْتَصَرَهُ فِى نَحْوٍ مِمَّا اخْتَصَرَ التَّفْسِيرَ.

وَحَدَّثَ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى أَبِى بَكْرِ بْنِ بَالَوَيْهِ قَالَ: قَالَ لِى أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ يَعْنِى ابْنَ خُزَيْمَةَ: بَلَغَنِى أَنَّكَ كَتَبْتَ التَّفْسِيرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ؟ قُلْتُ نَعَمْ، كَتَبْنَا التَّفْسِيرَ عَنْهُ إِمْلَاءً، قَالَ كُلَّهُ؟ قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ فِى أَىِّ سَنَةٍ؟ قُلْتُ: مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ إِلَى سَنَةِ تِسْعِينَ. قَالَ: فَاسْتَعَارَهُ مِنِّى أَبُو بَكْرٍ وَرَدَّهُ بَعْدَ سِنِينَ ثُمَّ قَالَ: نَظَرْتُ فِيهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى

آخره ، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة . قال : وكانت الحنابلة تمنع ولا تترك أحداً يسمع عليه ، وأنشد محمد بن جرير :

إذا أعسرت لم أعلم رفيقى وأستغنى فيستغنى صديقى
حيائى حافظ لى ماء وجهى ورفقى فى مطالبتى رفيقى
ولو أنى سمحت ببذل وجهى
لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وأنشد أيضاً :

خلقان لا أرضى طريقهما تيه الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فته على الدهر

وحدث فيما أسنده إلى محمد بن جرير قال : كتب إلىَّ أحمد بن عيسى العلوى من بلد :

ألا إن إخوان الثقات قليل فهل لى إلى ذاك القليل سبيل ؟
سل الناس تعرف غثهم من سمينهم
فكل عليه شاهد ودليل

قال أبو جعفر فأجبته :

يسىء أميرى الظن فى جهد جاهد
فهل لى بحسن الظن منه سبيل ؟

تَأَمَّلْ أَمِيرِي مَا ظَنَنْتَ وَقُلْتَهُ فَإِنَّ جَمِيلَ الْقَوْلِ مِنْكَ جَمِيلُ

هَذَا آخِرُ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ تَارِيخِ أَبِي بَكْرٍ.

وَحَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الْفَرْغَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِكِتَابِ الصِّلَةِ، وَهُوَ كِتَابٌ وَصَلَ بِهِ تَارِيخَ ابْنِ جَرِيرٍ: أَنَّ قَوْمًا مِنْ تَلَامِيذِ ابْنِ جَرِيرٍ حَصَّلُوا أَيَّامَ حَيَاتِهِ مُنْذُ بَلَغَ الْحُلُمَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، ثُمَّ قَسَمُوا عَلَيْهَا أَوْرَاقَ مُصَنَّفَاتِهِ فَصَارَ مِنْهَا عَلَى كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَرَقَةً، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَتَهَيَّأُ لِمَخْلُوقٍ إِلَّا بِحُسْنِ عِنَايَةِ الْخَالِقِ. وَفَرَغَ مِنْ تَصْنِيفِ كِتَابِ التَّارِيخِ وَمِنْ عَرْضِهِ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَقَطَعَهُ عَلَى آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَجَدْتُ عَلَى جُزْءٍ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ لِابْنِ جَرِيرٍ بِخَطِّ الْفَرْغَانِيِّ، مَا ذُكِرَ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْ تَصَانِيفِ ابْنِ جَرِيرٍ فَنَقَلْتُهُ عَلَى صُورَتِهِ لِذَلِكَ وَهُوَ: قَدْ أَجَزْتُ لَكَ يَا عَلِيُّ بْنَ عِمْرَانَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ الْمُسَمَّى بِجَامِعِ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، وَكِتَابِ تَارِيخِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ، وَالْقِطْعَتَيْنِ مِنَ الْكِتَابِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ وَإِنَّمَا أَخَذْتُهُ إِجَازَةً، وَكِتَابِ تَارِيخِ الرِّجَالِ الْمُسَمَّى بِذَيْلِ الْمُذَيَّلِ، وَكِتَابِ

القِرَاءَاتِ وَتَنْزِيلِ القُرْآنِ ، وَكِتَابِ لَطِيفِ القَوْلِ وَخَفِيفِهِ فِي شَرَائِعِ الإِسْلَامِ ، وَمَاسَمِعْتُهُ مِنْ كِتَابِ التَّهْذِيبِ مِنْ مُسْنَدِ العَشَرَةِ ، وَمُسْنَدِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى حَدِيثِ المِعْرَاجِ ، وَكِتَابِ آدَابِ القُضَاةِ وَالمَحَاضِرِ وَالسِّجِلَّاتِ ، وَكِتَابِ اخْتِلَافِ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ فَلْيَرْوِيَا ذَلِكَ عَنِّي . وَكَتَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الفَرْغَانِيُّ بِخَطِّهِ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الأَهْوَازِيُّ المُقْرِئُ فِي كِتَابِ الإِقْنَاعِ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ قِرَاءَةً قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ عَالِماً بِالفِقْهِ وَالحَدِيثِ وَالتَّفَاسِيرِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالعَرُوضِ ، لَهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ تَصَانِيفُ فَاقَ بِهَا عَلَى سَائِرِ المُصَنِّفِينَ ، وَلَهُ فِي القِرَاءَاتِ كِتَابٌ جَلِيلٌ كَبِيرٌ رَأَيْتُهُ فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ مُجَلَّدَةً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ بِخُطُوطٍ كِبَارٍ ، ذَكَرَ فِيهِ جَمِيعَ القِرَاءَاتِ مِنَ المَشْهُورِ وَالشَّوَاذِّ وَعَلَّلَ ذَلِكَ وَشَرَحَهُ ، وَاخْتَارَ مِنْهَا قِرَاءَةً لَمْ يَخْرُجْ بِهَا عَنِ المَشْهُورِ وَلَمْ يَكُنْ مُنْتَصِباً لِلْإِقْرَاءِ ، وَلَا قَرَأَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا آحَادٌ مِنَ النَّاسِ كَالصَّفَّارِ شَيْخٍ كَانَ بِبَغْدَادَ مِنَ الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ يَرْوِي عَنْهُ رِوَايَةَ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ بَكَّارٍ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ . وَأَمَّا القِرَاءَةُ عَلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَقْرَأَ بِهِ غَيْرَ أَبِي الحُسَيْنِ الجُبِّيِّ وَكَانَ ضَنِيناً بِهِ ، وَلَقَدْ سَأَلْتُهُ

زَمانًا حَتّى أخذَ عَلَيَّ بهِ قالَ: وتَرَدَّدْتُ إلى أبي جعفرٍ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ أَسْأَلُهُ ذَلِكَ زَمانًا حَتّى أَجْرَمْتُ عَلَيْهِ[1] وسأَلْتُه، وكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ صَدْرًا مِنْ كُتُبِهِ فأَخَذَهُ عَلَيَّ على جِهَتِهِ وقالَ: لا تَنْسُبْهَا إِلَيَّ وَأَنا حَيٌّ، فما أَقْرَأْتُ بها أَحَدًا حَتّى ماتَ رَحِمَهُ اللهُ في شَوّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ وَثَلاثِمائَةٍ.

وَقالَ أَبو الحُسَيْنِ الجُبِّيُّ: ما قرأَ عليهِ بهِ إلّا اثْنانِ وأَنْتَ ثالِثُهُمْ، وَلا قَرَأَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلى أَنْ ماتَ سَنَةَ ثَمانينَ وَثَلاثِمائَةٍ.

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبي سَعْدٍ بإسْنادِهِ رُقْعَةً إِلى أَبي العَبّاسِ البَكْرِيِّ مِنْ وَلَدِ أَبي بَكْرٍ الصِّدّيقِ قالَ: جَمَعَتِ الرِّحْلَةُ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ المَرْوَزِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ هارُونَ الرُّويانِيِّ[2] بِمِصْرَ، فَأَرْمَلُوا وَافْتَقَرُوا وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ ما يَمُونُهُمْ، وَأَضَرَّ بِهِمُ الحالُ فاجْتَمَعُوا لَيْلَةً في مَنْزِلٍ كانُوا يَأْوُونَ إِلَيْهِ وَاتَّفَقُوا عَلى أَنْ يَسْتَهِمُوا[3]، فَمَنْ خَرَجَتْ عَلَيْهِ القُرْعَةُ سَأَلَ النّاسَ لِأَصْحابِهِ الطَّعامَ، فَخَرَجَتِ القُرْعَةُ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ فَقالَ لِأَصْحابِهِ: أَمْهِلُونِي حَتّى أَتَوَضَّأَ وَأُصَلِّيَ صَلاةَ الخِيَرَةِ، فَانْدَفَعَ بِالصَّلاةِ فَإِذاهُمْ بِالشُّمُوعِ وَخَصِيٍّ مِنْ قِبَلِ والي مِصْرَ يَدُقُّ عَلَيْهِمْ فَأَجابُوهُ

(١) أي جرؤت عليه (٢) نسبة إلى رويان: مدينة كبيرة من جبال طبرستان.
(٣) أي على أن يقترعوا.

وَفتحُوا لَهُ البَابَ فقَالَ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ ؟ فقِيلَ هذَا وَأَشَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَخرَجَ صُرَّةً فِيهَا خمْسُونَ دِينَاراً وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ؟ فَأَشَارُوا إِلَيْهِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ خَمْسِينَ دِينَاراً ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ ؟ فَقِيلَ هَذَا ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ مِثْلَهَا ثُمَّ قَالَ : وَأَيُّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ابْنِ خُزَيْمَةَ ؟ فقِيلَ هُوَ ذَا يُصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ دَفَعَ إِلَيْهِ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُونَ دِينَاراً ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الأَمِيرَ كَانَ قَائِلاً [١] فَرَأَى فِي النَّوْمِ خيَالًا أَوْ طَيْفاً يَقُولُ لَهُ : إِنَّ المَحَامِدَ طَوَوْا كَشْحَهُمْ [٢] ، فَبَعَثَ بِهَذِهِ الصُّرَرِ وَهُوَ يُقْسِمُ عَلَيْكُمْ إِذَا نَفِدَتْ أَنْ تَبْعَثُوا إِلَيْهِ لِيَزِيدَكُمْ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ إِلَّا أَنِّي نَقَلْتُهَا مِنْ كِتَابِ السَّمْعَانِيِّ . وَسَأَلَهُ يَوْماً سَائِلٌ عَنْ نَسَبِهِ فَقَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ . فَقَالَ السَّائِلُ : زِدْنَا فِي النَّسَبِ ، فَأَنْشَدَهُ لِرُؤْبَةَ :

قَدْ رَفَعَ الْعَجَّاجُ ذِكْرِي فَادْعُنِي
بِاسْمِي إِذَا الأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِنِي

قَالَ القَاضِي ابْنُ كَامِلٍ : كَانَ مَوْلِدُهُ فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ

(١) أى نائما فى القائلة : وهي نصف النهار (٢) أى خمصت بطونهم من الجوع .

وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ . قَالَ ابْنُ كَامِلٍ : فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ وَقَعَ لَكَ الشَّكُّ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ أَهْلَ بَلَدِنَا يُؤَرِّخُونَ بِالْأَحْدَاثِ دُونَ السِّنِينَ ، فَأُرِّخَ مَوْلِدِي بِحَدَثٍ كَانَ فِي الْبَلَدِ ، فَلَمَّا نَشَأْتُ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ الْحَادِثِ ، فَاخْتَلَفَ الْمُخْبِرُونَ لِي فَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِآمُلِ طَبَرِسْتَانَ ، وَهِيَ قَصَبَةُ طَبَرِسْتَانَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : جِئْتُ إِلَى أَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ وَكَانَ عِنْدَهُ حَدِيثٌ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي زَائِدَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي الْقِيَاسِ فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ . وَقَالَ لِي أَبُو حَاتِمٍ : مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ طَبَرِسْتَانَ . فَقَالَ : وَلِمَ سُمِّيَتْ طَبَرِسْتَانَ ؟ . فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي . فَقَالَ : لَمَّا افْتُتِحَتْ وَابْتُدِئَ بِبِنَائِهَا كَانَتْ أَرْضًا ذَاتَ شَجَرٍ فَالْتَمَسُوا مَا يَقْطَعُونَ بِهِ الشَّجَرَ ، فَجَاءُوهُمْ بِهَذَا الطَّبَرِ الَّذِي يُقْطَعُ بِهِ الشَّجَرُ فَسُمِّيَ الْمَوْضِعُ بِهِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ : جِئْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَمَعِي ابْنِي أَبُو رِفَاعَةَ وَهُوَ شَدِيدُ الْعِلَّةِ ، فَوَجَدْتُ تَحْتَ مُصَلَّاهُ كِتَابَ فِرْدَوْسِ الْحِكْمَةِ لِعَلِيِّ بْنِ زَيْنٍ الطَّبَرِيِّ سَمَاعًا لَهُ ، فَمَدَدْتُ يَدِي لِأَنْظُرَهُ ، فَأَخَذَهُ وَدَفَعَهُ

إلى الجارية وقال لي: هذا ابنك؟ فقال: قلت نعم. قال: ما اسمه؟ قلت عبد الغني. قال: أغناه الله، وبأي شيء كنيته؟ قلت بأبي رفاعة. قال: - رفعه الله - أفلك غيره؟ قلت: نعم، أصغر منه. قال: وما اسمه؟ قلت: عبد الوهاب أبو يعلى: قال - أعلاه الله - : لقد اخترت الكنى والأسماء، ثم قال لي: كم لهذا سنة؟ قلت: تسع سنين. قال: لم لم تسمعه مني شيئاً؟. قلت: كرهت صغره وقلة أدبه. فقال لي: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه. فقال له المعبر: إنه إن كبر نصح في دينه وذب عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

قال ابن كامل: فأول ما كتب الحديث ببلده ثم بالري وما جاورها وأكثر من الشيوخ حتى حصل كثيراً من العلم، وأكثر من محمد بن حميد الرازي، ومن المثنى بن إبراهيم الأبلي وغيرهما.

قال أبو جعفر: كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي

فيَخرُجُ إلينا في الليلِ مرّاتٍ ويسألُنا عمّا كتبناهُ ويقرؤه علينا قال: وكنّا نمضي إلى أحمدَ بنِ حمّادٍ الدُّولابيّ وكان في قريةٍ من قرى الريّ بينها وبينَ الريّ قطعةٌ، ثمّ نعدو كالمجانينِ حتى نصيرَ إلى ابنِ حميدٍ فنلحقَ مجلسَهُ. وكتبَ عن أحمدَ بنِ حمّادٍ كتابَ المبتدإِ، والمغازي عن سلمةَ بنِ المفضّلِ عن محمّدِ بنِ إسحاقَ وعليهِ بنى تاريخَهُ. ويُقالُ: إنّهُ كتبَ عن ابنِ حميدٍ فوقَ مائةِ ألفِ حديثٍ.

قالَ أبو جعفرٍ: كانَ يقرأُ علينا ابنُ حميدٍ من التفسيرِ، فإذا بلغَ إلى قولهِ عزَّ وجلَّ: «وإذْ يمكرُ بكَ الذينَ كفروا ليُثبتوكَ أو يقتلوكَ» قالَ: أو يُخرجوكَ. ثمّ دخلَ أبو جعفرٍ إلى مدينةِ السلامِ وكانَ في نفسهِ أنْ يسمعَ من أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ فلمْ يتّفقْ ذلكَ لموتهِ قُبيلَ دخولهِ إليها[1]، وقدْ كانَ أبو عبدِ اللهِ قطعَ الحديثَ قبلَ ذلكَ بسنينَ، فأقامَ أبو جعفرٍ بمدينةِ السلامِ وكتبَ عنْ شيوخِها فأكثرَ، ثمّ انحدرَ إلى البصرةِ فسمعَ منْ كانَ بقيَ منْ شيوخِها في وقتهِ كمحمّدِ بنِ موسى الحَرَشيّ، وعمادِ بنِ موسى القزّازِ، ومحمّدِ ابنِ عبدِ الأعلى الصنعانيّ، وبشرِ بنِ معاذٍ، وأبي الأشعثِ،

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل: « إلينا ».

وَمُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ بُنْدَارٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُعَنَّى[١] وَغَيْرِهِمْ فَأَكْثَرَ، وَكَتَبَ فِي طَرِيقِهِ عَنْ شُيُوخِهِ الْوَاسِطِيِّينَ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْكُوفَةِ فَكَتَبَ فِيهَا عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ[٢]، وَهَنَّادِ بْنِ السَّرِيِّ[٣]، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى[٤]، وَغَيْرِهِمْ. وَكَانَ أَبُو كُرَيْبٍ شَرِسَ الْخُلُقِ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: حَضَرْتُ بَابَ دَارِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَاطَّلَعَ مِنْ بَابِ خَوْخَةٍ لَهُ[٥]، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَلْتَمِسُونَ الدُّخُولَ وَيَضِجُّونَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ مَا كَتَبَ عَنِّي؟ فَالْتَفَتَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ نَظَرُوا إِلَيَّ وَقَالُوا: أَنْتَ تَحْفَظُ مَا كَتَبْتَ عَنْهُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ. فَقَالُوا: هَذَا فَسَلْهُ. فَقُلْتُ: حَدَّثْتَنَا فِي كَذَا بِكَذَا، وَفِي يَوْمِ كَذَا بِكَذَا.

قَالَ: وَأَخَذَ أَبُو كُرَيْبٍ فِي مَسْأَلَتِهِ إِلَى أَنْ عَظُمَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ إِلَيَّ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَعَرَفَ قَدْرَهُ عَلَى حَدَاثَتِهِ وَمَكَّنَهُ مِنْ حَدِيثِهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَسْمَعُونَ بِهِ فَيُقَالُ: إِنَّهُ

---

(١) يريد: المعلى. الذى كثر ذكره فى معجم البلدان (٢) فى طبقات الحفاظ أنه مات سنة ثمان وأربعين ومائتين (٣) فى التهذيب أنه مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين (٤) فى التهذيب أنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين (٥) الخوخة: كوة فى الحائط ينفذ منها الضوء إلى البيت.

سَمِعَ مِنْ أَبِي كُرَيْبٍ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، ثُمَّ عادَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فَكَتَبَ بِهَا وَلَزِمَ الْمُقَامَ بِهَا مُدَّةً وَتَفَقَّهَ بِهَا وَأَخَذَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ. وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي جَعْفَرٍ: إِنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ يَخْتَارُونَ فقال[1]: مَا كُنَّا نَكْتُبُ، هَكَذَا كَتَبْتُ مُسْنَدَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيِّ وَتَرَكْتُ شَيْئًا مِنْهُ وَلَمْ أَعْلَمْ مَا كَتَبْتُ مِنْهُ ثُمَّ رَجَعْتُ لِأَضَعَ الْحَدِيثَ مَوْضِعَهُ وَأُصَنِّفَهُ، فَبَقِيَ عَلَيَّ حَدِيثٌ كَثِيرٌ مِمَّا كَتَبْتُهُ وَطَالَ عَلَيَّ مَا فَاتَنِي، وَكَتَبْتُ الْمُسْنَدَ كُلَّهُ ثَانِيًا، وَالنَّاسُ يَخْتَارُونَ، فَرُبَّمَا فَاتَهُمْ أَكْثَرُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَوْ نَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ.

ثُمَّ غَرَّبَ فَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ وَكَتَبَ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْمَشَايِخِ بِأَجْنَادِ الشَّامِ وَالسَّوَاحِلِ وَالثُّغُورِ وَأَكْثَرَ مِنْهَا، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْفُسْطَاطِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ بِهَا بَقِيَّةٌ مِنَ الشُّيُوخِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ فَأَكْثَرَ عَنْهُمُ الْكِتْبَةَ[2] مِنْ عُلُومِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَابْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِمْ ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ بِمِصْرَ وَقْتَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سِرَاجٍ الْمِصْرِيُّ[3]، وَكَانَ مُتَأَدِّبًا فَاضِلًا فِي مَعْنَاهُ، وَكَانَ مَنْ دَخَلَ الْفُسْطَاطَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا وَرَدَ لَقِيَهُ، وَتَعَرَّضَ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل: «فقالوا» (٢) الكتبة بالكسر: الكتابة.
(٣) فى الميزان: أنه مات سنة ثمان وثلاثمائة.

له فوافى أبوجعفر إلى مصر، وبان فضله عند وروده إليها فى القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر، فلقيه أبو الحسن بن سراج فوجده فاضلا فى كل ما يذاكره به من العلم، ويجيب فى كل ما يسأله عنه حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلا بارعا فيه، فسأله عن شعر الطرماح وكان من يقوم[1] به مفقودا فى البلد فإذا هو يحفظه، فسئل أن يمليه حفظا بغريبه، فعهدى به وهو يمليه عند بيت المال فى الجامع.

وكان قد لقى بمصر أبا إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم[2] المزنى فتكلما فى أشياء منها الكلام فى الإجماع، وكان أبو جعفر قد اختار من مذاهب الفقهاء قولا اجتهد فيه بعد أن كان ابتدأ بالفقه فى مدينة السلام على مذهب الشافعى رضى الله عنه، وكتب كتابه عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى عنه[3] ودرسه فى العراق على جماعة منهم: أبو سعيد الإصطخرى وغيره وهو حدث قبل خروجه إلى الفسطاط.

وقال أبو بكر بن كامل: خرج إلينا ليلة أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ونحن نقرأ عليه كتاب قراءة

---

(١) فى الأصل «تقدم» وهذا التصحيح نقلا عن هامش الأصل

(٢) عند السبكى اسمه إسماعيل بن يحيى ومات سنة ٢٦٤ (٣) يعنى عن الشافعى، راجع كتاب الأنساب للسمعانى.

أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ الْكَبِيرِ فَوَجَدَنَا نَتَنَاظَرُ فِى « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِنَا مِنَ الشَّافِعِيِّينَ ، وَهَلْ هِيَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ أَمْ لَا ؟ وَكَانَ الْمَجْلِسُ حَفْلًا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِنَا ، وَكَانَ يُسَمِّينِي فِى بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لِقِرَاءَتِى عَلَيْهِ الْكِسَائِيَّ . فَقَالَ لِى : كِسَائِيُّ فِيمَ أَنْتُمْ ؟ فَعَرَّفْتُهُ فَقَالَ : وَعَلَى مَذْهَبِ مَنْ تَتَفَقَّهُ ؟ فَقُلْتُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ . فَقَالَ رَحِمَ اللهُ أَبَا جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا بِحَدِيثِ نُوحِ بْنِ أَبِي بِلَالٍ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِى « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، ثُمَّ أَخَذَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ فِى مَدْحِ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ وَقَالَ : بَلَغَنَا أَنَّهُ الْتَقَى مَعَ الْمُزَنِيِّ فَلَا تَسْأَلْ كَيْفَ اسْتِظْهَارُهُ عَلَيْهِ ؟ وَالشَّافِعِيُّونَ حُضُورٌ يَسْمَعُونَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ مِمَّا جَرَى بَيْنَهُمَا شَيْئًا . قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي تَنَاظَرَ فِيهَا هُوَ وَالْمُزَنِيُّ فَلَمْ يَذْكُرْهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَرْفَعَ نَفْسَهُ وَأَنْ يَذْكُرَ ظَفَرَهُ (١) عَلَى خَصْمٍ فِى مَسْأَلَةٍ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يُفَضِّلُ الْمُزَنِيَّ فَيُطْرِيهِ وَيَذْكُرُ دِينَهُ وَقَالَ : جَفَانِى (٢) بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِى مَجْلِسِهِ فَانْقَطَعْتُ عَنْهُ زَمَانًا ثُمَّ إِنَّهُ لَقِيَنِي فَاعْتَذَرَ إِلَيَّ كَأَنَّهُ قَدْ جَنَى

(١) لم تكن هذه الكلمة فى الأصل (٢) كانت فى الأصل : « جفا »

جِنَايَةً وَلَمْ يَزَلْ فى تَرَفُّقِهِ وَكَلامِهِ حَتَّى عُدْتُ إِلَيْهِ . وَبَلَغَنَا أَنَّهُ سُئِلَ بِالفُسْطَاطِ أَنْ يَرُدَّ عَلَى مَالِكٍ فى شىء فَرَدَّ عَلَيْهِ فِى شىء كَانَ الْكَلَامُ فِيهِ لِابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَكَانَتْ أَجْزَاءً وَلَمْ تَقَعْ فِى أَيْدِينَا ، وَلَعَلَّهُ مِمَّا مَنَعَ الْخُصُومُ نَشْرَهُ . وَقَالَ لَنَا أَبُو جَعْفَرٍ : لَمَّا وَرَدْتُ مِصْرَ فِى سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ نَزَلْتُ عَلَى الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَأَمَرَ مَنْ يَأْخُذُ لِى دَاراً قَرِيبَةً مِنْهُ وَجَاءَنِى أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : « تَحْتَاجُ إِلَى قَصْرِيَّةٍ وَزِيرٍ وَحِمَارَيْنِ وَسِدَّةٍ . فَقُلْتُ : أَمَّا الْقَصْرِيَّةُ فَأَنَا لَا وَلَدَ لِى ، وَمَا حَلَلْتُ سَرَاوِيلِى عَلَى حَرَامٍ وَلَا حَلَالٍ قَطُّ ، وَأَمَّا الزِّيرُ فَمِنَ الْمَلَاهِى وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِى ، وَأَمَّا الْحِمَارَانِ فَإِنَّ أَبِى وَهَبَ لِى بِضَاعَةً أَنَا أَسْتَعِينُ بِهَا فِى طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَإِنْ صَرَفْتُهَا فِى ثَمَنِ حِمَارَيْنِ فَبِأَىِّ شَىْء أَطْلُبُ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : فَتَبَسَّمُوا فَقُلْتُ : إِلَى كَمْ يَحْتَاجُ هَذَا ؟ فَقَالُوا يَحْتَاجُ إِلَى دِرْهَمَيْنِ وَثُلُثَيْنِ ، فَأَخَذُوا ذَلِكَ مِنِّى وَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَشْيَاءُ مُتَّفِقَةٌ ، وَجَاءُونِى بِإِجَّانَةٍ (١) وَحُبٍّ (٢) لِلْمَاءِ وَأَرْبَعِ خَشَبَاتٍ قَدْ شَدُّوا وَسَطَهَا بِشَرِيطٍ وَقَالُوا : الزِّيرُ لِلْمَاءِ ، وَالْقَصْرِيَّةُ لِلْخُبْزِ ، وَالْحِمَارَانِ وَالسِّدَّةُ تَنَامُ عَلَيْهَا مِنَ الْبَرَاغِيثِ فَنَفَعَنِى ذَلِكَ ، وَكَثُرَتِ الْبَرَاغِيثُ فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ نَزَعْتُ

(١) الاجانة : إناء تغسل فيه الثياب (٢) الحب : وعاء الماء ، وهو مانسميه الزير وفى الأصل : « الجب بالجيم » .

ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت إلى السدة خوفاً منها.

وقال هارون بن عبد العزيز: قال أبو جعفر: لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: على قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضيا. ثم رجع إلى مدينة السلام وكتب أيضاً ثم رجع إلى طبرستان وهي الدفعة الأولى، ثم الثانية كانت في سنة تسعين ومائتين، ثم رجع إلى بغداد فنزل في قنطرة البردان واشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالفهم والتقدم.

قال عبد العزيز بن هارون: لما دخل أبو جعفر إلى الدينور ماضياً إلى طبرستان دعاه بعض أهل العلم بها، فلما اجتمعا قلت يا أبا جعفر، ما يحسن بنا أن نجتمع ولا نتذاكر، فقال عبد الله بن حمدان: قد ذاكرته فأغربت عليه خمسة وثمانين حديثاً، وأغرب علي ثمانية عشر حديثاً. قال عبد العزيز: ثم

لقيتُ بعدَ ذلكَ أَبا بكرِ بنَ سهلٍ الدينوريَّ وكانَ من العُلماء والحُفّاظِ للحديثِ فحدَّثتُه بذلكَ فقالَ: كذَب، واللهِ الذي لا إله إلّا هوَ لقدْ قدِمَ إلينا أبو جعفرٍ فدعاهُ المعروفُ بالكسائيِّ ودعا معهُ أهلَ العلمِ وكنتُ حاضراً ومعنا ابنُ حمدانَ فقرأَ على أبي جعفرٍ كتابَ الجنائزِ منَ الاختلافِ فقالَ لهُ أبو جعفرٍ: ليسَ يصلحُ لنا أنْ نفترقَ من غيرِ مذاكرةٍ، وهذا كتابُ الجنائزِ فنتذاكرُ بمسندهِ ومقطوعهِ، وما اختلفَ فيهِ الصَّحابةُ والتابعونَ والعُلماءُ. فقالَ ابنُ حمدانَ: أمّا المسنَدُ فأذاكرُ بهِ، وأمّا سواهُ فلا أذاكرُ بهِ، فأغربَ عليهِ ثلاثةً وثمانينَ حديثاً، وأغربَ عليهِ ابنُ حمدانَ ثمانيةَ عشرَ حديثاً، وكانَ ابنُ حمدانَ فيما أغربَ بهِ على أبي جعفرٍ أقبحَ ممّا أغربَ بهِ أبو جعفرٍ لأنّهُ كانَ إذا أغربَ ابنُ حمدانَ بحديثٍ قالَ لهُ أبو جعفرٍ: هذا خطأٌ من جهةِ كذا، ومثلي لا يُذاكرُ بهِ فيخجلُ وينقطعُ. فلمّا قدِمَ إلى بغدادَ من طبرستانَ بعدَ رجوعهِ إليها تعصّبَ عليهِ أبو عبدِ اللهِ الجصّاصُ، وجعفرُ بنُ عرفةَ، والبياضيُّ (١). وقصدهُ الحنابلةُ فسألوهُ عنْ أحمدَ بنِ حنبلٍ في الجامعِ يومَ الجمعةِ وعنْ حديثِ الجلوسِ على العرشِ. فقالَ

(١) اسمه: أبو على محمد بن عيسى. ومات سنة ثلاث وتسعين ومائتين: قاله السمعانى فى الأنساب.

أَبُو جعفرٍ : أَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حنبلٍ فلا يُعَدُّ خلافهُ . فَقَالُوا لَهُ : فقدْ ذَكَرَهُ الْعُلَماءُ فِي الاخْتِلَافِ فقالَ : مَا رَأَيْتهُ رُوِيَ عنهُ وَلَا رَأَيْتُ لَهُ أَصْحَابًا يُعَوَّلُ عليهِمْ . وَأَمَّا حَدِيثُ الْجُلُوسِ على الْعَرْشِ فمُحَالٌ ثُمَّ أَنْشَدَ :

سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَنِيسُ وَلَا لَهُ فِي عَرْشِهِ جَلِيسُ

فلمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْحَنَابِلَةُ مِنْهُ وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَثَبُوا وَرَمَوْهُ بِمَحَابِرِهِمْ وَقِيلَ كَانَتْ أُلُوفًا ، فَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ بِنَفْسِهِ وَدَخَلَ دَارَهُ ، فرمَوْا دَارَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى صَارَ عَلَى بَابِهِ كَالتَّلِّ الْعَظِيمِ ، وَرَكِبَ نَازُوكُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ فِي عشَرَاتِ أُلُوفٍ مِنَ الْجُنْدِ يَمْنَعُ عَنْهُ الْعَامَّةَ ، وَوَقَفَ على بَابِهِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ وَأَمَرَ بِرَفْعِ الْحِجَارَةِ عَنْهُ . وَكَانَ قَدْ كَتَبَ عَلَى بَابِهِ :

سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَنِيسُ وَلَا لَهُ فِي عَرْشِهِ جَلِيسُ

فَأَمَرَ نَازُوكُ بِمَحْوِ ذَلِكَ . وَكَتَبَ مَكَانَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ :

لِأَحْمَدَ مَنْزِلٌ لَا شَكَّ عَالٍ إِذَا وَافَى إِلَى الرَّحْمَنِ وَافِدْ
فَيُدْنِيهِ وَيُقْعِدُهُ كَرِيمًا عَلَى رَغْمٍ لَهُمْ فِي أَنْفِ حَاسِدْ
عَلَى عَرْشٍ يُغَلِّفُهُ بِطِيبٍ (١) عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ بَاغٍ وَعَانِدْ

(١) يغلفه الخ : يضمخه ويطيبه

لَهُ هذَا الْمَقَامُ الفَرْدُ حقًّا (١) كَذَاكَ رَوَاهُ لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدْ

نَخَلا فِى دَارِهِ وَعَمِلَ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ فِى الِاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ، وَذَكَرَ مَذْهَبَهُ وَاعْتِقَادَهُ وَجَرَّحَ مَنْ ظَنَّ فِيهِ غَيْرَ ذَلِكَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ وَفَضَّلَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَذَكَرَ مَذْهَبَهُ وَتَصْوِيبَ اعْتِقَادِهِ وَلَمْ يَزَلْ فِى ذِكْرِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَلَمْ يُخْرِجْ كِتَابَهُ فِى الِاخْتِلَافِ حَتَّى مَاتَ فَوَجَدُوهُ مَدْفُونًا فِى التُّرَابِ فَأَخْرَجُوهُ وَنَسَخُوهُ أَعْنِى اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ، هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبِى – رَحِمَهُ اللهُ – .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِىُّ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالذَّكَاءِ وَالْحِفْظِ عَلَى مَا لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ عَرَفَهُ لِجَمْعِهِ مِنْ عُلُومِ الْإِسْلَامِ مَا لَمْ نَعْلَمْهُ اجْتَمَعَ لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا ظَهَرَ مِنْ كُتُبِ الْمُصَنِّفِينَ، وَانْتَشَرَ مِنْ كُتُبِ الْمُؤَلِّفِينَ مَا انْتَشَرَ لَهُ، وَكَانَ رَاجِحًا فِى عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالْقِرَاءَاتِ وَعِلْمِ التَّارِيخِ مِنَ الرُّسُلِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ مَعَ الرِّوَايَةِ، كَذَلِكَ عَلَى مَا فِى كِتَابِهِ الْبَسِيطِ وَالتَّهْذِيبِ وَأَحْكَامِ الْقِرَاءَاتِ مِنْ غَيْرِ تَعْوِيلٍ عَلَى الْمُنَاوَلَاتِ وَالْإِجَازَاتِ وَلَا عَلَى مَا قِيلَ فِى الْأَقْوَالِ، بَلْ يَذْكُرُ ذَلِكَ بِالْأَسَانِيدِ

(١) فى الأصل : « هذا المقام حقا » فأصلحته . « عبد الخالق »

الْمَشْهُورَةِ ، وَقَدْ بَانَ فَضْلُهُ فِى عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ فِى كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَكِتَابِ التَّهْذِيبِ مُخْبِرًا عَنْ حَالِهِ فِيهِ . وَقَدْ كَانَ لَهُ قَدَمٌ فِى عِلْمِ الْجَدَلِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مُنَاقَضَاتُهُ فِى كُتُبِهِ عَلَى الْمُعَارِضِينَ لِمَعَانِى مَا أَتَى بِهِ ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْخُشُوعِ وَالْأَمَانَةِ وَتَصْفِيَةِ الْأَعْمَالِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ وَحَقَائِقِ الْأَفْعَالِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فِى آدَابِ النُّفُوسِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مِنَ الشِّعْرِ لِلْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا جَاهِلٌ بِهِ . وَقَالَ أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الزَّاهِدُ : سَمِعْتُ ثَعْلَبًا يَقُولُ : قَرَأَ عَلَىَّ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِىُّ شِعْرَ الشُّعَرَاءِ قَبْلَ أَنْ يَكْثُرَ النَّاسُ عِنْدِى بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ : قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا : مَنْ بَقِىَ عِنْدَكُمْ ؟ يَعْنِى فِى الْجَانِبِ الشَّرْقِىِّ بِبَغْدَادَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ ؟ فَقُلْتُ : مَا بَقِىَ أَحَدٌ ، مَاتَ الشُّيُوخُ . فَقَالَ : حَتَّى خَلَا جَانِبُكُمْ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الطَّبَرِىُّ الْفَقِيهُ . فَقَالَ لِى : ابْنُ جَرِيرٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : ذَاكَ مِنْ حُذَّاقِ الْكُوفِيِّينَ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَذَا مِنْ أَبِى الْعَبَّاسِ كَثِيرٌ لِأَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ النَّفْسِ شَرِسَ الْأَخْلَاقِ ، وَكَانَ قَلِيلَ الشَّهَادَةِ لِأَحَدٍ بِالْحِذْقِ فِى عِلْمِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ : قَنْطَرَةُ الْبَرَدَانِ مَحْفُوظَةٌ

مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّحْوِيِّينَ ، كَانَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ ، وَمَسْجِدُهُ وَرَاءَ سُوَيْقَةِ جَعْفَرٍ مَعْرُوفٌ بِهِ ، وَكَانَ فِيهَا عَلَّانُ الْأَزْدِيُّ وَمَسْجِدُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْرُوفٌ بِهِ ، وَكَانَ بِهَا[١] أَبُو بَكْرٍ هِشَامُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ النَّحْوِيُّ وَكَانَ فَاضِلًا مَسْجِدُهُ عِنْدَ مَسْجِدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْكِسَائِيِّ ، وَكَانَ بِهَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْكِسَائِيُّ ، وَعَنْهُ انْتَشَرَتْ رِوَايَةُ أَبِي الْحَارِثِ عَنِ الْكِسَائِيِّ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ كِبَارُ النَّاسِ ، وَنَزَلَهَا أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ قَدْ نَظَرَ فِي الْمَنْطِقِ وَالْحِسَابِ وَالْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ وَكَثِيرٍ مِنْ فُنُونِ أَبْوَابِ الْحِسَابِ وَفِي الطِّبِّ ، وَأَخَذَ مِنْهُ قِسْطًا وَافِرًا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُهُ فِي الْوَصَايَا ، وَكَانَ عَازِفًا[٢] عَنِ الدُّنْيَا تَارِكًا لَهَا وَلِأَهْلِهَا يَرْفَعُ نَفْسَهُ عَنِ الْتِمَاسِهَا ، وَكَانَ كَالْقَارِيءِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْقُرْآنَ ، وَكَالْمُحَدِّثِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْحَدِيثَ ، وَكَالْفَقِيهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْفِقْهَ ، وَكَالنَّحْوِيِّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ إِلَّا النَّحْوَ ، وَكَالْحَاسِبِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْحِسَابَ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْعِبَادَاتِ جَامِعًا لِلْعُلُومِ ، وَإِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ كُتُبِهِ وَكُتُبِ غَيْرِهِ وَجَدْتَ لِكُتُبِهِ فَضْلًا عَلَى غَيْرِهَا . وَمِنْ كُتُبِهِ : كِتَابُهُ الْمُسَمَّى جَامِعَ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ .

---

(١) لم تكن هذه الكلمة فى الأصل (٢) كانت فى الأصل : « خلفا » وفى هامشه : لعلها « خليا » .

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ: أَمْلَى عَلَيْنَا مِنْ[1] كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِائَةً وَخَمْسِينَ آيَةً، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ عَلَيْنَا وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَاشْتَهَرَ الْكِتَابُ وَارْتَفَعَ ذِكْرُهُ وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ يَحْيَيَانِ، وَلِأَهْلِ الْإِعْرَابِ وَالْمَعَانِي مَعْقِلَانِ[2]، وَكَانَ أَيْضًا فِي الْوَقْتِ غَيْرُهُمَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ الرُّسْتُمِيِّ، وَأَبِي حَسَنِ بْنِ كَيْسَانَ، وَالْمُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ، وَالْجَعْدِ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّحْوِيِّينَ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا اللِّسَانِ، وَحُمِلَ هَذَا الْكِتَابُ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا وَقَرَأَهُ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي وَقْتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكُلٌّ فَضَّلَهُ وَقَدَّمَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: حَدَّثَنِي بِهِ نَفْسِي وَأَنَا صَبِيٌّ. قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ: كَانَ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ يَعِيشُ زَمَانًا طَوِيلًا بِمُقَابَلَةِ الْكُتُبِ مَعَ النَّاسِ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: فَسَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ فَقَالَ: قَابَلْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ حَرْفًا وَاحِدًا خَطَأً فِي نَحْوٍ وَلَا لُغَةٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي عَمَلِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ، وَسَأَلْتُهُ الْعَوْنَ عَلَى مَا نَوَيْتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ أَعْمَلَهُ فَأَعَانَنِي.

---

(١) لم تكن كلمة « من » فى الأصل (٢) أى ملجآن ، مثنى معقل

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الْفَرْغَانِيُّ: أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ جِسْرِ ابْنِ عَفِيفٍ قَالَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي مَجْلِسِ أَبِي جَعْفَرٍ وَالنَّاسُ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ كِتَابَ التَّفْسِيرِ، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَسْمَعْ هَذَا الْكِتَابَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُجَاهِدٍ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ يَقُولُ: إِنِّي أَعْجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ كَيْفَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَتِهِ؟، وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ كِتَابٌ ابْتَدَأَهُ بِخُطْبَةٍ، وَرِسَالَةُ التَّفْسِيرِ تَدُلُّ عَلَى مَا خَصَّ اللهُ بِهِ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ وَالْفَصَاحَةِ الَّتِي نَافَى بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ وَفِي وُجُوهِ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَمَا يُعْلَمُ تَأْوِيلُهُ وَمَا وَرَدَ فِي جَوَازِ تَفْسِيرِهِ وَمَا حُظِرَ مِنْ ذَلِكَ وَالْكَلَامِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» وَبِأَيِّ الْأَلْسِنَةِ نَزَلَ؟ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ وَتَفْسِيرِ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّوَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَدَّمَهُ، ثُمَّ تَلَاهُ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ حَرْفًا حَرْفًا فَذَكَرَ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْإِعْرَابِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ،

وَجُمَلاً مِنَ القراءاتِ وَاخْتِلافِ القِراءَةِ فِيمَا فِيهِ مِنَ المَصَادِرِ وَاللُّغَاتِ وَالجَمْعِ وَالتَّثْنِيَةِ ، وَالكَلَامَ فِى نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَأَحْكَامَ القُرْآنِ وَالخِلَافَ فِيهِ وَالرَّدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ النَّظَرِ فِيمَا تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ البِدَعِ ، وَالرَّدَّ عَلَيْهِمْ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ وَمُبْتَغِى السُّنَنِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِتَفْسِيرِ أَبِى جَادَ وَحُرُوفِهَا وَخِلَافِ النَّاسِ فِيهَا ، وَمَا اخْتَارَهُ مِنْ تَأْوِيلِهَا بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَزِيدَ فِيهِ بَلْ لَا يَرَاهُ مَجْمُوعاً لِأَحَدٍ غَيْرِهِ ، وَذَكَرَ فِيهِ مِنْ كُتُبِ التَّفَاسِيرِ المُصَنَّفَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ خَمْسَةَ طُرُقٍ ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ طَرِيقَيْنِ ، وَعَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ ثَلَاثَةَ طُرُقٍ ، وَرُبَّمَا كَانَ عَنْهُ فِى مَوَاضِعَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ ثَلَاثَةَ طُرُقٍ ، وَعَنِ الحَسَنِ البَصْرِىِّ ثَلَاثَةَ طُرُقٍ ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ ثَلَاثَةَ طُرُقٍ ، وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ طَرِيقَيْنِ ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ طَرِيقاً ، وَتَفْسِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وَتَفْسِيرَ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَتَفْسِيرَ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ سِوَى مَا فِيهِ مِنْ مَشْهُورِ الحَدِيثِ عَنِ المُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَفِيهِ مِنَ المُسْنَدِ حَسَبَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِتَفْسِيرٍ غَيْرِ مَوْثُوقٍ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُدْخِلْ فِى كِتَابِهِ شَيْئاً عَنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الكَلْبِىِّ ، وَلَا مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ ،

وَلَا مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ لِأَنَّهُمْ عِنْدَهُ أَظِنَّاءُ [(١)] وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ إِذَا رَجَعَ إِلَى التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ وَأَخْبَارِ [(٢)] الْعَرَبِ حَكَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ وَعَنِ ابْنِهِ هِشَامٍ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ وَغَيْرِهِمْ فِيمَا يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ وَلَا يُؤْخَذُ إِلَّا عَنْهُمْ، وَذَكَرَ فِيهِ مَجْمُوعَ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي مِنْ كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِيِّ، وَمِنْ كِتَابِ يَحْيَى بْنِ زِيَادٍ الْفَرَّاءِ، وَمِنْ كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ، وَمِنْ كِتَابِ أَبِي عَلِيٍّ قُطْرُبٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْكَلَامُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، إِذْ كَانُوا هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الْمَعَانِي وَعَنْهُمْ يُؤْخَذُ مَعَانِيهِ وَإِعْرَابُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُسَمِّهِمْ إِذَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمْ، وَهَذَا كِتَابٌ يَشْتَمِلُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ أَوْ دُونَهَا حَسَبَ سَعَةِ الْخَطِّ أَوْ ضِيقِهِ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ: وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ نُسْخَةً بِبَغْدَادَ تَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ. وَمِنْ كُتُبِهِ: كِتَابُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْقِرَاءَةِ ذَكَرَ فِيهِ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ الْكُتُبِ، وَفَصَّلَ فِيهِ أَسْمَاءَ الْقُرَّاءِ بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا، وَفِيهِ مِنَ الْفَصْلِ بَيْنَ كُلِّ قِرَاءَةٍ فَيَذْكُرُ وَجْهَهَا وَتَأْوِيلَهَا وَالدَّلَالَةَ

(١) أي متهمون ، جمع ظنين (٢) كانت بالأصل : « واختيار » وهذا التصحيح عن هامش الأصل

عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كُلُّ قَارِئٍ لَهَا، وَاخْتِيَارُهُ الصَّوَابَ مِنْهَا وَالْبُرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ مَا اخْتَارَهُ مُسْتَظْهِراً فِي ذَلِكَ بِقُوَّتِهِ عَلَى التَّفْسِيرِ وَالْإِعْرَابِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَى حِفْظِ مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّبْقِ مَا لَا يَدْفَعُ ذُو بَصِيرَةٍ بَعْدَ أَنْ صَدَّرَهُ بِخُطْبَةٍ تَلِيقُ بِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَعْمَلُ فِي كُتُبِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِخُطْبَتِهِ عَلَى مَعْنَى كِتَابِهِ فَيَأْتِيَ الْكِتَابُ مَنْظُوماً عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْخُطْبَةُ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ مُجَوِّداً فِي الْقِرَاءَةِ مَوْصُوفاً بِذَلِكَ يَقْصِدُهُ الْقُرَّاءُ الْبُعَدَاءُ مِنَ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ خَلْفَهُ يَسْمَعُونَ قِرَاءَتَهُ وَتَجْوِيدَهُ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ: قَالَ لَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ: - وَقَدْ كَانَ لَا يَجْرِي ذِكْرُهُ إِلَّا فَضَّلَهُ -: مَا صُنِّفَ فِي مَعْنَى كِتَابِهِ مِثْلُهُ، وَقَالَ لَنَا: «مَا سَمِعْتُ فِي الْمِحْرَابِ أَقْرَأَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ» أَوْ كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ. قَالَ ابْنُ كَامِلٍ: وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَقْرَأُ قَدِيماً لِحَمْزَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَارَ قِرَاءَتَهُ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرْغَانِيُّ: قَالَ لَنَا أَبُو جَعْفَرٍ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَّادٍ الطَّلْحِيِّ، وَكَانَ الطَّلْحِيُّ قَدْ قَرَأَ عَلَى خَلَّادٍ، وَخَلَّادٌ قَرَأَ عَلَى سُلَيْمِ بْنِ عِيسَى، وَسُلَيْمٌ قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ، ثُمَّ أَخَذَهَا أَبُو جَعْفَرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ كَيْسَةَ

عَنْ سُلَيْمٍ عَنْ حَمْزَةَ . وَقَالَ ابْنُ كَامِلٍ : قَالَ لَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ وَقَدْ ذَكَرَ فَضْلَ كِتَابِهِ فِي الْقِرَاءَاتِ وَقَالَ : إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ فِيهِ غَلَطاً وَذَكَرَهُ لِي ، وَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ قِرَاءَتِهِ لِحَمْزَةَ وَتَجْوِيدِهِ لَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ لِأَنَّهُ بَنَى كِتَابَهُ عَلَى كِتَابِ أَبِي عُبَيْدٍ فَأَغْفَلَ أَبُو عُبَيْدٍ هَذَا الْحَرْفَ فَنَقَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ : قَالَ لَنَا أَبُو جَعْفَرٍ وُصِفَ لِي قَارِئٌ (١) بِسُوقِ يَحْيَى فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَتَقَدَّمْتُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ : « إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا » فَأَعَادَ عَلَيَّ فَأَعَدْتُهُ فِي كُلِّ قِرَاءَتِي أُبَيِّنُ فِيهِ الْيَاءَيْنِ ، وَهُوَ يَرُدُّ عَلَيَّ إِلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ : تُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ تَبْيِينِ الْيَاءَيْنِ بِكَسْرِ الْأُولَى فَلَمْ يَدْرِ مَا أَقُولُ ، فَقُمْتُ وَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَانَ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ رِوَايَةُ وَرْشٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْهُ ، وَكَانَ يَقْصِدُ فِيهَا نَحْرَصَ ـ عَلَى مَا بَلَغَنِي ـ أَبُو بَكْرِ ابْنُ مُجَاهِدٍ ـ مَعَ مَوْضِعِهِ فِي نَفْسِهِ وَعِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ ـ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مُنْفَرِداً فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَسْمَعَهَا مَعَ النَّاسِ ، فَمَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ ذَلِكَ كُرْهاً مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ

(١) لم تكن فى الأصل وقد نبه إليها فى هامشه .

أَنْ يَخُصَّ أَحَدًا بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَانَ فِي أَخْلَاقِهِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ كِتَابًا وَلَمْ يَحْضُرْهُ أَحَدُهُمْ لَا يَأْذَنُ لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَقْرَأَ دُونَ بَعْضٍ، وَإِذَا سَأَلَهُ إِنْسَانٌ فِي قِرَاءَةِ كِتَابٍ وَغَابَ لَمْ يَقْرَأْهُ حَتَّى يَحْضُرَ إِلَّا كِتَابَ الْفَتْوَى فَإِنَّهُ كَانَ أَيَّ وَقْتٍ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ أَجَابَ فِيهِ. وَكِتَابُهُ فِي الْقِرَاءَاتِ يَشْتَمِلُ عَلَى كِتَابِ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ التَّغْلِبِيِّ عَنْهُ وَعَلَيْهِ بَنَى كِتَابَهُ. وَمِنْهَا كِتَابُهُ كِتَابُ التَّارِيخِ الْكَبِيرُ الْمُسَمَّى بِتَارِيخِ الرُّسُلِ وَالْمُلُوكِ وَأَخْبَارِهِمْ، وَمَنْ كَانَ فِي زَمَنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، بَدَأَ فِيهِ بِالْخُطْبَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَعَانِيهِ ثُمَّ ذَكَرَ الزَّمَانَ مَا هُوَ؟ ثُمَّ مُدَّةَ الزَّمَانِ عَلَى اخْتِلَافِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ وَالْأُمَمِ الْمُخَالِفَةِ لَنَا فِي ذَلِكَ وَالسُّنَنَ الدَّالَّةَ عَلَى مَا اخْتَارَهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا بَابٌ لَا يَنْدُرُ وُجُودُهُ إِلَّا لَهُ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغَلِّسِ الْفَقِيهُ وَكَانَ أَفْضَلَ مَنْ رَأَيْنَاهُ فَهْمًا وَعِنَايَةً بِالْعِلْمِ وَدَرْسًا لَهُ: وَلَقَدْ كَانَ لِعِنَايَتِهِ بِدَرْسِ الْعِلْمِ تُعَبَّى كُتُبُهُ فِي جَانِبِ حَائِرٍ (١) ثُمَّ يَبْتَدِئُ فَيَدْرُسُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ مِنْهَا إِلَى أَنْ يَفْرُغَ مِنْهَا، وَهُوَ

---

(١) الحائر: المكان المطمئن.

يَنقُلُها إلى الجانبِ الآخرِ، فإذا فرغَ منها عادَ في دَرْسِها وَنقلها إلى حيثُ كانتْ فقال يوماً: ما عملَ أحدٌ في تاريخِ الزمانِ وَحصرَ الكلامَ فيهِ مثلَ ما عملهُ أبو جعفرٍ. قالَ: ولقدْ قالَ لي أبو الحسنِ بنُ المُغلسِ يوماً وهوَ يذاكرُنا شيئاً من العلمِ وَفضلِ العلماءِ فقالَ: وَاللهِ إنِّي لأظنُّ أبا جعفرٍ الطبريَّ قدْ نسيَ ممَّا حفظَ إلى أنْ ماتَ ما حفظهُ فُلانٌ طولَ عمرهِ، وذكرَ رجلاً كبيراً من أهلِ العلمِ. ثمَّ ذكرَ أبو جعفرٍ في التاريخِ الكلامَ في الدِّلالةِ على حدثِ الزَّمانِ «الأيامِ واللَّيالي» وعلى أنَّ مُحدِثَها اللهُ عزَّ وجلَّ وحدَهُ، وذكرَ أوَّلَ ما خُلِقَ وهوَ القلمُ وما بعدَ ذلكَ شيئاً شيئاً على ما وردتِ الآثارُ بهِ، واختلافَ النَّاسِ في ذلكَ. ثمَّ ذكرَ آدمَ وحوَّاءَ واللَّعينَ إبليسَ وما كانَ منْ نُزولِ آدمَ عليهِ السَّلامُ، وما كانَ بعدَهُ منْ أخبارِ نبيٍّ نبيٍّ ورسولٍ رسولٍ ومَلِكٍ ومَلِكٍ على اختصارٍ منهُ كذلكَ إلى نبيِّنا عليهِ السَّلامُ معَ مُلوكِ الطَّوائفِ ومُلوكِ الفُرسِ والرُّومِ، ثمَّ ذكرَ مولدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ونسبَهُ وآباءَهُ وأُمَّهاتِهِ وأولادَهُ وأزواجَهُ ومبعثَهُ ومغازيَهُ وسراياهُ وحالَ أصحابِهِ رضيَ اللهُ عنهُمْ، ثمَّ ذكرَ الخُلفاءَ الرَّاشدينَ المهديِّينَ بعدَهُ، ثمَّ ذكرَ

مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي أُمَيَّةَ وَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْقَطْعَيْنِ الْمَنْسُوب أَحَدُهُمَا إِلَى قَطْعِ بَنِي أُمَيَّةَ وَالثَّانِي إِلَى قَطْعِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَا شَرَحَهُ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ ، وَإِنَّمَا خَرَجَ ذَلِكَ إِلَى النَّاسِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجَازَةِ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَوَقَفَ عَلَى الَّذِي بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُقْتَدِرِ ، وَقَدْ كَانَ سُئِلَ شَرْحَ الْقَطْعَيْنِ ، فَلَمَّا سُئِلَ ذَلِكَ شَرَحَهُ وَسَمَّاهُ الْقَطْعَيْنِ ، وَهَذَا الْكِتَابُ مِنَ الْأَفْرَادِ فِي الدُّنْيَا فَضْلًا وَنَبَاهَةً ، وَهُوَ يَجْمَعُ كَثِيرًا مِنْ عُلُومِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، وَهُوَ فِي نَحْوِ خَمْسَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ . وَمِنْهَا كِتَابُهُ الْمُسَمَّى بِكِتَابِ ذَيْلِ الْمُذَيَّلِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى تَارِيخِ مَنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَهُ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ مِنْهُ أَوْ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْقَبَائِلِ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَوْتَ مَنْ مَاتَ مِنَ التَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ بَعْدَهُمْ ثُمَّ الْخَالِفِينَ إِلَى أَنْ بَلَغَ شُيُوخَهُ الَّذِينَ سَمِعَ مِنْهُمْ وَجُمَلًا مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ ، وَتَكَلَّمَ فِي الذَّبِّ عَنْ ذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ رُمِيَ بِمَذْهَبٍ هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ كَنَحْوِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَقَتَادَةَ وَعِكْرِمَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَذَكَرَ صِنْفَ مَنْ نُسِبَ إِلَى ضَعْفٍ مِنَ النَّاقِلِينَ وَلِينِهِ ، وَفِي آخِرِهِ أَبْوَابٌ حِسَانٌ مِنْ بَابِ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ الْإِخْوَةُ أَوِ الرَّجُلُ وَوَلَدُهُ وَمَنْ شُهِرَ بِكُنْيَتِهِ

دُونَ اسْمِهِ، أَوْ بِاسْمِهِ دُونَ كُنْيَتِهِ، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكُتُبِ وَأَفَاضِلِهَا يَرْغَبُ فِيهِ طُلَّابُ الْحَدِيثِ وَأَهْلُ التَّوَارِيخِ، وَكَانَ خَرَجَ إِمْلَاءَهُ بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَلْفِ وَرَقَةٍ، وَمِنْهَا كِتَابُهُ الْمَشْهُورُ بِالْفَضْلِ شَرْقًا وَغَرْبًا الْمُسَمَّى بِكِتَابِ اخْتِلَافِ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، قَصَدَ بِهِ إِلَى ذِكْرِ أَقْوَالِ الْفُقَهَاءِ وَهُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَقِيهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِرِوَايَتَيْنِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ فَقِيهُ أَهْلِ الشَّامِ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِرِوَايَتَيْنِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ مَا حَدَّثَ بِهِ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْهُ، ثُمَّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ مَوْلًى لَهُمْ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو نَصْرٍ الْكَلْبِيُّ، وَقَدْ كَانَ أَوَّلًا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ بَعْضَ أَهْلِ النَّظَرِ وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَمِلَهُ مَا كَانَ يَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِهِ، فَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَفَقَّهَ أَصْحَابَهُ بِسَهْوٍ أَسْقَطَهُ مِنْ كِتَابِهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا عَمِلَ هَذَا الْكِتَابَ «عَلَى مَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى الرَّازِيُّ»: إِنَّمَا عَمِلَهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ أَقْوَالَ مَنْ يُنَاظِرُهُ، ثُمَّ انْتَشَرَ وَطَلَبَ

منه فقرأه على أصحابه، وقد كان محمد بن داوود الأصبهاني لما صنف كتابه المعروف بكتاب الوصول إلى معرفة الأصول ذكر في باب الإجماع عن أبي جعفر الطبري: أن الإجماع عنده إجماع هؤلاء المقدم ذكرهم الثمانية النفر (١) دون غيرهم تقليداً منه لما قال أبو جعفر: أجمعوا وأجمعت الحجة على كذا، ثم قال في تصدير باب الخلاف: ثم اختلفوا فقال مالك وقال الأوزاعي كذا وقال فلان كذا: إن الذين حكي عنهم الإجماع هم الذين حكي عنهم الاختلاف وهذا غلط من ابن داود، ولو رجع إلى كتابه في رسالة اللطيف وفي رسالة الاختلاف وما (٢) أودعه كثيراً من كتبه من أن الإجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار دون أن يكون ذلك رأياً ومأخوذاً جهة القياس، لعلم أن ما ذهب إليه من ذلك غلط فاحش وخطأ بين. وكان أبو جعفر يفضل كتاب الاختلاف وهو أول ما صنف من كتبه وكان يقول كثيراً: لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه: الاختلاف واللطيف، وكتاب الاختلاف نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولم يستقص فيه اختياره

(١) في هذا الكلام إضافة الثمانية إلى نفر بدون أل فألحقنها بها (٢) كانت في الأصل: « ما » بدون واو قبلها. « عبد الخالق »

لِأَجْلِ أَنَّهُ قَدْ جَوَّدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّطِيفِ، وَلِئَلَّا يَتَكَرَّرَ كَلَامُهُ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ جَعَلَ لِكِتَابِ الِاخْتِلَافِ رِسَالَةً بَدَأَ بِهَا ثُمَّ قَطَعَهَا، ذَكَرَ فِيهَا عِنْدَ(١) الْكَلَامِ فِي الْإِجْمَاعِ وَأَخْبَارِ الْآحَادِ الْعُدُولِ زِيَادَاتٍ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّطِيفِ، وَشَيْئًا مِنَ الْكَلَامِ فِي الْمَرَاسِيلِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ. وَلَهُ كِتَابُ الشُّرُوطِ الْمُسَمَّى أَمْثِلَةَ الْعُدُولِ وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ كُتُبِهِ الَّتِي يُعَوِّلُ عَلَيْهَا أَهْلُ مَدِينَةِ السَّلَامِ. وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ مُقَدَّمًا فِي عِلْمِ الشُّرُوطِ قَيِّمًا بِهِ. وَمِنْ جِيَادِ كُتُبِهِ: كِتَابُهُ الْمُسَمَّى بِكِتَابِ لَطِيفِ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مَجْمُوعُ مَذْهَبِهِ الَّذِي يُعَوِّلُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ مِنْ أَنْفَسِ كُتُبِهِ وَكُتُبِ الْفُقَهَاءِ، وَأَفْضَلِ أُمَّهَاتِ الْمَذَاهِبِ وَأَسَدِّهَا تَصْنِيفًا، وَمَنْ قَرَأَهُ وَتَدَبَّرَهُ رَأَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ رَامِيكَ يَقُولُ: مَا عُمِلَ كِتَابٌ فِي مَذْهَبٍ أَجْوَدُ مِنْ كِتَابِ أَبِي جَعْفَرٍ اللَّطِيفِ لِمَذْهَبِهِ، وَكَانَ يَعْتَذِرُ فِي اخْتِصَارِهِ كَثِيرًا فِي أَوَّلِهِ، وَكُتُبُهُ تَزِيدُ عَلَى كِتَابِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقَدْرِ ثَلَاثَةَ(٢) كُتُبٍ: كِتَابَ اللِّبَاسِ، كِتَابَ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ، كِتَابَ الشُّرْبِ وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ الْكُتُبِ وَأَحْسَنِهَا وَهُوَ كَالْمُنْفَرِدِ

(١) لم تكن هذه الكلمة في الأصل (٢) كانت في الأصل: وثلاثة.

فِيهِ، وَلَا يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ قَوْلَهُ: كِتَابُ اللَّطِيفِ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ صِغَرَهُ وَخِفَّةَ مَحْمَلِ وَزْنِهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ لَطِيفَ الْقَوْلِ كَدِقَّةِ مَعَانِيهِ وَكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ النَّظَرِ وَالتَّعْلِيلَاتِ، وَهُوَ يَكُونُ نَحْوَ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ. وَفِيهِ كِتَابٌ جَيِّدٌ فِي الشُّرُوطِ يُسَمَّى بِأَمْثِلَةِ الْعُدُولِ مِنَ اللَّطِيفِ، وَلِهَذَا الْكِتَابِ رِسَالَةٌ فِيهَا الْكَلَامُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَالْكَلَامُ فِي الْإِجْمَاعِ وَأَخْبَارِ الْآحَادِ وَالْمَرَاسِيلِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِي الْأَحْكَامِ، وَالْمُجْمَلِ وَالْمُفَسَّرِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَالْكَلَامُ فِي أَفْعَالِ الرُّسُلِ وَالْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ وَالِاجْتِهَادِ، وَفِي إِبْطَالِ الِاسْتِحْسَانِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَكَلَّمَ فِيهِ. وَمِنْ جِيَادِ كُتُبِهِ: كِتَابُهُ الْمَعْرُوفُ بِكِتَابِ الْخَفِيفِ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ اللَّطِيفِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَزِيزِيُّ أَرَادَ النَّظَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَرَاسَلَهُ فِي اخْتِصَارِ كِتَابٍ لَهُ، فَعَمِلَ هَذَا الْكِتَابَ لِيَقْرُبَ مُتَنَاوَلُهُ وَهُوَ نَحْوٌ مِنَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَرَقَةٍ (١)، وَهُوَ كِتَابٌ قَرِيبٌ عَلَى النَّاظِرِ فِيهِ كَثِيرُ الْمَسَائِلِ يَصْلُحُ لِتَذَكُّرِ الْعَالِمِ وَالْمُبْتَدِئِ الْمُتَعَلِّمِ. وَمِنْهَا كِتَابُ تَهْذِيبِ الْآثَارِ وَتَفْصِيلِ

(١) في هذا الكلام مثل ما تقدم، وصوابه وهو نحو من أربعمائة الورقة «عبد الخالق»

الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله ويصعب عليهم تتمته.

قال أبو بكر بن كامل: لم أر بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم منه، لأني أروض نفسي في عمل مسند عبد الله بن مسعود في حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ولا يستوى لي[1].

ومن كتبه الفاضلة: كتابه المسمى بكتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وهذا الكتاب قدم له كتابا سماه كتاب مراتب العلماء حسنا في معناه، ذكر فيه خطبة الكتاب وحض فيه على طلب العلم والتفقه وغمز فيه[2] على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه. ثم ذكر فيه العلماء ممن تفقه على مذهبه[3] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخذ عنهم، ثم من أخذ عنهم ثم من أخذ عمن أخذ عنهم من فقهاء الأمصار. بدأ بالمدينة لأنها مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أبو بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم، ثم بمكة لأنها الحرم الشريف، ثم العراقين الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان، ثم خرج

(١) أى لا يستقيم لى (٢) أى أشار فيه (٣) الضمير راجع إلى نفس الشخص من الأصحاب «عبد الخالق»

إلى كتاب الصلاة بعد ذكر الطهارة ، وذكر فى هذا الكتاب اختلاف المختلفين واتفاقهم فيما تكلموا فيه على الاستقصاء والتبيين فى ذلك والدلالة لكل قائل منهم ، والصواب من القول فى ذلك ، وخرج منه نحو ألفى ورقة . وأخرج من هذا الكتاب كتاب آداب القضاة وهو أحد الكتب المعدودة له المشهورة بالتجويد والتفضيل ، لأنه ذكر فيه بعد خطبة الكتاب الكلام فى مدح القضاة وكتابهم ، وما ينبغى للقاضى إذا ولى أن يعمل به وتسليمه له ونظره فيه ثم ما ينقض فيه أحكام من تقدمه ، والكلام فى السجلات والشهادات والدعاوى والبينات وسيأتى ذكر ما يحتاج إليه الحاكم من جميع الفقه إلى أن فرغ منه وهو فى ألف ورقة ، وكان يجتهد بأصحابه أن يأخذوا البسيط والتهذيب ويجدوا فى قراءتهما ، ويشتغلوا بهما دون غيرهما من الكتب .

ومن جياد كتبه : كتابه المسمى بكتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة ، وربما سماه بأدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة ، وربما زاد فى ترجمته المشتمل على علوم الدين والفضل والورع والإخلاص والشكر والكلام فى الرياء [1] والكبر والتخاضع والخشوع والصبر والأمر بالمعروف

(١) كانت فى الأصل : « الزنى » وهذا التصحيح عن هامش الأصل .

وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبَدَأَ فِيهِ بِالْكَلَامِ فِي الْوَسْوَسَةِ وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الدُّعَاءِ وَفَضْلِ الْقُرْآنِ وَأَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ وَدَلَائِلِهَا، وَمَا رُوِيَ مِنَ السُّنَنِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي ذَلِكَ، وَقَطَعَ الْإِمْلَاءَ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ مَا خَرَجَ مِنْهُ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ، وَكَانَ قَدْ عَمِلَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ وَلَمْ يُخْرِجْهَا إِلَى النَّاسِ فِي الْإِمْلَاءِ، وَوَقَعَ ذَلِكَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الدِّينَوَرِيِّ الْوَرَّاقِ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى الشَّامِ فَقُطِعَ عَلَيْهِ[1] وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا جُزْءَانِ فِيهِمَا الْكَلَامُ فِي حُقُوقِ اللهِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي بَصَرِهِ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ فِي سَمْعِهِ، وَكَانَ ابْتَدَأَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَاتَ بَعْدَ مُدَيْدَةٍ مِنْ قَطْعِهِ الْإِمْلَاءَ وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ خَرَجَ هَذَا الْكِتَابُ كَانَ فِيهِ جَمَالٌ لِأَنَّهُ كَانَ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بَعْدَ الْكَلَامِ فِي الْحُقُوقِ اللَّازِمَةِ لِلْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُعِيذُنَا مِنْهُ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَشُرُوطِهَا وَأَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَمَا وَرَدَ فِيهَا وَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَمِمَّا صَنَّفَ وَخَرَّجَ: كِتَابُ الْمُسْنَدِ الْمُجَرَّدِ، وَقَدْ كَتَبَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ الْأَكْثَرَ مِنْهُ، وَذَكَرَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِهِ عَنِ الشُّيُوخِ

(١) يعني الطريق، والمنى: عجز عن السفر، أو حيل بينه وبين ما يؤمله.

مَا قرأه على النَّاسِ . وَمِنْهَا كِتَابُهُ الْمُسَمَّى بِكِتَابِ الرَّدِّ عَلَى ذِى الأَسفَارِ، يَرُدُّ فيهِ عَلى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الأَصْبَهَانِيّ ، وَكَانَ سَبَبُ تَصنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ أَبَا جعفرٍ كَانَ قد لَزِمَ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ مُدَّةً، وَكَتَبَ مِنْ كُتُبِهِ كَثِيراً .

وَوَجَدْنَا فِى مِيرَاثِهِ مِنْ كُتُبِهِ ثَمَانِينَ جزْءاً بِخَطِّهِ الدَّقِيقِ ، وَكَانَ فِيهَا الْمَسْأَلَةُ الَّتِي جرَتْ بَيْنَ دَاوُدَ بْن عَلِيٍّ وَبَيْنَ أَبِي الْمُجَالِدِ الضَّرِيرِ الْمُعْتَزِلِيِّ بِوَاسِطَ عِنْدَ خُرُوجِهِمَا إِلَى الْمُوَفَّقِ لَمَّا وَقَعَ التَّنَازُعُ فِى خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ قدْ أَخَذَ مِنَ النَّظَرِ وَمِنَ الْحَدِيثِ وَمِنَ الاخْتِلَافِ وَمِنَ السُّنَنِ حَظّاً لَيْسَ بِالْمُتَّسِعِ ، وَكَانَ بَسِيطَ اللِّسَانِ (١) حَسَنَ الْكَلَامِ مُتَمَكِّناً مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَهُ أَصْحَابٌ فِيهِمْ دُعَابَةٌ (٢) قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْهُمْ حَتَّى صَارَتْ لِبَعْضِهِمْ خُلُقاً يَسْتَعْمِلُهُ فِى النَّظَرِ لِقَطْعِ مُخَالِفِيهِ . وَكَانَ رُبَّمَا نَاظَرَ دَاوُدُ ابْنُ عَلِيٍّ الأَثْبَاتَ فِى الْمَسْأَلَةِ فِى الْفِقْهِ فَيَرَاهُ (٣) مُقَصِّراً فِى الْحَدِيثِ فَيَنْقُلُهُ إِلَيْهِ أَوْ يُكَلِّمُهُ فِى الْحَدِيثِ فَيَنْقُلُهُ إِلَى الْفِقْهِ أَوْ إِلَى الْجَدَلِ إِذَا كَانَ خَصْمُهُ مُقَصِّراً فِيهِمَا ، وَكَانَ هُوَ مُقَصِّراً فِى النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَإِنْ كَانَ عَارِفاً بِقِطْعَةٍ مِنْهُ . وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ مَلِيًّا (٤) بِمَا نَهَضَ فِيهِ مِنْ أَىِّ عِلْمٍ كَانَ ، وَكَانَ مُتَوَقِّفاً عَنِ الأَخْلَاقِ الَّتِي

(١) أى منبسطه (٢) الدعابة : المزاح والقول المضحك (٣) يريد فيرى نفسه

(٤) مليا : أصله مليئاً : وهو الغنى المقتدر .

لَا تَلِيقُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا يُؤْثِرُهَا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَكَانَ يُحِبُّ الْجِدَّ فِى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ. وَجَرَتْ مَسْأَلَةٌ يَوْمًا بَيْنَ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَبَيْنَ أَبِى جَعْفَرٍ فَوَقَفَ الْكَلَامُ عَلَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ بِكَلِمَةٍ مَضَّةٍ (١) فَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَعَمِلَ هَذَا الْكِتَابَ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ شَيْئًا بَعْدَ شَىْءٍ إِلَى أَنْ أَخْرَجَ مِنْهُ قِطْعَةً نَحْوَ مِائَةِ وَرَقَةٍ، وَكَانَ ابْتَدَأَ الْكَلَامَ فِيهِ بِخُطْبَةٍ مِنْ غَيْرِ إِمْلَاءٍ وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ مَا عَمِلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَمِنْ أَحْسَنِهِ كَلَامًا فِيهِ حَمْلًا عَلَى اللَّفْظِ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَطَعَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا مَاتَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ فَلَمْ يَحْصُلْ فِى أَيْدِى أَصْحَابِهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَتَبَهُ مِنْهُ مُقَدَّمُو أَصْحَابِهِ وَلَمْ يُنْقَلْ. فَمِمَّنْ كَتَبَ هَذَا الْكِتَابَ مِنْهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ حَيَّانَ الْحُلْوَانِىُّ.

— قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ: وَسَمِعْنَاهُ مِنْهُ عَنْهُ — وَأَبُو الطَّيِّبِ الْجُرْجَانِىُّ وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الصَّوَّافِ، وَأَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحْسِنُ وَغَيْرُهُمْ، وَقَالَ الرَّوَّابِىُّ وَكَانَ مِنْ مُقَدَّمِى أَصْحَابِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ دَاوُدَ قَطَعَ كَلَامَ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِى كَلَّمَ أَبَا جَعْفَرٍ سَنَةً مُجَازَاةً لَهُ عَلَى مَا جَرَى مِنْهُ عَلَى أَبِى جَعْفَرٍ، ثُمَّ تَعَرَّضَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ لِلرَّدِّ عَلَى أَبِى جَعْفَرٍ فِيمَا رَدَّهُ

(١) أى ممضة موجعة

عَلَى أَبِيهِ فتعسّفَ الكَلَامَ (١) عَلَى ثَلَاثِ مَسَائِلَ خَاصَّةٍ وَأَخَذَ فِي سَبِّ أَبِي جعفرٍ وَهُوَ كِتَابُهُ المَنْسُوبُ إِلَى الرَّدِّ عَلَى أَبِي جعفرِ بنِ جريرٍ.

قَالَ أَبُو الحسنِ بْنُ المُغَلِّسِ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاوُدَ ابْنِ عَلِيٍّ: كَانَ فِي نَفْسِي مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ ابْنُ جريرٍ عَلَى أَبِي، فَدَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي حَامِدٍ وَعِنْدَهُ أَبُو جعفرٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الأَصْبَهَانِيُّ، فَلَمَّا رَآنِي أَبُو جعفرٍ وَعَرَفَ مَكَانِي رَحَّبَ بِي وَأَخَذَ يُثْنِي عَلَى أَبِي وَيَمْدَحُهُ وَيَصِفُنِي بِمَا قَطَعَنِي عَنْ كَلَامِهِ.

وَمِنْ كُتُبِ أَبِي جعفرٍ: رِسَالَتُهُ المُسَمَّاةُ بِكِتَابِ رِسَالَةِ البَصِيرِ فِي مَعَالِمِ الدِّينِ الَّتِي كَتَبَ بِهَا إِلَى أَهْلِ طَبَرِسْتَانَ فِيمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِيهِ مِنَ الخِلَافِ فِي الاسْمِ وَالمُسَمَّى وَفِي مَذَاهِبِ أَهْلِ البِدَعِ وَهُوَ نَحْوُ ثَلَاثِينَ وَرَقَةً، وَمِنْهَا أَيْضًا رِسَالَتُهُ المَعْرُوفَةُ بِكِتَابِ صَرِيحِ السُّنَّةِ فِي أَوْرَاقٍ، ذَكَرَ فِيهَا مَذْهَبَهُ وَمَا يَدِينُ بِهِ وَيَعْتَقِدُهُ، وَكِتَابُ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَكَلَّمَ فِي أَوَّلِهِ بِصِحَّةِ الأَخْبَارِ الوَارِدَةِ فِي غَدِيرِ خُمٍّ (٢)، ثُمَّ تَلَاهُ بِالفَضَائِلِ وَلَمْ يَتِمَّ، كِتَابُ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ

---

(١) تعسف الكلام: أخذ فيه على غير هداية ولا دراية. (٢) هو موضع بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان.

وعمر رضى الله عنهما ولم يتم أيضاً، كتاب فضائل العباس وانقطع أيضاً بموته، كتاب فى عبارة الرؤيا جمع فيه أحاديث فمات ولم يعمله، وكتاب مختصر مناسك الحج، كتاب مختصر الفرائض، كتاب فى الرد على ابن عبد الحكم على مالك ولم يقع إلى أصحابه، كتاب الموجز فى الأصول ابتدأ فيه برسالة الأخلاق، ثم قطع ووعد بكتاب الآدر فى الأصول ولم يخرج منه شىء وأراد أن يعمل كتاباً فى القياس فلم يعمله.

قال أبو القاسم الحسين بن حبيش الوراق: كان قد التمس منى أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس فى القياس، فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردها علىّ وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها.

قال عبد العزيز بن محمد: وقد وقع إلىّ كتاب صغير فى الرمى بالنشاب منسوب إليه وما علمت أحداً قرأه عليه ولا ضابطاً ضبط عنه ولا ينسبه إليه، وأخاف أن يكون منحولا(١) إليه.

وقال عبد العزيز بن محمد الطبرى: كان أبو جعفر يذهب

(١) أى منسوباً إليه وليس من وضعه.

فِي جُلِّ مذَاهبه إِلَى مَا عليه الْجَمَاعَةُ مِنَ السَّلَفِ ، وطَرِيق أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَنِ ، شَدِيداً عَلَيْهِ مُخَالَفَتُهُمْ مَاضِياً عَلَى مِنْهَاجِهِمْ لَا تَأْخُذُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى مُخَالَفَةِ أَهْلِ الاعْتِزَالِ فِي جَمِيعِ مَا خَالَفُوا فِيهِ الْجَمَاعَةَ مِنَ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ وَخَلْقِ الْقُرْآنِ وَإِبْطَالِ رُؤْيَةِ اللهِ فِي الْقِيَامَةِ ، وَفِي قَوْلِهِمْ بِتَخْلِيدِ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ وَإِبْطَالِ شَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي قَوْلِهِمْ إِنَّ اسْتِطَاعَةَ الْإِنْسَانِ قَبْلَ فِعْلِهِ . وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَزْعُمُ أَنَّ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ ، وَأَنَّ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنَ الاسْتِطَاعَةِ الَّتِي وَفَّقَهُمْ لَهَا غَيْرُ مَا أَعْطَاهُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنَ الدَّارِ وَالْعَقْلِ ، وَأَنَّ اللهَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِ مَنْ كَفَرَ بِهِ مُجَازَاةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ . قُلْتُ : وَهَذَا الْفَصْلُ رَدِيءٌ جِدًّا لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ خَتَمَ قَبْلَ الْكُفْرِ فَقَدْ ظَلَمَ ، وَإِنْ كَانَ بَعْدَهُ فَقَدْ خَتَمَ عَلَى مَخْتُومٍ ، وَهَذَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَقْوَالِ الرَّوَافِضِ وَالْمُعْتَزِلَةِ قَبَّحَهُمُ اللهُ . وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ مَا كَانَ لِيُصِيبَهُ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ ، وَأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفاً بِصِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ ، وَكَلَامُهُ غَيْرُ مُحْدَثٍ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَهذَا الفصلُ يدُلُّ على أَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصِّفَاتِ كَالعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ وَهذَا مَحْضُ كَلَامِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو جعفرٍ يَذْهَبُ فِي الْإِمَامَةِ إِلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فِي التفضيلِ، وَكَانَ يُكفِّرُ مَنْ خَالَفَهُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ إِذْ كَانَتْ أَدِلَّةُ العُقُولِ تَدْفَعُ كَالقَوْلِ فِي القَدَرِ ، وَقَوْلِ مَنْ كَفَّرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّوَافِضِ وَالْخَوَارِجِ وَلَا يَقبلُ أَخبَارَهُمْ وَلَا شَهَادَاتِهِمْ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فِي الشَّهَادَاتِ وَفِي الرِّسَالَةِ وَفِي أَوَّلِ ذَيْلِ الْمُذَيَّلِ ، وَكَانَ لَا يُوَرِّثُ مِنَ الْكَفَرَةِ مِنْهُمْ ،وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي مُسْنَدِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ كَلَامِهِ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا يُوَرَّثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ ، وَلَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى» وَكَانَ لَا يُوَرِّثُ مُتَكَافِرَيْنِ ، لَا يُوَرِّثُ يَعْقُوبِيًّا مِنَ النَّصَارَى مِنْ مَلَكِيٍّ ، وَلَا مَلَكِيًّا مِنْ نَسْطُورِيٍّ ، وَلَا شَمْعَتِيًّا مِنَ الْيَهُودِ سَامِرِيًّا ، وَلَا عِنَانِيًّا مِنَ الشَّمْعَتِيِّ ، وَوَافَقَهُ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْأَوْزَاعِيُّ.فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْكَنَائِسُ وَالْبِيَعُ لَمْ يُوَرِّثْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

قَالَ أَبُو بَكرِ بْنُ كَامِلٍ : حَضَرْتُ أَبَا جعفرٍ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ مَنْ عَادَاهُ فِي حِلٍّ ، وَكُنْتُ سَأَلْتُهُ ذَلِكَ لِأَجلِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الصَّوَّافِ لِأَنِّي كُنْتُ قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَقَالَ : كُلُّ مَنْ عَادَانِي وَتَكَلَّمَ فِي حِلٍّ إِلَّا رَجُلًا[1] رَمَانِي بِبِدْعَةٍ . وَكَانَ الصَّوَّافُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي جعفرٍ وَكَانَتْ فِيهِ سَلَامَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ ضَبْطٌ دُونَ الْفَصْلِ ، فَلَمَّا أَمْلَى أَبُو جعفرٍ ذَيْلَ الْمُذَيَّلِ ذَكَرَ أَبَا حَنِيفَةَ وَأَطْرَاهُ وَقَالَ : كَانَ فَقِيهاً عَالِماً وَرِعاً فَتَكَلَّمَ الصَّوَّافُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِيهِ لِأَجْلِ مَدْحِهِ لِأَبِي حَنِيفَةَ وَانْقَطَعَ عَنْهُ وَبَسَطَ لِسَانَهُ فِيهِ .

قَالَ أَبُو بَكرِ بْنُ كَامِلٍ : مَنْ سَبَقَكَ إِلَى إِكْفَارِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ؟ قَالَ فَقَالَ : إِمَامَا عَدْلٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، وَيَحْيَى ابْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ ، وَكَانَ إِذَا عَرَفَ مِنْ إِنْسَانٍ بِدْعَةً أَبْعَدَهُ وَاطَّرَحَهُ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ بِبَغْدَادَ بِتَكْذِيبِ غَدِيرِ خُمٍّ وَقَالَ : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ بِالْيَمَنِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَدِيرِ خُمٍّ ، وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ فِي قَصِيدَةٍ مُزْدَوِجَةٍ يَصِفُ فِيهَا بَلَداً بَلَداً وَمَنْزِلاً مَنْزِلاً أَبْيَاتاً يَلُوحُ فِيهَا إِلَى مَعْنَى حَدِيثِ غَدِيرِ خُمٍّ فَقَالَ :

---

(١) في الأصل « رجل »

ثُمَّ مَرَرْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ كَمْ قَائِلٍ فِيهِ بِزُورٍ جَمٍّ
عَلَى عَلِيٍّ وَالنَّبِيِّ الْأُمِّيّ

وَبَلَغَ أَبَا جَعْفَرٍ ذَلِكَ فَابْتَدَأَ بِالْكَلَامِ فِى فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَذَكَرَ طُرُقَ حَدِيثِ خُمٍّ فَكَثُرَ النَّاسُ لِاسْتِمَاعِ (١) ذَلِكَ، وَاجْتَمَعَ قَوْمٌ مِنَ الرَّوَافِضِ مِمَّنْ بَسَطَ لِسَانَهُ بِمَا لَا يَصْلُحُ فِى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَابْتَدَأَ بِفَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ سَأَلَهُ الْعَبَّاسِيُّونَ فِى فَضَائِلِ الْعَبَّاسِ فَابْتَدَأَ بِخُطْبَةٍ حَسَنَةٍ وَأَمْلَى بَعْضَهُ وَقَطَعَ جَمِيعَ الْإِمْلَاءِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ فِيهِ لَجَاجَةً. قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ: وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ رَجَعَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ فَوَجَدَ الرَّفْضَ قَدْ ظَهَرَ، وَسَبَّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَهْلِهَا قَدِ انْتَشَرَ، فَأَمْلَى فَضَائِلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ حَتَّى خَافَ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا يَكْرَهُهُ فَخَرَجَ مِنْهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ: أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ رَأَى عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ شَيْخًا مُسِنًّا فَقَامَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَكْرَمَهُ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ نَالَهُ فِيَّ مَا قَدْ صَارَ لَهُ عَلَيَّ بِهِ الْحَقُّ الْكَثِيرُ، وَذَلِكَ أَنِّي دَخَلْتُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وَقَدْ

(١) فى الأصل: « الاجتماع » وهذا التصحيح عن هامش الأصل

شاع سبُّ أبي بكرٍ وعُمرَ فيهما ، فسألونى أنْ أُملِيَ فضائلهما ففعلتُ ، وكانَ سُلطانُ البلدةِ يكرهُ ذلكَ فاجتمعَ إليهِ مَن عرَّفهُ ما أمليتهُ ،فوجَّهَ إليَّ فبادرَ هذا وأرسلَ إليَّ مَنْ أخبرني أنِّي قد طُلبتُ ، فخرجتُ مِنْ وقتي عنِ البلدِ ولمْ يُشعِرْ بي وحصلَ هذا في أيديهم فضُرِبَ بسببي ألفًا قالَ : وكانَ شديدَ التوقِّي والحذرِ والنزاهةِ والورعِ ، يدُلُّ على ذلكَ ما أودعهُ كتابَ آدابِ النفوسِ المُنبِّهَ على دينهِ وفضلهِ ، ومعَ ما كانَ فيهِ مِنَ الاشتغالِ بالتصانيفِ والحديثِ والإملاءِ لا بُدَّ لهُ معَ ذلكَ مِنْ حزبهِ منَ القرآنِ[1] ، ويُقالُ : إنَّهُ كانَ يقرأُ كلَّ ليلةٍ رُبعًا أوْ حظًّا وافرًا .

قالَ عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ : وكانَ أبو جعفرٍ ظريفًا في ظاهرهِ ، نظيفًا في باطنهِ ، حسنَ العِشرةِ لمُجالسيهِ ، متفقدًا لأحوالِ أصحابهِ ، مُهذَّبًا في جميعِ أحوالهِ ، جميلَ الأدبِ في مأكلهِ وملبسهِ ، وما يخُصُّهُ في أحوالِ نفسهِ ، مُنبسطًا معَ إخوانهِ ، حتى رُبَّما داعبهمْ أحسنَ مُداعبةٍ ، ورُبَّما جِيءَ بينَ يديهِ بشيءٍ منَ الفاكهةِ فيُجري في ذلكَ المعنى ما لا يخرُجُ منَ العلمِ والفقهِ والمسائلِ حتى يكونَ كأجدِّ جِدٍّ وأحسنِ علمٍ .

(١) أى ورده الذى اعتاده

وَكَانَ إِذَا أَهْدَى إِلَيْهِ مُهْدٍ هَدِيَّةً مِمَّا يُمْكِنُهُ الْمُكَافَأَةُ عَلَيْهِ قَبِلَهَا وَكَافَأَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِمَّا لَا يُمْكِنُهُ الْمُكَافَأَةُ عَلَيْهِ رَدَّهَا وَاعْتَذَرَ إِلَى مُهْدِيهَا . وَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا عَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ : لَا أَقْبَلُ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى الْمُكَافَأَةِ عَنْهُ ، وَمِنْ أَيْنَ لِي مَا أُكَافِئُ عَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : مَا لِهَذَا مُكَافَأَةٌ ، إِنَّمَا أَرَادَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِ .

وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَصْبَهَانِيُّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبَهُ ، فَالْتَمَسَ أَبُو جَعْفَرٍ حَصِيرَ الصُّفَّةِ (١) لَهُ صَغِيرَةٍ ، فَدَخَلَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ وَأَخَذَ مِقْدَارَ الصُّفَّةِ وَاسْتَعْمَلَ لَهُ الْحَصِيرَ مُتَقَرِّبًا بِذَلِكَ لَهُ وَجَاءَهُ بِهِ وَقَدْ وَقَعَ مَوْقِعَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ دَعَا ابْنَهُ وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا وَأَبَى أَبُو جَعْفَرٍ أَنْ يَأْخُذَ الْحَصِيرَ إِلَّا بِهَا . وَأَهْدَى إِلَيْهِ أَبُو الْمُحَسِّنِ الْمُحَرِّرُ جَارُهُ فَرْخَيْنِ فَأَهْدَى إِلَيْهِ ثَوْبًا .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الشَّاعِرِ وَسُلَيْمَانُ بْنُ الْخَاقَانِيِّ : أَهْدَى أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْوَزِيرُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ بِرُمَّانٍ (٢) فَقَبِلَهُ وَفَرَّقَهُ فِي جِيرَانِهِ ، فَلَمَّا

(١) الصفة : اسم لبيت صيق (٢) كان الأولى أن يقول : « رماناً »

كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَجَّهَ إِلَيْهِ بِزِنْبِيلٍ [١] فِيهِ بَدْرَةٌ فِيهَا عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَتَبَ مَعَهَا رُقْعَةً وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَهَا. قَالَ سُلَيْمَانُ: قَالَ لِي الْوَزِيرُ: إِنْ قَبِلَهَا وَإِلَّا فَسَلُوهُ أَنْ يُفَرِّقَهَا فِي أَصْحَابِهِ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ، فَصِرْتُ بِالْبَدْرَةِ إِلَيْهِ فَدَقَقْتُ الْبَابَ وَكَانَ يَأْنَسُ إِلَيَّ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ بَعْدَ الْمَجْلِسِ لَا يَكَادُ يَدْخُلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِتَشَاغُلِهِ بِالتَّصْنِيفِ إِلَّا فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ. قَالَ: فَعَرَّفْتُهُ أَنِّي جِئْتُ بِرِسَالَةِ الْوَزِيرِ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ وَأَوْصَلْتُ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ فَقَالَ: — يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَهُ — اقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: «ارْدُدْنَا إِلَى الرُّمَّانِ» وَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِ الدَّرَاهِمِ. فَقُلْتُ لَهُ: فَرِّقْهَا فِي أَصْحَابِكَ عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا وَلَا تَرُدَّهَا. فَقَالَ: هُوَ أَعْرَفُ بِالنَّاسِ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ، وَأَجَابَ عَنِ الرُّقْعَةِ وَانْصَرَفْتُ.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ وَسُلَيْمَانُ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ قَدِمَ الْحَاجُّ وَكَانَ يَأْتِيهِ مَالُ ضَيْعَتِهِ مَعَهُمْ فَرُبَّمَا جِيءَ إِلَيْهِ بِالشَّيْءِ فَجَعَلَهُ بِضَاعَةً، فَدَعَانَا وَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ شَيْءٌ مَشْدُودٌ فَقَالَ: امْضِيَا بِهَذَا إِلَى الْوَزِيرِ وَاقْرَءَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَأَوْصِلَا إِلَيْهِ هَذِهِ الْحُزْمَةَ وَالرُّقْعَةَ. قَالَا: فَصِرْنَا إِلَيْهِ وَلَا نَعْرِفُ مَا فِيهَا، فَلَمَّا قَرَأَ الرُّقْعَةَ

(١) الزنبيل: الوعاء والجراب والقفة.

وَإِذَا فيهَا « إِنَّهُ قَدْ أُنْفِذَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ طَبَرِسْتَانَ فَآثَرَ إِنْفَاذَهُ إِلَيْهِ » قَالَ: فَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ فَتَحَهُ فَإِذَا فِيهِ سَمُّورٌ[1] حَسَنٌ فَقُومَ لَهُ ذَلِكَ بِأَرْبَعِينَ دِينَاراً وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ قَبُولِهِ. وَكَانَ دَاعِياً إِلَى امْتِنَاعِهِ مِنَ الإِهْدَاءِ إِلَيْهِ. قَالَ: وَقَدْ كَانَ يَمْضِي إِلَى الدَّعْوَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا وَإِلَى الْوَلِيمَةِ يُسْأَلُ فِيهَا وَيَكُونُ ذَلِكَ يَوْماً مَشْهُوداً مِنْ أَجْلِهِ وَشَرِيفاً بِحُضُورِهِ، وَكَانَ يَخْرُجُ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ.

قَالَ ابْنُ كَامِلٍ: قَالَ لِي أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْجَمَّالُ — وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ الشُّهُودِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ —: حَضَرْنَا يَوْماً مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ وَلِيمَةً فَجَلَسْتُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَةٍ فَكَانَ أَجْمَلَ الْجَمَاعَةِ أَكْلًا وَأَظْرَفَهُمْ عِشْرَةً. قَالَ: وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ عَلَى رُءُوسِنَا لِسَقْيِ الْمَاءِ وَالْخِدْمَةِ قَالَ: فَرَأَيْتُ بَعْضَ الْغِلْمَانِ قَدْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى بَعْضِ مَا قُدِّمَ إِلَيْنَا فَأَخَذْتُ لُقْمَةً فَنَاوَلْتُهَا الْغُلَامَ. قَالَ: فَزَبَرَنِي[2] أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ: مَنْ أَذِنَ لَكَ أَنْ تَأْكُلَ أَوْ تُطْعِمَ؟ قَالَ: فَأَخْجَلَنِي. قَالَ ابْنُ كَامِلٍ: مَا رَأَيْتُ أَظْرَفَ أَكْلًا مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ، كَانَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْغَضَارَةِ[3] فَيَأْخُذُ مِنْهَا لُقْمَةً فَإِذَا عَادَ بِأُخْرَى كَسَحَ بِاللُّقْمَةِ مَا التَطَخَ مِنَ الْغَضَارَةِ بِاللُّقْمَةِ

(١) السمور: حيوان برى يشبه السنور يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وإدفائها وحسنها (٢) أى منعنى ونهانى (٣) الغضارة: القصعة الكبيرة، فارسية.

الأولى فكان لا يلتطخ من الغضارة إلا جانب واحد، وكان إذا تناول اللقمة ليأكل سمى ووضع يده اليسرى على لحيته ليوقيها من الزهومة (١) فإذا حصلت اللقمة في فيه أزال يده.

قال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد: كان أبو جعفر ربما خرج إلى الصحراء فنخرج معه فدعانا يوماً أبو الطيب بن المغيرة الثلاج وكان جاراً لأبي جعفر في محلة ببغداد، فجاء بنا إلى قراح باقلي (٢) فأكلنا وأكل أبو جعفر أكلا فيه إفراط، ورأينا من حسن عشرته وانبساطه أمراً عظيماً، ثم انصرفنا فصرت إليه لأعرف خبره من تعبه مما (٣) أكله، فإذا بين يديه أدوية وجوارشنات (٤) يأكل منها ليدفع بها ضرر ما كان أكله. وكان إذا جلس لا يكاد يسمع له تنخم ولا تبصق ولا يرى له نخامة، وإذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديله ومسح جانبي فيه. قال أبو بكر ابن كامل: ولقد حرصت مراراً أن يستوي لي مثل ما يفعله فيتعذر على اعتياده. قال: وما سمعته قط لاحناً ولا حالفاً بالله عز وجل. قال: وكان لا يأكل الدسم، وإنما كان يأكل

(١) الزهومة: رائحة لحم سمين منتن (٢) أي ماء وفول (٣) كانت هذه الكلمة في الأصل: «وما» (٤) الجوارش: نوع من الأدوية عذب طيب الرائحة معرب كوارش بالفارسية، ومعناه: الهاضم للطعام.

اللَّحْمَ الْأَحْمَرَ الصِّرْفَ وَلَا يَطْبُخُهُ إِلَّا بِالزَّبِيبِ وَكَانَ يَقُولُ: السَّمِينُ يُلَطِّخُ الْمَعِدَةَ، وَكَانَ يَتَجَنَّبُ السِّمْسِمَ وَالشَّهْدَ وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا يُفْسِدَانِ الْمَعِدَةَ، وَيُغَيِّرَانِ النَّكْهَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ التَّمْرَ يُلَطِّخُ الْمَعِدَةَ، وَيُضْعِفُ الْبَصَرَ، وَيُفْسِدُ الْأَسْنَانَ، وَيَفْعَلُ فِي اللَّحْمِ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّوَّافُ: أَنَا آكُلُهُ طُولَ عُمْرِي وَلَا أَرَى مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَمَا بَقِيَ عَلَى التَّمْرِ أَنْ يَعْمَلَ بِكَ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلَ. قَالَ: وَكَانَ الصَّوَّافُ قَدْ وَقَعَتْ أَسْنَانُهُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ، وَنَحُفَ جِسْمُهُ وَكَثُرَ اصْفِرَارُهُ.

قَالَ: وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ كَبِيرَ اللِّحْيَةِ حَسَنَ الْقِيَامِ عَلَى نَفْسِهِ لَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ إِلَّا السَّمِيذَ [1] لِأَجْلِ غَسْلِ الْقَمْحِ، لِأَنَّ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنَّ الشَّمْسَ وَالنَّارَ وَالرِّيحَ لَا تُطَهِّرُ نَجِسًا، وَكَانَ رُبَّمَا أَكَلَ مِنَ الْعِنَبِ الرَّازِقِيِّ وَالتِّينِ الْوَزِيرِيِّ وَالرُّطَبِ وَرُبَّمَا أُخِذَ لَهُ مِنَ اللَّبَنِ الْحَلِيبِ مِنْ غَنَمٍ تَرْعَى فَيُصَفَّى وَيُجْعَلُ فِي قِدْرٍ عَلَى النَّارِ حَتَّى يَذْهَبَ مِنْهُ جُزْءٌ ثُمَّ يُبَرَّدُ فِي الْإِنَاءِ وَيُصَبُّ عَلَيْهِ اللَّبَنُ الْحَارُّ، وَيَدَعُهُ حَتَّى يَبْرُدَ وَيُطْرَحُ عَلَيْهِ الصَّعْتَرُ [2] وَحَبَّةُ السَّوْدَاءِ وَالزَّيْتُ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ الْإِسْفِيذْبَاجِ [3] وَالزِّيرْبَاجِ، وَكَانَ رُبَّمَا

---

(١) السميذ بالدال والذال: الحوارى الدقيق الأبيض (٢) الصعتر بالصاد والسين: نبات طيب الرائحة يخلف بزراً دون بزر الريحان، زهره أبيض إلى الغبرة

(٣) الاسفيذاج والاسفيذباج «فارسى»: طين يجلب من أصفهان، ورماد الرصاص والآنك.

أَكَلَ بِالْحِصْرِمِ فِى وَقْتِهِ ، وَكَانَ لَا يَعْدَمُ فِى الصَّيْفِ الْحَيْسَ وَالرَّيْحَانَ وَاللَّيْنُوفَرَ [١] ، فَإِذَا أَكَلَ نَامَ فِى الْخَيْشِ [٢] فِى قَمِيصٍ قَصِيرِ الْأَكْمَامِ مَصْبُوغٍ بِالصَّنْدَلِ وَمَاءِ الْوَرْدِ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى الظُّهْرَ فِى بَيْتِهِ وَيَكْتُبُ فِى تَصْنِيفِهِ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّى الْعَصْرَ وَيَجْلِسُ لِلنَّاسِ يُقْرِئُ وَيُقْرَأُ عَلَيْهِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ لِلْفِقْهِ وَالدَّرْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى عِشَاءِ الْآخِرَةِ ثُمَّ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ ، وَقَدْ قَسَمَ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فِى مَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وَدِينِهِ وَالْخَلْقِ كَمَا وَفَّقَهُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ الثَّلَّاجُ قَدْ سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ شُرْبَهُ الْمَاءَ مِنْ عِنْدِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الثَّلْجَ وَكَانَ لَهُ كُرَازٌ [٣] يُدْفِنُهُ فِيهِ ، وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ فَهْدٍ الْمَوْصِلِيُّ يُهْدِى لَهُ الْعَسَلَ وَيَقْبَلُهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا مَاتَ وُجِدَ عِنْدَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ جَرَّةً عَسَلًا وَمِنْهَا مَا قَدْ نَقَصَ مِنْهُ . وَكَانَ قَدْ كَتَبَ فِرْدَوْسَ الْحِكْمَةِ لِعَلِيِّ بْنِ زَيْنٍ الطَّبَرِيِّ وَأَخَذَهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْنٍ مُصَنِّفِهِ سَمَاعًا .

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَامِلٍ : وَرَأَيْتُهُ عِنْدَهُ فِى سِتَّةِ أَجْزَاءٍ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُغِيرَةِ الثَّلَّاجُ : لَمَّا اعْتَلَّ ابْنِى أَبُو الْفَرَجِ

---

(١) الينوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة ، له أصل كالجزر وساق أملس . (٢) الخيش : ثياب من مشاقة الكتان . (٣) الكراز : كوز ضيق الرأس ، أو القارورة .

وَكَانَ حَسَنَ الْأَدَبِ وَيَتفقهُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي جعفرٍ . قَالَ لِي أَبُو جَعْفرٍ : تقبلُ مِني مَا أَصِفهُ لكَ؟فقلْتُ نعمْ، وكُنْتُ أَتبرَّكُ بِقَوْلِهِ وَرَأْيِهِ.قَالَ : أحْلِقْ رَأْسَهُ وَاعْمَلْ لَهُ جُوذَابَةً [1] سَمِينَةً مِنْ رُقَاقٍ وَأَكْثِرْ دَسَمَهَاوَقَدِّمْهَا إِلَيْهِ وَأَطْعِمْهُ مِنْهَاحَتَّى يَمْتَلِئَ شِبَعاً ثُمَّ خُذْ مَا بَقِيَ فَاطْرَحْهُ عَلَى دِمَاغِهِ، وَاحْرِصْ أَنْ يَنَامَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ فَإِنَّهُ يَصْلحُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَفَعَلْتُ فَكَانَ سَبَبَ بُرْئِهِ.وَأَبُو الفَرَجِ هَذَا مَاتَ قَبْلَ أَبِي جَعْفَرٍ بِمُدَيْدَةٍ،وَكَانَ أَبُو الفَرَجِ هَذَا يَتَعَسَّفُ فِي كَلَامِهِ . تَجَارَوْا يوْماً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَذَكَرَ الطَّبِيخَ فَقَالَ أَبُو الفَرَجِ : لَكِنِّي أَكَلْتُ طَبَاهِقَةً [2] . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَمَا الطَّبَاهِقَةُ ؟ قَالَ : الطَّبَاهِجَةُ : أَلَا تَرَى أَنَّ العَرَبَ تَعْمَلُ الجِيمَ قَافاً . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَأَنْتَ إِذاً أَبُو الفَرَقِ ابْنُ الثَّلَّاقِ، فَصَارَ يُعْرَفُ بِأَبِي الفَرَقِ بْنِ الثَّلَّاقِ وَيُمْزَحُ مَعَهُ بِذَلِكَ

وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الجَوَالِيقِيِّ يَأْخُذُ لِسَانَهُ بِالإِعْرَابِ وَيُكْثِرُ الإِشَارَاتِ فِيهِ إِلَى حَدِّ البُغْضِ ، فَأَخَذَ يَوْماً فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَنْتَ بَغِيضٌ فَسُمِّيَ بَغِيضَ الطَّبَرِيِّ . قَالَ: وَرَأَيْتُ أَنَا هَذَا الإِنْسَانَ يَوْماً وَقَدْ وَرَدَ عَلَى بَابِ الطَّاقِ وَكَانَ مُهَاجِراً لِبَعْضِ

(١) الجوذابة : ملة تخبز فى التنور معلقا عليها طائر أو لحم يشوى فيقطر ودكه عليها فتفرج عنك هم الادام (٢) الطباهجة : طعام من بيض وبصل ولحم مشرح ، معرب طباهة بالفارسية .

الوَرَّاقِين فوقف علينا فسلّم ثم اعتذر من وقوفه بالمكان لأجل الورّاق فقال : لولا من ما كنت بالذى ، يعنى لولا من ههنا ما كنت لأقف على حانوتك ، وكان بأبى جعفر ذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه ، فوجّه إليه علىّ بن عيسى طبيبا فسأل الطبيب أبا جعفر عن حاله ، فعرّفه حاله وما استعمل وأخذه لعلته وما انتهى إليه فى يومه ذاك وما كان رسمه أن يعالج به وما عزم على أخذه من العلاج . فقال له الطبيب : ما عندى فوق ما وصفته لنفسك شىء ، والله لو كنت فى ملتنا لعددت من الحواريّين [١] - وفقك الله - ، ثم جاء إلى علىّ بن عيسى فعرّفه ذلك فأعجبه . قلت : أكثر هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمد الطبرىّ من كتاب له أفرده فى سيرة أبى جعفر ، ومن كتاب لأبى بكر بن كامل فى أخباره والله ولىّ الخير .

قال أبو علىّ الأهوازىّ : مات ببغداد فى سنة عشر وثلاثمائة ، كذا وجدته بخط أبى سليمان بن يزيد مكتوبا ، ورأيت أيضا من يقول : إنه مات فى سنة إحدى عشرة وست عشرة والله أعلم وأحكم ، وهذه السنون كلها فى أيام المقتدر بالله .

---

(١) الحواريين : رسل المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام

١٨ - مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ *

محمد بن جعفر الصيدلانى

كَانَ صِهْرَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ عَلَى ابْنَتِهِ وَيُلَقَّبُ بُرْمَةَ، وَكَانَ أَدِيباً شَاعِراً، رَوَى عَنْ أَبِي هَفَّانَ الشَّاعِرِ أَخْبَاراً، وَحَدَّثَ عَنْهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنْشَدَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيِّ:

أَمَا تَرَى الرَّوْضَ قَدْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ
وَنُشِّرَتْ فِي رُبَاهُ الرَّيْطُ وَالْحُلَلُ
وَاعْتَمَّ بِالْأُرْجُوَانِ النَّبْتُ مِنْهُ فَمَا
يَبْدُو لَنَا مِنْهُ إِلَّا مُونِقٌ خَضِلُ (١)
وَالنَّرْجِسُ الْغَضُّ يَرْنُو مِنْ مَحَاجِرِهِ
إِلَى الْوَرَى مُقَلٌ (٢) تَحْيَا بِهَا الْمُقَلُ
تِبْرٌ حَوَاهُ لُجَيْنٌ فَوْقَ أَعْمِدَةٍ مِنَ الزُّمُرُّدِ فِيهَا الزَّهْرُ مُكْتَهِلُ
فَعُجْ بِنَا نَصْطَبِحْ يَا صَاحِ صَافِيَةً
صَهْبَاءَ فِي كَأْسِهَا مِنْ لَمْعِهَا شُعَلُ

(١) اعتم الخ : أى ظهر عليه كالعمامة ، والأرجوان : شجر له ورد يتنقل به الفرس على الشراب ، والمونق : الحسن المعجب ، والخضل : الندى يترشش نداه .

(٢) المقل : العيون .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

فَقَدْ تَجَلَّتْ لَنَا عَنْ حُسْنِ بَهْجَتِهَا
رِيَاضُ قُطْرُبُلٍ(١) وَاللَّهْوُ مُشْتَمِلُ
وَعِنْدَنَا شَادِنٌ شُدَّتْ قَرَاطِقُهُ(٢)
عَلَى نَقًا وَقَضِيبٍ فَهْوَ مُعْتَدِلُ
يَدُورُ بِالْكَأْسِ بَيْنَ الشَّرْبِ آوِنَةً
مَا دَامَ لِلشَّرْبِ مِنْهُ الْعَلُّ وَالنَّهَلُ
وَقَيْنَةٌ إِنْ تَشَأْ غَنَّتْكَ مِنْ طَرَبٍ
« وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ(٣) »
وَإِنْ أَشَرْتَ إِلَى صَوْتٍ تُكَرِّرُهُ
« إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ(٤) »
لَيْسَتْ بِمُظْهِرَةٍ تِيهًا وَلَا صَلَفًا
وَلَيْسَ يُغْضِبُهَا التَّجْمِيشُ(٥) وَالْقُبَلُ
فَنَحْنُ فِي تُحَفٍ مِنْهَا وَفِي غَزَلٍ مِمَّا يُغَازِلُنَا طَرْفٌ لَهَا غَزِلُ

١٩ — مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ ثَوَابَةَ الْكَاتِبُ*

محمد بن جعفر بن ثوابة

يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، كَاتِبٌ بَلِيغٌ مُنْشِئٌ فَاضِلٌ ، كَانَ

---

(١) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر (٢) القرطق : قباء ذو طاق واحد معرب (٣) مطلع قصيدة للأعشى وبقيته « وهل تطيق وداعا أيها الرجل » ؟
(٤) وهذا مطلع قصيدة القطامى وبقيته « وإن بليت وإن طالت بك الطيل » .
(٥) التجميش : المغازلة والملاعبة ، وكانت فى الأصل « التخميش » بالخاء المعجمة

يُنْشِئُ فى الدِّيوانِ أَيَّامَ المُقْتَدِرِ بِاللهِ ، وَمَاتَ فى سَنَةِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمائَةٍ ، قَالَ الرَّئِيسُ أَبُو الحُسَيْنِ : كَانَ أَبُو الحَسَنِ هَذَا صَاحِبَ دِيوَانِ الرَّسَائِلِ فى دِيوَانِ المُقْتَدِرِ . وَقَالَ ثَابِتٌ : فى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمائَةٍ قُبِضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ الجَرَّاحِ الوَزِيرِ ، وَاسْتُوزِرَ أَبُو الحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الفُرَاتِ ، فَأَقَرَّ أَبَا الحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ ثَوَابَةَ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ وَالمَعَاوِنِ ، وَمِنْ كَلَامِهِ رِسَالَةٌ كَتَبَهَا عَنِ المُقْتَدِرِ بِاللهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى البُلْدَانِ فى وِزَارَةِ ابْنِ الفُرَاتِ الثَّانِيَةِ : لَمَّا لَمْ يَجِدْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ غِنًى عَنْهُ ، وَلَا لِلمُلْكِ بُدًّا مِنْهُ ، وَكَانَ كُتَّابُ الدَّوَاوِينِ عَلَى اخْتِلَافِ أَقْدَارِهِمْ(١) وَتَفَاوُتِ مَا بَيْنَ أَخْطَارِهِمْ مُقِرِّينَ بِرِيَاسَتِهِ ، مُعْتَرِفِينَ بِكِفَايَتِهِ ، مُتَحَاكِمِينَ إِلَيْهِ إِذَا اخْتَلَفُوا ، وَاقِفِينَ عِنْدَ غَايَتِهِ إِذَا اسْتَبَقُوا ، مُذْعِنِينَ بِأَنَّهُ الحُوَّلُ القُلَّبُ(٢) ، المُحَنَّكُ المُجَرَّبُ ، العَالِمُ بِدِرَّةِ المَالِ كَيْفَ تُحْلَبُ ؟ وَوُجُوهِهِ كَيْفَ تُطْلَبُ ؟ انْتَضَاهُ مِنْ غِمْدِهِ ، فَعَاوَدَ مَا عُرِفَ مِنْ حَدِّهِ ، فَنَفَذَ الأَعْمَالَ كَأَنْ لَمْ يَغِبْ عَنْهَا ، وَدَبَّرَ الأُمُورَ كَأَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْهَا ، وَرَأَى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ أَلَّا يَدَعَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ التَّكَرُّمِ كَانَ قَدِيمًا جَعَلَهُ لَهُ إِلَّا وَفَّاهُ إِيَّاهُ ، وَلَا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ المَثُوبَةِ

---

(١) كانت هذه فى الأصل : « اقتدارهم » (٢) الحول القلب : الشديد الاحتيال ، البصير بالأمور .

وَالْجَزاء كَانَ أَخَّرَهُ عَنْهُ إِلَّا حَبَاهُ بِهِ ، نَخَاطَبَهُ بِالتَّلْبِيَةِ . وَمِمَّا يَسْتَحْسِنُهُ الْكُتَّابُ مِنْ كَلَامِهِ قَوْلُهُ لَمَّا أَجَابَ خُمَارَوَيْهِ بْنَ أَحْمَدَ عَنِ الْمُعْتَضِدِ عَنِ الْكِتَابِ بِإِنْفَاذِ ابْنَتِهِ فَقَالَ فِي الْفَصْلِ الَّذِي احْتَاجَ فِيهِ إِلَى ذِكْرِهَا : وَأَمَّا الْوَدِيعَةُ فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ مَا انْتَقَلَ مِنْ شِمَالِكَ إِلَى يَمِينِكَ عِنَايَةً بِهَا وَحِيَاطَةً لِرَأْيِكَ فِيهَا .

﴿ ٢٠ — مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ ﴾

محمد بن جعفر الخرائطى

ابْنِ شَاكِرٍ الْخَرَائِطِيُّ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ : كُنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ سُرَّ مَنْ رَأَى ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ بِعَسْقَلَانَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ ، وَكَانَ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ شَبَّةَ وَغَيْرَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْبَارِ مَلِيحَ التَّصَانِيفِ سَكَنَ الشَّامَ وَحَدَّثَ بِهَا نَحَصَلَ حَدِيثُهُ عِنْدَ أَهْلِهَا . وَمِنْ مُصَنَّفَاتِهِ : كِتَابُ اعْتِلَالِ الْقُلُوبِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ ، وَكَانَ قَدِمَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَسْقَلَانَ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ .

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، كِتَابُ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، كِتَابُ قَمْعِ الْحِرْصِ بِالْقَنَاعَةِ ، كِتَابُ هَوَاتِفِ الْجَانِّ وَعَجِيبِ مَا يُحْكَى عَنِ الْكُهَّانِ ، كِتَابُ الْقُبُورِ .

﴿ ٢١ – مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَاتِمٍ الْوَاسِطِىُّ * ﴾

أَبُو جَعْفَرٍ غُلَامُ ثَعْلَبٍ، لَهُ شِعْرٌ صَالِحٌ، مَاتَ فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ ابْنُ بُشْرَانَ فِى تَارِيخِهِ. محمد بن جعفر الواسطى

﴿ ٢٢ – مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى جَعْفَرٍ الْمُنْذِرِىُّ ﴾

الْهَرَوِىُّ أَبُو الْفَضْلِ، ذَكَرَهُ أَبُو النَّضْرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ الْفَامِىُّ فِى تَارِيخِ هَرَاةَ وَقَالَ: مَاتَ فِى رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ. محمد بن أبى جعفر المنذرى

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَهُوَ نَحْوِىٌّ لُغَوِىٌّ مُصَنِّفٌ فِى ذَلِكَ، وَهُوَ شَيْخُ أَبِى مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِىِّ الَّذِى أَمْلَى كِتَابَ التَّهْذِيبِ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ وَقَدِمَ بَغْدَادَ لِأَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ ثَعْلَبًا عَنْ كِتَابِ الْعَيْنِ فَقَالَ: ذَلِكَ كِتَابٌ مَلِئٌ «غُدَدْ» قَالَ: وَهَذَا لَفْظُ أَبِى الْعَبَّاسِ، وَحَقُّهُ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ مَلْآنُ غُدَدًا، وَلَكِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ يُخَاطِبُ الْعَامَّةَ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِمْ.

وَذَكَرَ الْأَزْهَرِىُّ فِى مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ: أَنَّ أَبَا الْفَضْلِ الْمُنْذِرِىَّ لَازَمَ أَبَا الْهَيْثَمِ الرَّازِىَّ سِنِينَ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ، وَكَتَبَ عَنْهُ مِنْ أَمَالِيهِ وَفَوَائِدِهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَىْ مُجَلَّدٍ. قَالَ الْأَزْهَرِىُّ:

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان

فَمَا وَقَعَ فِي كِتَابِي لِأَبِي الْهَيْثَمِ فَهُوَ مَا أَفَادَنِيهِ الْمُنْذِرِيُّ عَنْهُ فِي كِتَابِ الشَّامِلِ وَكِتَابِ الْفَاخِرِ، وَكِتَابِ الزِّيَادَاتِ الَّتِي زَادَهَا فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ، وَكِتَابِ زِيَادَاتِ أَمْثَالِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَكِتَابِ مَا زَادَ فِي الْمُصَنَّفِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ: صَنَّفَ أَبُو الْفَضْلِ الْمُنْذِرِيُّ كِتَابَ نَظْمِ الْجُمَانِ، وَكِتَابَ الْمُلْتَقَطِ، وَذَكَرَ الْفَاخِرَ وَالشَّامِلَ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمُنْذِرِيُّ أَنَّ أَبَا الْهَيْثَمِ الرَّازِيَّ حَثَّهُ عَلَى النُّهُوضِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ يَعْنِي ثَعْلَبًا قَالَ: فَرَحَلْتُ إِلَى الْعِرَاقِ وَدَخَلْتُ مَدِينَةَ السَّلَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَا لِي هِمَّةٌ غَيْرُهُ، فَأَتَيْتُهُ وَعَرَّفْتُهُ خَبَرِي وَقَصْدِي إِيَّاهُ، فَاتَّخَذَ لِي مَجْلِسًا فِي النَّوَادِرِ الَّتِي سَمِعَهَا مِنَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ حَتَّى سَمِعْتُ الْكِتَابَ كُلَّهُ مِنْهُ قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ حُرُوفٍ كَانَتْ أَشْكَلَتْ عَلَى أَبِي الْهَيْثَمِ فَأَجَابَنِي عَنْهَا.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَخْبَرَنِي الْمُنْذِرِيُّ أَنَّهُ اخْتَلَفَ إِلَى ثَعْلَبٍ سَنَةً فِي سَمَاعِ كِتَابِ النَّوَادِرِ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ (١) وَكَانَ يَتَوَلَّى قِرَاءَةَ مَا يَسْمَعُ مِنْهُ قَالَ: وَكَتَبْتُ عَنْهُ مِنْ أَمَالِيهِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا أَجْزَاءً

(١) أي صمم

كَثِيرَةً فَمَا عَرَضَ وَلَا صَرَّحَ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الطَّمَعِ. قَالَ: وَاخْتَلَفْتُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ وَانْتَخَبْتُ عَلَيْهِ أَجْزَاءً مِنْ كِتَابَيْهِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِالرَّوْضَةِ وَالْكَامِلِ قَالَ: وَقَاطَعْتُهُ مِنْ سَمَاعِهِمَا عَلَى شَيْءٍ مُسَمًّى وَإِنَّهُ لَمْ يَأْذَنْ لِي فِي قِرَاءَةِ حِكَايَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَكُنْ وَقَعَ عَلَيْهَا الشَّرْطُ.

٢٣ — مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَطَّارُ النَّحْوِيُّ (*)

محمد بن جعفر العطار

أَبُو جَعْفَرٍ، وَيُلَقَّبُ فَرْتَكَ. قَالَ الْخَطِيبُ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْمُخَرِّمِ (١). حَدَّثَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ، رَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَلَمْ يَزِدِ الْخَطِيبُ عَلَى هَذَا.

٢٤ — مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمَذَانِيُّ (*)

محمد بن جعفر الهمذانى

ثُمَّ الْمَرَاغِيُّ. ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ: كَانَ يُعَلِّمُ عِزَّ الدَّوْلَةِ أَبَا مَنْصُورٍ بُخْتِيَارَ بْنَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ. قَالَ الْخَطِيبُ: يُكْنَى أَبَا الْفَتْحِ، سَكَنَ بَغْدَادَ وَرَوَى بِهَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ. حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمَحَامِلِيُّ الْقَاضِي وَرَوَى عَنْهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

---

(١) بلدة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى.

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ حَافِظاً نَحْوِيًّا بَلِيغاً فِى نِهَايَةِ السَّرْوِ[١] وَالْحُرِّيَّةِ. وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ النَّهْجَةِ عَلَى مِثَالِ الْكَامِلِ، كِتَابُ الِاسْتِدْرَاكِ لِمَا أَغْفَلَهُ الْخَلِيلُ.

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ فِى الْإِمْتَاعِ: وَصَفَ[٢] جَمَاعَةً مِنَ النَّحْوِيِّينَ أَبَا سَعِيدٍ السِّيرَافِىَّ وَالرُّمَّانِىَّ وَأَبَا عَلِىٍّ الْفَارِسِىَّ ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ الْمَرَاغِىِّ فَلَا يَلْحَقُ هٰؤُلَاءِ مَعَ بَرَاعَةِ اللَّفْظِ، وَسَعَةِ الْحِفْظِ، وَقُوَّةِ النَّفْسِ، وَبَلَلِ الرِّيقِ، وَغَزَارَةِ النَّفْثِ[٣]، وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَمَنْ نَظَرَ فِى كِتَابِ النَّهْجَةِ لَهُ عَرَفَ مَا أَقُولُ، وَاعْتَقَدَ فَوْقَ مَا أَصِفُ، وَنَحَلَ أَكْثَرَ مِمَّا[٤] أَبْذُلُ.

ذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ فِى كِتَابِ الْمُحَاضَرَاتِ قَالَ: وَلَمَّا مَاتَ الْمَرَاغِىُّ — وَكَانَ قُدْوَةً فِى النَّحْوِ وَعَلَماً فِى الْأَدَبِ كَبِيراً مَعَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَرِقَّةِ حَالِهِ، وَإِنْ قُلْتُ إِنِّى مَا رَأَيْتُ فِى الْأَحْدَاثِ مِثْلَهُ كَانَ كَذٰلِكَ — اسْتَرْجَعَ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِىُّ وَاسْتَعْبَرَ وَأَنْشَدَ:

مَنْ عَاشَ لَمْ يَخْلُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ
بَيْنَ الْمَصَائِبِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْمِحَنِ

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِى الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ ... فَرَاحِلٌ خَلْفَ الْبَاقِى عَلَى الظَّعَنِ
وَكُلُّنَا بِالرَّدَى وَالْمَوْتِ مُرْتَهَنٌ ... فَمَا نَرَى فِيهِمَا فَكًّا لِمُرْتَهَنِ

---

(١) السرو: الفضل والسخاء فى المروءة (٢) نبه فى هامش الأصل على أنها كانت فى الأصل: « وقف » (٣) يقصد القول (٤) كانت فى الأصل: « ما »

مَنِ الَّذِى أَمِنَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَخُنِ — أَوِ الَّذِى اعْتَزَّ بِالدُّنْيَا فَلَمْ يَهُنِ؟
كُلٌّ يُقَالُ لَهُ قَدْ كَانَ ثُمَّ مَضَى — كَأَنَّ مَا كَانَ مِنْ دُنْيَاهُ لَمْ يَكُنِ

ثُمَّ قَالَ: قُومُوا بِنَا لِتَجْهِيزِهِ وَتَوْلِيَةِ أَمْرِهِ فَتَبِعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أُخْرِجَتْ جِنَازَتُهُ بَكَى وَأَنْشَدَ:

أَسَاءَتْ بِنَا الْأَيَّامُ ثُمَّتَ أَحْسَنَتْ — وَكُلٌّ مِنَ الْأَيَّامِ غَيْرُ بَدِيعِ
وَمَا زَالَ صَرْفُ الدَّهْرِ مُذْ كَانَ مُولَعًا — بِتَأْلِيفِ شَتَّى أَوْ بِشَتٍّ جَمِيعِ

﴿ ٢٥ — مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ * ﴾

محمد بن جعفر التميمى

ابْنِ فَرْوَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ مَالِكٍ، أَبُو الْحَسَنِ التَّمِيمِيُّ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّجَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِالْكُوفَةِ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَنِفْطَوَيْهِ وَالصُّولِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَهُوَ ثِقَةٌ، مَاتَ فِى جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِالْكُوفَةِ، نَقَلْتُ ذَلِكَ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ الْجَوْزِىِّ، وَنَقَلَهُ هُوَ مِنْ تَارِيخِ الْخَطِيبِ حَرْفًا حَرْفًا، وَنَقَلْتُ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان، وفى كتاب بغية الوعاة أيضا

مِنْ زِيَادَاتِ الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ فِي فِهْرِسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ: أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ قَالَ: وَكَانَ مِنْ مُجَوِّدِي الْقُرَّاءِ، أَخَذَ عَنِ النَّقَّارِ[1] وَغَيْرِهِ، وَكَانَ يُقْرِئُ لِحَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ الْغَالِبَ فِي أَخْذِهِ، وَلَقِيَ أَحْمَدَ بْنَ يُونُسَ، وَرَوَى قِرَاءَةَ عَاصِمٍ عَنْهُ عَنِ الْأَعْشَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمٍ، وَلَقِيَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ الْقُدَمَاءِ ابْنَ الْأُشْنَانِيِّ الْكَبِيرَ وَابْنَ الْأُشْنَانِيِّ الْقَاضِيَ، وَابْنَ مَرْوَانَ الْقَطَّانَ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَغَيْرَهُمْ. قَالَ: وَكُنَّا سَمِعْنَا مِنْهُ: كِتَابَ الْقِرَاءَاتِ، وَكِتَابَ مُخْتَصَرٍ فِي النَّحْوِ، وَكِتَابَ الْمُلَحِ وَالنَّوَادِرِ، وَكِتَابَ التُّحَفِ وَالطُّرَفِ، وَكِتَابَ الْمُلَحِ وَالْمَسَارِّ، وَكِتَابَ رَوْضَةِ الْأَخْبَارِ وَنُزْهَةِ الْأَبْصَارِ، وَكِتَابَ تَارِيخِ الْكُوفَةِ رَأَيْتُهُ.

٣٦ — مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغُورِيُّ (*)

محمد بن جعفر الغوري

أَبُو سَعِيدٍ، أَحَدُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ الْمَشْهُورِينَ وَالْأَعْلَامِ فِي هَذَا اللِّسَانِ الْمَذْكُورِينَ، صَنَّفَ كِتَابَ دِيوَانِ الْأَدَبِ فِي عَشَرَةِ أَجْلُدٍ ضَخْمَةٍ، أَخَذَ كِتَابَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ الْفَارَابِيِّ الْمُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ وَزَادَ فِي أَبْوَابِهِ، وَأَبْرَزَهُ فِي أَبْهَى

(١) يعني الحسن بن داود مقرىء الكوفة، مات سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة « في المشتبه »

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة

أثوابه، فصار أولى به منه، لأنه هذبه وانتقاه، وزاد فيه ما زينه وحلاه، لم أعرف شيئاً من حاله فأذكره إلا أنه ذكر فى أول كتابه بعد البسملة: قال محمد بن جعفر بن محمد المعروف جده بالغورى، ثم ذكر أنه هذب كتاب الفارابى وختم الكلام بأن قال: وأهديته – يعنى الكتاب – إلى الدهقان الكبير أبى نصر منصور مولى أمير المؤمنين.

﴿ ٢٧ – محمد بن جعفر القزاز القيروانى* ﴾

محمد بن جعفر القزاز

أبو عبد الله التميمى، كان إماماً علامة قيماً بعلوم العربية، ذكره الحسن بن رشيق فى كتاب النموذج فقال: مات بالقيروان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقد قارب التسعين، وهو جامع كتاب الجامع فى اللغة، وهو كتاب كبير حسن متقن يقارب كتاب التهذيب لأبى منصور الأزهرى رتبه على حروف المعجم، وكتاب ما يجوز للشاعر استعماله فى ضرورة الشعر.

قال ابن رشيق: وكان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس. محبوباً عند العامة، يملك لسانه ملكا شديداً، وقد مدحه الشعراء فقال فيه يعلى بن إبراهيم الأربسى (١):

(١) نسبة إلى أربس بضم فسكون وضم ثالثه: مدينة وكورة بافريقية.

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان، و فى كتاب بغية الوعاة أيضا

نَسَجَتْ شُعَاعاً بَيْنَنَا مِنْهَا فَبِتْ ... نَا جُمِعْنَا مِنْ تَحْتِ ثَوْبٍ مُذْهَبِ
فَمَزَجْتُهَا مِنْ فِيهِ ثُمَّ شَرِبْتُهَا ... وَلَثَمْتُهُ بِرُضَابِ ثَغْرٍ أَشْنَبِ
فِى لَيْلَةٍ لِلدَّهْرِ كَانَتْ غُرَّةً ... يَرْنُو إِلَيْهَا الْخَطْبُ كَالْمُتَعَجِّبِ
فُتْ الْأَنَامَ بِهَا كَمَا فُتَ الْوَرَى ... سَبْقاً مُحَمَّدُ بِالْفَخَارِ الْأَغْلَبِ
أَبَداً عَلَى طَرَفِ السُّؤَالِ جَوَابُهُ ... فَكَأَنَّمَا هُوَ دَفْعَةٌ مِنْ صَيِّبِ
يَغْدُو مُسَاجِلُهُ(١) بِغُرَّةِ صَافِحٍ ... وَيَرُوحُ مُعْتَرِفاً بِذِلَّةِ مُذْنِبِ
فَالْأَبْعَدُ النَّائِى عَلَيْهِ فِى الَّذِى ... يَفْتَرُّ كَالدَّانِى إِلَيْهِ الْأَقْرَبِ

وَكَانَ الْقَزَّازُ مُعْجَباً بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَيَقُولُ: مَا مُدِحْتُ بِأَحَبَّ إِلَىَّ مِنْهَا. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ فِى الْعُمْدَةِ: وَحَاجَى(٢) شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ بَعْضَ تَلَامِيذِهِ فَقَالَ:

أُحَاجِيكَ عَبَّادٌ كَزَيْنَبَ فِى الْوَرَى
وَلَمْ تُؤْتَ إِلَّا مِنْ صَدِيقٍ وَصَاحِبِ

فَأَجَابَهُ التِّلْمِيذُ فِى الْحَالِ:

سَأَكْتُمُ حَتَّى مَا تُحِسُّ جَوَارِحِى
بِمَا أَنْهَلَّ مِنْهَا فِى دُمُوعِى السَّوَاكِبِ

فَمَعْكُوسُ: عَبَّادُ كَزَيْنَبَ: سِرُّكَ ذَائِعٌ. وَسَأَكْتُمُ: جَوَابٌ عَلَى الظَّاهِرِ حَسَنٌ، وَمَعْكُوسُهُ مِنْكَ أُتِيتُ، وَهُوَ

---

(١) كانت فى الأصل: « مساجلة » بالتاء (٢) حاجى الخ: امتحنه بالأحاجى أى الألغاز وباراه بها.

جَوَابٌ لِمَا حُوجِيَ بِهِ بَدِيعٌ مُقَابِلٌ، وَلَمْ تُؤْثَ إِلَّا مِنْ صَدِيقٍ وَصَاحِبٍ [(١)] ، تفسيرٌ حسنٌ بَدِيعٌ جِدًّا. وَشِعْرُ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَيِّدٌ مَطْبُوعٌ مَصْنُوعٌ، وَمِنْ شِعْرِهِ يَتَغَزَّلُ:

أَمَا وَمَحَلِّ حُبِّكَ مِنْ فُؤَادِي ... وَقَدْرِ مَكَانِهِ فِيهِ الْمَكِينِ

لَوِ انْبَسَطَتْ لِيَ الْآمَالُ حَتَّى ... تُصَيِّرَ لِي عِنَانَكَ فِي يَمِينِي

لَصُنْتُكَ فِي مَكَانِ سَوَادِ عَيْنِي ... وَخِطْتُ عَلَيْكَ مِنْ حَذَرٍ جُفُونِي

فَأَبْلُغُ مِنْكَ غَايَاتِ الْأَمَانِي ... وَآمَنُ فِيكَ آفَاتِ الظُّنُونِ

فَلِي نَفْسٌ تَجَرَّعُ كُلَّ حِينٍ ... عَلَيْكَ بِهِنَّ كَاسَاتِ الْمَنُونِ

إِذَا أَمِنَتْ قُلُوبُ النَّاسِ خَافَتْ ... عَلَيْكَ خَفِيَّ أَلْحَاظِ الْعُيُونِ

فَكَيْفَ وَأَنْتَ دُنْيَايَ وَلَوْلَا ... عِقَابُ اللهِ فِيكَ لَقُلْتُ دِينِي

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا:

إِذَا كَانَ حَظِّي مِنْكِ لَحْظَةَ نَاظِرٍ ... عَلَى رِقْبَةٍ [(٢)] لَا أَسْتَدِيمُ لَهَا لَحْظَا

رَضِيتُ بِهَا فِي مُدَّةِ الدَّهْرِ مَرَّةً ... وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ لِي حَظَّا!

---

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل: «حبيب» (٢) أى حراسة وتحفظ وفزع

وَلَهُ أَيْضاً :

لَوْ أَنَّ لِي[1] حُكْمَ قَلْبِي فِيكِ أَوْ بَصَرِي
مَا اُسْتَمْتَعَتْ لِي عَيْنٌ مِنْكِ بِالنَّظَرِ

أَخْشَى وَأَحْذَرُ مِنْ عَيْنِي الْقَرِيحَةِ مَا
أَخْشَى وَأَحْذَرُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْبَشَرِ

وَيْلَاهُ إِنْ كَانَ حَظِّي فِيهِ مُشْتَرَكًا
وَكَيْفَ يَشْتَرِكُ الْحَيَّانِ فِي عُمُرِ ؟

يَنَالُهُ وَادِعٌ لَا يَسْتَعِدُّ لَهُ ... وَلَسْتُ أَبْلُغُ أُولَاهُ مِنَ الْحَذَرِ

وَلَهُ أَيْضاً :

أَضْمِرُوا لِي وُدًّا وَلَا تُظْهِرُوهُ ... يُهْدِهِ مِنْكُمُ إِلَيَّ الضَّمِيرُ

مَا أُبَالِي إِذَا بَلَغْتُ رِضَاكُمْ ... فِي هَوَاكُمْ لِأَيِّ حَالٍ أَصِيرُ ؟

وَلَهُ أَيْضاً

أَحِينَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نُورُ عَيْنِي ... وَأَنِّي لَا أَرَى حَتَّى أَرَاكَا

جَعَلْتَ مَغِيبَ شَخْصِكَ عَنْ عِيَانِي
يُغَيِّبُ كُلَّ مَخْلُوقٍ سِوَاكَا

وَلَهُ أَيْضاً :

وَاحَسْرَتَا مَاتَ أَحْبَابِي وَخِلَّانِي ... وَشَيَّبَ الدَّهْرُ أَتْرَابِي وَأَخْدَانِي

(١) كانت فى الأصل : « فى »

وَغَيَّرَتْ غِيَرُ الأَيَّامِ خَالِصَتِي

وَالْمُنْتَفَى (١) الْحُرَّ مِنْ أَهْلِي وَإِخْوَانِي

وَمِنْ تَصَانِيفِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَيْضاً: كِتَابُ أَدَبِ السُّلْطَانِ وَالتَّأَدُّبِ لَهُ عَشْرُ مُجَلَّدَاتٍ، كِتَابُ التَّعْرِيضِ وَالتَّصْرِيحِ مُجَلَّدٌ، كِتَابُ إِعْرَابِ الدُّرَيْدِيَّةِ مُجَلَّدٌ، كِتَابُ شَرْحِ رِسَالَةِ الْبَلَاغَةِ فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ، كِتَابُ أَبْيَاتٍ مَعَانٍ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي، كِتَابُ مَا أُخِذَ عَلَى الْمُتَنَبِّي مِنَ اللَّحْنِ وَالْغَلَطِ، كِتَابُ الضَّادِ وَالظَّاء مُجَلَّدٌ.

٢٨ – مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ هَارُونَ السِّمَّرِيُّ (٢) *

محمد بن الجهم السمرى

أَبُو عَبْدِ اللهِ الْكَاتِبُ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ عَنْ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَلِيٍّ وَقَالَ: سَمِعَ يَعْلَى بْنَ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيَّ، وَعَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ عَطَاءٍ، وَيَزِيدَ ابْنَ هَارُونَ، وَآدَمَ بْنَ أَبِي إِيَاسٍ، وَرَوَى عَنِ الْفَرَّاءِ تَصَانِيفَهُ. حَدَّثَ عَنْهُ مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْحَافِظُ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ الْمُقْرِئُ، وَنِفْطَوَيْهِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ

(١) ولعلها أيضا المنتقى أو المرتفى. (٢) نسبة إلى سمر بكسر السين وتشديد الميم المفتوحة: كانت بلدة من أعمال كسكر ثم دخلت فى أعمال البصرة، وموقعها بين البصرة وواسط، وإليها ينسب المترجم له.

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان

الصَّفَّارُ وَغَيْرُهُمْ . وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : هُوَ ثِقَةٌ صَدُوقٌ

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ هَارُونَ السَّمَّرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ صَاحِبُ الْفَرَّاءِ ، وَرَوَى كِتَابَهُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَهُوَ أَحَدُ الثِّقَاتِ مِنْ رُوَاةِ الْمُسْنَدِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَمْدَحُ الْفَرَّاءَ وَيَصِفُ مَذْهَبَهُ فِي النَّحْوِ :

أَكْثَرُ النَّحْوِ يَزْعُمُ الْفَرَّاءُ ... مِنْ وُجُوهٍ تَأْوِيلُهُنَّ الْجَزَاءُ

وَهِيَ أَبْيَاتٌ يَقُولُ فِيهَا :

نَحْوُهُ أَحْسَنُ النَّحْوِ فَمَا فِيـ ... ـهِ مَعِيبٌ وَلَا بِهِ إِزْرَاءُ

لَيْسَ مِنْ صَنْعَةِ الضَّعَائِفِ(١) لَكِنْ ... فِيهِ فِقْهٌ وَحِكْمَةٌ وَضِيَاءُ

حُجَّةٌ تُوضِحُ الصَّوَابَ وَمَا قَا ... لَ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ وَخَطَاءُ

لَيْسَ مَنْ قَالَ بِالصَّوَابِ كَمَنْ قَا ... لَ بِجَهْلٍ وَالْجَهْلُ دَاءٌ عَيَاءُ

وَكَأَنِّي أَرَاهُ يُمْلِي عَلَيْنَا ... وَلَهُ وَاجِباً عَلَيْنَا الدُّعَاءُ

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا ... يَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ(٢)

تُذْهِلُ الْمَرْءَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي ... عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةُ الْعَذْرَاءُ(٣)

هَذَانِ الْبَيْتَانِ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ضَمَّنَهُمَا .

---

(١) الضعائف جمع ضعيفة : وهى ما انحطت عن درجة الفصيح من الكلام

(٢) أى متفرقة ممتدة (٣) براها جمع برة : وهى كل حلقة من سوار وخلخال وقرط ، والعقيلة من النساء : الكريمة المخدرة ، والعذراء : البكر .

﴿٢٩ - مُحَمَّدُ بْنُ حَارِثٍ الْخُشَنِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ﴾

محمد بن حارث الخشنى الأندلسى

صَاحِبُ التَّوَارِيخِ ، ذَكَرَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ فَقِيهٌ مُحَدِّثٌ ، رَوَى عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ وَنَحْوِهِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ أَخْبَارِ الْقُضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ ، كِتَابُ الِاتِّفَاقِ وَالِاخْتِلَافِ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَمَاتَ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ ، ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، وَأَوْرَدَ عَنْهُ أَبُو سَعِيدِ بْنُ يُونُسَ فِي تَارِيخِهِ وَفَيَاتِ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِمَّنْ مَاتَ قَبْلَ الثَّلَاثِمِائَةِ وَبَعْدَهَا بِمُدَّةٍ ، وَقَدْ أَفْصَحَ أَبُو سَعِيدٍ بِاسْمِهِ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ تَارِيخِهِ فِي بَابِ السِّينِ وَبَابِ النُّونِ ، وَمَا أُرَاهُ لَقِيَهُ وَلَكِنَّهُ عَاصَرَهُ وَكَانَ فِي زَمَانِهِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُ فِيمَا يُورِدُهُ عَنْهُ : ذَكَرَهُ الْخُشَنِيُّ فِي كِتَابِهِ . وَذَكَرَ الْحَمِيدِيُّ فِي بَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْخُشَنِيِّ : أَنَّ عَبْدَ الْغَنِيِّ بْنَ سَعِيدٍ الْحَافِظَ غَلِطَ فِيهِ فَقَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْخُشَنِيُّ صَاحِبُ التَّارِيخِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ حَارِثٍ فَغَلِطَ ، هَذَا تَلْخِيصُ كَلَامِ الْحَمِيدِيِّ لَا عَلَى وَجْهِهِ (١)

---

(١) كلام الحميدى على وجهه موجود عند الضبي « ص ٩٣ »

٣٠ – مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبَ أَبُو جَعْفَرٍ *

محمد بن حبيب ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فَقَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ بِاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ الثِّقَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبَ وَيُكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ وَكَانَ مُؤَدِّبًا . وَلَا يُعْرَفُ أَبُوهُ وَإِنَّمَا نُسِبَ إِلَى أُمِّهِ وَهِيَ حَبِيبُ ، وَهُوَ مِمَّنْ يَرْوِي كُتُبَ ٱبْنِ الْأَعْرَابِيِّ [1] وَٱبْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَقُطْرُبٍ وَكُتُبُهُ صَحِيحَةٌ ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي الْأَخْبَارِ مِنْهَا : كِتَابُ الْمُحَبَّرِ وَالْمُوَشَّى وَغَيْرُهُمَا . مَاتَ ٱبْنُ حَبِيبَ بِسَامَرَّا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي رُؤْبَةَ : قَالَ أَبُو رُؤْبَةَ : عَبَرْتُ إِلَى ٱبْنِ حَبِيبَ فِي مَكْتَبِهِ وَكَانَ يُعَلِّمُ وَلَدَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي شُكُوكٍ شَكَكْتُ فِيهَا ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْبَرْبَرِيُّ عَنِ ٱبْنِ حَبِيبَ قَالَ : إِذَا قُلْتَ لِلرَّجُلِ مَاصِنَاعَتُكَ ؟ فَقَالَ مُعَلِّمٌ فَاصْفَعْ ، وَأَنْشَدَ ٱبْنُ حَبِيبَ :

لَوْ كَانَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ إِنَّ الْمُعَلِّمَ لَا يَزَالُ مُعَامًّا [2]
حَتَّى بَنِي الْخُلَفَاءِ وَالْخُلَفَاءَ مَنْ عَلَّمَ الصِّبْيَانَ صَبَّوْا [3] عَقْلَهُ

---

(١) بالأصل هذا « الأغانى » وهذا التصحيح عن هامشه (٢) فى الأصل : « معدما » تحريف شنيع (٣) صبوا عقله : أمالوه إلى الصبوة وجهالتها .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

وَمُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبَ مَوْلًى لِبَنِي هَاشِمٍ ثُمَّ مَوْلًى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ، وَأُمُّهُ مَوْلَاةٌ لَهُمْ. وَقَالَ ابْنُ النَّدِيمِ: نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعِيدٍ السُّكَّرِيِّ قَالَ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبَ ابْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ يَرْوِي عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَقُطْرُبٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبِي الْيَقْظَانِ، وَأَكْثَرَ الْأَخْذَ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ السُّكَّرِيُّ. قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: وَكَانَ مُحَمَّدُ ابْنُ حَبِيبَ يُغِيرُ عَلَى كُتُبِ النَّاسِ فَيَدَّعِيهَا وَيُسْقِطُ أَسْمَاءَهُمْ، فَمِنْ ذَلِكَ: الْكِتَابُ الَّذِي أَلَّفَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي عُبَيْدِ اللهِ، وَاسْمُ أَبِي عُبَيْدِ اللهِ مُعَاوِيَةُ، وَكُنْيَتُهُ هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى اسْمِهِ فَلَمْ يَذْكُرْهَا لِئَلَّا يُعْرَفَ، وَابْتَدَأَ فَسَاقَ كِتَابَ الرَّجُلِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ يَخْلِطْهُ بِغَيْرِهِ، وَلَمْ يُغَيِّرْ مِنْهُ حَرْفًا وَلَا زَادَ فِيهِ شَيْئًا، فَلَمَّا خَتَمَهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ مَنْ لُقِّبَ مِنَ الشُّعَرَاءِ بِبَيْتٍ قَالَهُ. قَالَ: وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ صَنَعَ صَنِيعَهُ هَذَا، وَلَا مَنِ اسْتَحْسَنَ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ هَذَا الْمَوْضِعَ الْقَبِيحَ، وَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كِتَابَ إِسْمَاعِيلَ هَذَا لَمْ تَكْثُرْ رِوَايَتُهُ وَلَا اتَّسَعَ فِي أَيْدِي الْأُدَبَاءِ، فَقَدَّرَ ابْنُ حَبِيبَ أَنَّ أَمْرَهُ يَنْسَتِرُ، وَأَنَّ إِغَارَتَهُ عَلَيْهِ تُمِيتُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ.

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ عَنْ عَلِيِّ

ابْنُ عبدِ اللهِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرُّومِيُّ يَخْتَلِفُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبَ ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ صَدِيقًا لِأَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ جُورْجِسَ ، وَكَانَ يَخُصُّ عَلِيًّا لِمَا يَرَى مِنْ ذَكَائِهِ، تَحَدَّثَ عَلِيٌّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ شَيْءٌ يَسْتَغْرِبُهُ وَيَسْتَجِيدُهُ يَقُولُ لِي : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، ضَعْ هَذَا فِي تَامُورِكَ (١) . وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : قَالَ أَبُو طَاهِرٍ الْقَاضِي : مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبَ وَهِيَ أُمُّهُ وَهُوَ وَلَدُ مُلَاعَنَةٍ (٢) . وَحَدَّثَ أَيْضًا فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى ثَعْلَبٍ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ ابْنِ حَبِيبَ فَلَمْ يُمْلِ فَقُلْتُ وَيْحَكَ أَمْلِ، مَالَكَ ؟ فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى قُمْتُ ، وَكَانَ وَاللهِ حَافِظًا صَدُوقًا، وَكَانَ يَعْقُوبُ أَعْلَمَ مِنْهُ ، وَكَانَ هُوَ أَحْفَظَ لِلْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ مِنْهُ وَهُوَ بَغْدَادِيٌّ .

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزَّبِيدِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ فِي كِتَابِهِ قَالَ : قَالَ ثَعْلَبٌ : أَتَيْتُ ابْنَ حَبِيبَ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يُمْلِي شِعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَوْضِعِي قَطَعَ الْإِمْلَاءَ فَانْصَرَفْتُ وَعُدْتُ إِلَيْهِ ، وَتَرَفَّقْتُ بِهِ فَأَمْلَى وَكَانَ لَا يَقْعُدُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَعَذَلْتُهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَعَدَ جُمْعَةً مِنَ الْجُمَعِ

(١) التامور : الحقة (٢) أى ولد امرأة رميت بالزنا ، واللعان : أن يسب الرجل امرأته بالزنا ، فيتلاعنان أمام القاضى فيفرق بينهما على ما هو مبسوط فى كتب الشريعة .

وَاجتمعَ إِلَيهِ النَّاسُ فسألَهُ سائلٌ عن هذهِ الأبيات:

أزْحنةُ عنّي تطرُدين تبدّدت ... بلحمِك طيرٌ طرْنَ كلَّ مطيرِ
فَفِي لاتزلّي زلّةً ليس بعدَها ... جُبورٌ(١) وزلّاتُ النِّساءِ كثيرِ
وإنّي وإيّاهُ كرجلَيْ نعامةٍ ... على كلِّ حالٍ من غِنىً وفقيرِ(٢)

ففسّرَ ما فيهِ منَ اللغةِ، فقيلَ له كيفَ قيلَ؟ «غِنىً وفقيرِ» ولَمْ يقُلْ مِنْ «غِنىً وفقرٍ» قال: فاضطربَ، فقلتُ لِلسَّائلِ: هذهِ غريبةٌ، وأنا أنوبُ عنهُ وبيّنتُ العلّةَ وانصرفَ، ثُمَّ لَمْ يعُدْ للقعودِ بعدَ ذلكَ وانقطعتُ عنهُ. قولُهُ رِجلَيْ نعامةٍ: إنَّما شبَّهَ بهِ لأنَّهُ لاتنوبُ إحداهُما عنِ الأُخرى لأنَّهُ لامُخَّ فيها، وسائرُ الحيوانِ إذا أعيتْ إحدى رِجليهِ استعانَ بالأُخرى فيُقالُ هُما رِجلا نعامةٍ، أيْ لا غِنى لإحداهُما عنِ الأُخرى، والأسماءُ تَرِدُ على المصادرِ والمصادرُ على الأسماءِ، لأنَّ المصادرَ إنَّما ظهرتْ لظهورِ الأسماءِ وتمكُّنِ الإعرابِ منها.

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسحاقَ: ولابنِ حبيبٍ منَ الكُتبِ: كتابُ النسبِ، كتابُ الأمثالِ على أفعلَ ويُسمَّى المُنمّق، كتابُ السُّعودِ والعُمودِ، كتابُ العمائرِ والرّبائعِ، كتابُ المُوشّحِ، كتابُ المُختلفِ والمُؤتلفِ في أسماءِ القبائلِ، كتابُ المُحبّرِ

---

(١) أى التئام. (٢) يلاحظ أن فى البيت إقواء

وَهُوَ مِنْ جيِّدِ كُتُبِهِ ، كِتَابُ الْمُقْتَنَى ، كِتَابُ غرِيبِ الحَدِيثِ ، كِتَابُ الأَنْوَاء ، كِتَابُ الْمُشَجَّرِ ، كِتَابُ مَنِ اسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، كِتَابُ الْمُوَشَّى ، كِتَابُ الْمُذَهَّبِ فِى أَخْبَارِ الشُّعَرَاء وَطَبَقَاتِهِمْ ، كِتَابُ نَقَائِضِ جَرِيرٍ وَعُمَرَ بْنِ لَجَأٍ ، كِتَابُ نَقَائِضِ جَرِيرٍ وَالفَرَزْدَقِ ، كِتَابُ الْمُفَوَّفِ ، كِتَابُ تَارِيخِ الْخُلَفَاء ، كِتَابُ مَنْ سُمِّيَ بِبَيْتٍ قَالَهُ ، كِتَابُ مَقَاتِلِ الفُرْسَانِ ، كِتَابُ الشُّعَرَاء وَأَنْسَابِهِمْ ، كِتَابُ الْعَقْلِ ، كِتَابُ كُنَى الشُّعَرَاء ، كِتَابُ السِّمَاتِ ، كِتَابُ أَيَّامِ جَرِيرٍ الَّتِي ذَكَرَهَا فِى شِعْرِهِ ، كِتَابُ أُمَّهَاتِ أَعْيَانِ بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كِتَابُ الْمُقْتَبَسِ ، كِتَابُ أُمَّهَاتِ السَّبْعَةِ مِنْ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ الْخَيْلِ ، كِتَابُ النَّبَاتِ ، كِتَابُ أَلْقَابِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا ، كِتَابُ الأَرْحَامِ الَّتِي بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ سِوَى الْعَصَبَةِ ، كِتَابُ أَلْقَابِ الْيَمَنِ وَمُضَرَ وَرَبِيعَةَ ، كِتَابُ الْقَبَائِلِ الْكَبِيرَةِ وَالأَيَّامِ جَمَعَهُ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَرَأَيْتُ أَنَا النُّسْخَةَ بِعَيْنِهَا فِى طَلْحِى نَيِّفًا وَعِشْرِينَ جُزْءًا ، وَكَانَتْ تَنْقُصُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا فِى كُلِّ جُزْءٍ مِائَتَا وَرَقَةٍ وَأَكْثَرُ ، وَلِهَذِهِ النُّسْخَةِ فِهْرِسْتٌ لِمَا تَحْتَوِى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبَائِلِ وَالأَيَّامِ فِى طَلْحِى نَحْوُ خَمْسَةَ عَشَرَ وَرَقَةً . وَمِنْ صُنْعِهِ فِى أَشْعَارِ الْعَرَبِ : كِتَابُ

دِيوانُ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ ، كِتَابُ شِعْرِ الشَّمَّاخِ (١) ، كِتَابُ شِعْرِ الْأُقَيْشِرِ ، كِتَابُ شِعْرِ الصِّمَّةِ ، كِتَابُ شِعْرِ لَبِيدٍ الْعَامِرِيِّ .

﴿ ٣١ — مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ * ﴾

محمد بن حرب الحلبي

الْحَلَبِيُّ أَبُو الْمُرَجَّى ، أَحَدُ أَعْيَانِ حَلَبَ وَالْمَشْهُورِينَ مِنْهُمْ بِعِلْمِ الْأَدَبِ ، مَاتَ بِدِمَشْقَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ ، وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْجِيرَانِيِّ قَالَ : مَاتَ شَيْخُنَا بِدِمَشْقَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ — أَدَامَ اللهُ أَيَّامَهُ — قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ حَرْبٍ الْخَطِيبُ خَطِيبُ قَلْعَةِ حَلَبَ إِمْلَاءً مِنْ لَفْظِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْمُرَجَّى مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا يُنْشِدُنِي هَذَا الْبَيْتَ :

أَرُومُ عَطَا الْأَيَّامِ وَالدَّهْرُ مُهْلِكِي
عُمْرٌ لَهَا وَالدَّهْرُ رَهْنٌ عَطَاهَا

فَأَجَزْتُهُ بِأَبْيَاتٍ :

أَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا
سَتُرْدِيكَ يَوْمًا إِنْ عَلَوْتَ مَطَاهَا

(١) فى الأصل : « شطر السماح » « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

صُنِ النفسَ لا تَرْكَنْ إليها فإنْ أَبَتْ
فَرَدِّدْ عليها آيَ آخرِ طه[١]

وَدَعْ رَوْضَى الآمالِ والحِرْصِ إنّهُ
إذا رَدَعَ النفسَ الهُدَى سَطَاهَا[٢]

فَلا بُدَّ يوماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ فتبسُطَ مِنّا عُقْدَةً نَشَطَاهَا[٣]

أَنْشَدَنِي الأَخُ أبو القاسمِ أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ سعدِ الجِبْرانيُّ النَّحْوِيُّ الحلبيُّ قالَ : أنشدَني شيخِي أبو المُرَجَّى محمّدُ بنُ حربٍ الأَنَابِيُّ ، وأَنَابُ قريةٌ مِنْ بلدِ أَعْزَازَ مِنْ نواحِي حلبَ لِنفسِهِ في صفةِ الرُّمّانِ :

ولمّا فَضَضْتُ الخَتْمَ عنهُنَّ لاحَ لِي
فُصُوصُ عقيقٍ في بُيُوتٍ مِنَ التِّبْرِ

وَدُرٌّ وَلَكِنْ لَمْ يُدَنِّسْهُ غائِصٌ
وَماءٌ وَلكنْ في مَخَازِنَ مِنْ جَمْرِ[٤]

وأنشدَني قالَ : أنشدَنِي المذكورُ لِنفسِهِ :

لَمّا بَدَا لَيْلُ عارِضَيْهِ لَنَا
يَحْكِي سُطُوراً كُتِبْنَ بالمِسْكِ

(١) يريد : قوله تعالى « ولا تمدن عينيك إلى آخر السورة » . (٢) سطاها : قهرها . (٣) نشطاها : عقداها ، من نشط الحبل : عقده ، وألف الاثنين عائدة على الآمال والحرص . (٤) كانت هذه الكلمة فى الأصل : «خمر» بالخاء المعجمة .

تَلاَ عَلَيْنَا الْعِذَارُ سُورَةَ وَالْـ ـلَيْلِ وَغَنَّى لَنَا « قِفَا نَبْكِ [(١)] »

وَأَنْشَدَنِى لَهُ :

تَجَلَّى سَنَا شَمْعَةٍ تُشَابِهُنِى وَقْداً وَلَوْناً وَأَدْمُعاً وَفَنَا

قَالَ : وَلَهُ أُرْجُوزَةٌ فِى مَخَارِجِ الْحُرُوفِ .

﴿ ٣٢ — مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ النَّمَلِىُّ [(٢)] يُكْنَى أَبَا حَسَّانَ * ﴾

محمد بن حسان النملى

أَحَدُ الْكُتَّابِ الطَّيَّابِ وَالْأُدَبَاءِ ، وَكَانَ فِى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ وَلَهُ مَعَهُ أَحَادِيثُ ، وَلَهُ كِتَابُ بَرْجَانَ وَحُبَاحِبَ وَهُوَ كَبِيرٌ فِى أَخْبَارِ النِّسَاءِ وَالْبَاهِ ، كِتَابٌ آخَرُ صَغِيرٌ فِى هَذَا الْمَعْنَى ، كِتَابُ الْبِغَاءِ ، كِتَابُ السَّحْقِ ، كِتَابُ خِطَابِ الْمُكَارِى لِجَارِيَةِ الْبَقَّالِ .

﴿ ٣٣ — مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ الضَّبِّىُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ * ﴾

محمد بن حسان الضبي

كَانَ نَحْوِيًّا فَاضِلاً وَأَدِيباً شَاعِراً ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ الْعَبَّاسَ ابْنَ الْمَأْمُونِ وَغَيْرَهُ مِنْ وَلَدِهِ فَمَاتُوا فَقَالَ يَرْثِيهِمْ :

خَلِّ دَمْعَ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ بَانَ مَنْ أَهْوَاهُ فَاحْتُمِلُوا [(٣)]

كُلُّ دَمْعٍ صَانَهُ كَلِفٌ [(٤)] فَهْوَ يَوْمَ الْبَيْنِ مُبْتَذَلُ

---

(١) يشير إلى معلقة امرىء القيس المشهورة فى التشبيب والغزل (٢) نسبة إلى نملى بالتحريك كجمزى ، قال الجرمى : ماء بقرب المدينة ، وقيل جبال كثيرة فى وسط ديار بنى قريظ (٣) احتملوا بالبناء للمجهول : أى احتملتهم المنية وأقصتهم .

(٤) أى محب شغوف .

(*) ترجم له فى كتاب الفهرست لابن النديم .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة .

يَا أَخِلَّائِي الَّذِينَ نَأَتْ بِهِمُ الطَّيَّاتُ (١) وَانْتَقَلُوا
قَدْ أَبَى أَنْ يَنْثَنِي بِكُمُ أَوْبَةٌ يَحْيَا بِهَا الأَمَلُ

وَحَدَّثَ شَبَابٌ الْعُصْفُرِيُّ قَالَ: وَلَّى الْمَأْمُونُ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ الضَّبِّيَّ مَظَالِمَ الْجَزِيرَةِ وَقِنَّسْرِينَ وَالْعَوَاصِمِ وَالثُّغُورِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، ثُمَّ زَادَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَظَالِمَ الْمَوْصِلِ وَإِرْمِينِيَةَ قَالَ: وَوَلَّى الْمُعْتَصِمُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ مَظَالِمَ الرَّقَّةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ الْمُعْتَصِمُ فَأَقَرَّهُ الْوَاثِقُ عَلَيْهَا.

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ: قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ الضَّبِّيُّ عَلَى أَبِي الْمُغِيثِ الرَّافِقِيِّ فَمَدَحَهُ فَوَعَدَهُ بِثَوَابٍ فَتَأَخَّرَ عَنْهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ:

عَذَّبْتَ بِالْمَطْلِ وَعْداً رَفَّ مُورِقُهُ (٢)
حَتَّى لَقَدْ جَفَّ مِنْهُ الْمَاءُ وَالْعُودُ
سَقْياً لِلَفْظِكَ مَا أَحْلَى مَخَارِجَهُ لَوْلَا عَقَارِبُ فِي أَثْنَائِهِ سُودُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا أَبُو الْمُغِيثِ تَبَسَّمَ وَأَجَابَهُ:

لَا تَعْجَلَنَّ عَلَى لَوْمِي فَقَدْ سَبَقَتْ
مِنِّي إِلَيْكَ بِمَا تَهْوَى الْمَوَاعِيدُ

---

(١) الطيات: المنازل البعيدة والمسافات الشاسعة. (٢) أي اهتزت أغصانه

فَإِنْ صَبَرْتَ أَتَاكَ النُّجْحُ عَنْ كَثَبٍ
وَكُلُّ طَالِعِهِ سَعْدٌ وَمَسْعُودُ
وَفِي الْكَرِيمِ أَنَاةٌ رُبَّمَا اتَّصَلَتْ
إِنْ لَمْ يُعَامَلْ بِصَبْرٍ أَيْبَسَ الْعُودُ

وَعَجِّلْ لَهُ صِلَتَهُ. وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَرَاءِ: أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ الضَّبِّيُّ لِنَفْسِهِ:

كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى بَدَا السُّقْمُ ظَاهِراً
وَحَتَّى جَرَى دَمْعِي يَسِيلُ بِدَاراً
وَأَخْفَيْتُ مَنْ أَهْوَى وَأَلْقَيْتُ دُونَهُ
مِنَ الْحُبِّ أَسْتَاراً فَعُدْنَ جِهَاراً

وَلَهُ أَيْضاً فِي رِوَايَةِ الْمَرْزُبَانِيِّ:

فَفِيمَ أُجِنُّ الصَّبْرَ (١) وَالْبَيْنُ حَاضِرٌ
وَأَمْنَعُ تَذْرَافَ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وَقَدْ فَرَّقَتْ جَمْعَ الْهَوَى طِيَّةُ النَّوَى
وَغُودِرْتُ (٢) فَرْداً شَاهِداً مِثْلَ غَائِبِ

﴿ ٣٤ — مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي سَارَةَ الرُّؤَاسِيُّ * ﴾

يُكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ، هُوَ ابْنُ أَخِي مُعَاذٍ الْهَرَّاءِ، وَهُمْ مِنْ — محمد بن الحسن الرؤاسي

---

(١) أي أكتمه (٢) أي تركت

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة.

مَوَالِى مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ الْقُرظِىِّ قَالَ[١] : وَسُمِّىَ الرُّؤَاسِىَّ لِكِبَرِ رَأْسِهِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ النِّيلَ فَقِيلَ لَهُ النِّيلِىُّ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ كِتَابًا فِى النَّحْوِ ، وَمَاتَ فِى أَيَّامِ الرَّشِيدِ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ : كَانَ الرُّؤَاسِىُّ أُسْتَاذَ عَلِىِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِىِّ وَالْفَرَّاءِ . قَالَ الْفَرَّاءُ : فَلَمَّا خَرَجَ الْكِسَائِىُّ إِلَى بَغْدَادَ قَالَ لِى الرُّؤَاسِىُّ : قَدْ خَرَجَ الْكِسَائِىُّ وَأَنْتَ أَسَنُّ مِنْهُ ، فَجِئْتُ إِلَى بَغْدَادَ فَرَأَيْتُ الْكِسَائِىَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسَائِلِ الرُّؤَاسِىِّ فَأَجَابَنِى بِخِلَافِ مَا عِنْدِى ، فَغَمَزْتُ عَلَيْهِ قَوْمًا كُوفِيِّينَ كَانُوا مَعِى فَرَآنِى فَقَالَ لِى : مَالَكَ قَدْ أَنْكَرْتَ ؟ لَعَلَّكَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : الرُّؤَاسِىُّ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا وَلَيْسَ صَوَابًا . وَسَمِعْتُ الْعَرَبَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا حَتَّى أَتَى عَلَى مَسَائِلِى فَلَزِمْتُهُ . قَالَ : وَكَانَ الرُّؤَاسِىُّ رَجُلًا صَالِحًا وَقَالَ : بَعَثَ الْخَلِيلُ إِلَىَّ يَطْلُبُ كِتَابِى فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ قَالَ : وَكُلُّ مَا فِى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ « وَقَالَ الْكُوفِىُّ كَذَا » فَإِنَّمَا يَعْنِى الرُّؤَاسِىَّ . قَالَ : وَكِتَابُ الرُّؤَاسِىِّ يُقَالُ لَهُ الْفَيْصَلُ . وَزَعَمَ ثَعْلَبٌ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ كِتَابًا فِى النَّحْوِ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِىُّ ، وَكَانَ لَهُ كِتَابٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ

(١) يعنى صاحب الفهرست

يُقَدِّمُونَهُ . وَقَالَ سَلَمَةُ : سُئِلَ الفَرَّاءُ عَنِ الرُّؤَاسِيِّ فَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ كَانَ دَخَلَ الْبَصْرَةَ دَخْلَتَيْنِ (١) ، وَقَلَّ مُقَامُهُ بِالْكُوفَةِ فَلِذَلِكَ قَلَّ أَخْذُ النَّاسِ عَنْهُ قَالَ : وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : مَا عُرِفَ الرُّؤَاسِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ فَدَخَلَ الْبَصْرَةَ لِيَعْرِضَهُ عَلَى أَصْحَابِنَا فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، أَوْ لَمْ يَجْسُرْ عَلَى إِظْهَارِهِ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ .

وَقَالَ ابْنُ درستويه : وَزَعَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الْكُوفِيَّ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْأَخْفَشُ فِي آخِرِ كِتَابِ الْمَسَائِلِ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ هُوَ الرُّؤَاسِيُّ .

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْأَشْعَثِيُّ عَنِ الرُّؤَاسِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ : إِنَّ لِي تِجَارَةً بِالنِّيلِ أَفَأَشْتَرِي بِالنِّيلِ دَارًا ؟ فَقَالَ : اشْتَرِ مَا يَنْفَعُكَ ، فَرُبَّ عُزْلَةٍ كَانَتْ دَاعِيَةَ خَيْرٍ ، وَإِيَّاكَ (٢) وَجَمِيعَ مَا يَعْنِيكَ ، فَأَمَّا مَا لَا يَعْنِيكَ فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ (٣) .

وَحَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ الْأَحْمَرِ عَنِ الْكِسَائِيِّ قَالَ : كَانَ لِلرُّؤَاسِيِّ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ النِّيلِ تَزَوَّجَهَا بِالْكُوفَةِ وَانْتَقَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ النِّيلِ وَشَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنَّهَا

---

(١) أى مرتين من الدخول (٢) إياك وجميع ما يعنيك : إغراء ، أى الزمه

(٣) فإياك وإياه : تحذير : أى احذره وتباعد عنه .

تُلِمُّ بأَهْلِهَا فِى كُلِّ مُدَّةٍ [١] فَكَانَتْ لَا تقيم عِندَهُ إلّا القَلِيلَ ، ثُمَّ يحتاجُ إِلَى إِخْرَاجِهَا ورَدِّهَا فملَّ ذَلِكَ مِنْهَا وفَارَقَهَا وقَالَ فِيهَا :

بَانَتْ لِمَنْ تَهْوَى حُمُولُ ... فَأَسِفْتُ فِى أَثَرِ الْحُمُولِ

أَتْبَعْتُهُمْ عَيْنًا عَلَيْـ ... ـهِمْ مَا تُفِيقُ مِنَ الهُمُولِ

ثُمَّ ارْعَوَيْتُ [٢] كَمَا ارْعَوَى ... عَنْهَا الْمُسَائِلُ لِلطُّلُولِ

لَاحَتْ مَخَائِلُ [٣] خُلْفِهَا ... وَخِلَافُهَا دُونَ الْقَبُولِ

مَلَّتْ وَأَبْدَتْ جَفْوَةً ... لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى مَلُولِ

وَلِأَبِى جعفرٍ الرُّؤَاسِىِّ قَصِيدَةٌ مِنْهَا :

أَلَا يَا نَفْسُ هَلْ لَكِ فِى صِيَامٍ ... عَنِ الدُّنْيَا لَعَلَّكِ تَهْتَدِينَا

يَكُونُ الفِطْرُ وَقْتَ الْمَوْتِ مِنْهَا ... لَعَلَّكِ عِنْدَهُ تَسْتَبْشِرِينَا

أَجِيبِينِى هُدِيتِ وَأَسْعِفِينِى ... لَعَلَّكِ فِى الْجِنَانِ تُخَلَّدِينَا

وَحَدَّثَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِىُّ فِى كِتَابِ الْمَرَاتِبِ قَالَ : وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنْ أَبِى عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِىُّ عَالِمُ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِنَظِيرٍ لِمَنْ ذَكَرْنَا وَلَا قَرِيبًا مِنْهُمْ ، وَكَانَ ذَكَرَ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ وَعِيسَى بْنَ عُمَرَ وَالْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ وَنَظَائِرَهُمْ قَالَ : وَقَالَ

(١) تلم الخ : تنزل بهم وتزورهم (٢) ارعويت : كففت ورجعت

(٣) أى بوادر وأمارات ، جمع مخيلة .

أَبُو حَاتِمٍ : كَانَ بِالْكُوفَةِ نَحْوِيٌّ يُقَالُ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ وَهُوَ مَطْرُوحُ الْعِلْمِ لَيْسَ بِشَيْءٍ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِى الْكِتَابِ الَّذِى أَلَّفَهُ فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ : وَلِلرُّؤَاسِيِّ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْفَيْصَلِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ وَهُوَ يُرْوَى إِلَى الْيَوْمِ ، كِتَابُ مَعَانِى الْقُرْآنِ ، كِتَابُ التَّصْغِيرِ ، كِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ الصَّغِيرُ .

٣٥ — مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ الْأَحْوَلُ *

محمد بن الحسن ابن دينار الأحول

أَبُو الْعَبَّاسِ ، كَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ وَاسِعَ الْفَهْمِ جَيِّدَ الدِّرَايَةِ حَسَنَ الرِّوَايَةِ . رَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ وَقَرَأَ عَلَيْهِ دِيوَانَ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ فِى سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِنِفْطَوَيْهِ : جَمَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ الْأَحْوَلُ أَشْعَارَ مِائَةِ شَاعِرٍ وَعِشْرِينَ شَاعِراً ، وَعَمِلْتُ أَنَا خَمْسِينَ شَاعِراً . وَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيُّ وَجَعَلَهُ فِى طَبَقَةِ الْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ . وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ أَنَّهُ كَانَ وَرَّاقاً يُوَرِّقُ لِحُنَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُتَطَبِّبِ فِى مَنْقُولَاتِهِ لِعُلُومِ الْأَوَائِلِ ،

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ٣ ، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

وَكَانَ مَحْدُوداً أَىْ قَلِيلَ الْحَظِّ مِنَ النَّاسِ ، وَحَدَّثَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخفشِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَحْوَلُ قَالَ : اجْتمَعْنَا مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ ثعلبٍ فِي بَيْتِهِ وَحَضَرَ [١] ابْنُ بُوكَرَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا : عَرِّفُونِي أَلقَابَكُمْ. فَقَالَ ثَعْلَبٌ : أَنَا ثعلَبٌ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا كَذَا ، وَالْآخَرُ أَنَا كَذَا ، فَلَمَّا بَلَغُوا إِلَيَّ قَالُوا : وَأَنْتَ مَا لَقَبُكَ ؟ فَقُلْتُ مَنَعَتِ الْعَاهَةُ مِنَ اللَّقَبِ [٢] .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ نِفْطَوَيْهِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَحْوَلُ يَقُولُ : « لَمْ يَزُلُوا » وَكَذَا رَدَّ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهُ « لَمْ يَزَالُوا » أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ لَحَّاناً . وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْيَزِيدِيِّ قَالَ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَحْوَلُ يَكْتُبُ لِي مِائَةَ وَرَقَةٍ بِعِشْرِينَ دِرْهَماً . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَحْوَلُ نَاسِخاً وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الدَّوَاهِي ، كِتَابُ السِّلَاحِ ، كِتَابُ مَا اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعْنَاهُ ، كِتَابُ فَعَلَ وَأَفْعَلَ ، كِتَابُ الْأَشْبَاهِ ، وَجَمَعَ كَمَا تَقَدَّمَ دَوَاوِينَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ شَاعِراً.

---

(١) كلمة « وحضر » لم تكن فى الأصل وهى من تصحيح هامشه ، أقول : ولعل الكلام فى بيت ابن وكران الخ . (٢) يريد : أن الحول شىء لا يحسن ذكره ، أو أن الحول كاف فى اللقب .

٣٦ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ بْنِ عَتَاهِيَةَ *

محمد بن الحسن ابن دريد

ابْنِ حَنْتَمَ بْنِ حَمَامِيِّ بْنِ وَاسِعِ بْنِ وَهْبِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ حَنْتَمِ ابْنِ حَاضِرِ بْنِ جُشَمَ بْنِ ظَالِمِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَالِكِ بْنِ فَهْمِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زُهَيْرٍ – وَيُقَالُ: زَهْرَانُ – ابْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضْرِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَا بْنِ يَشْجُبَ ابْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ.

مَاتَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ مَاتَ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُبَّائِيُّ فَقِيلَ: مَاتَ عِلْمَا اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ وَدُفِنَا جَمِيعًا فِي مَقْبَرَةِ الْخَيْزُرَانِ. وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: دُفِنَ بِالْعَبَّاسِيَّةِ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فِي ظَهْرِ سُوقِ السِّلَاحِ مِنَ الشَّارِعِ الْأَعْظَمِ. وَقَالَ التَّنُوخِيُّ وَرِجَالُهُ: دُفِنَ ابْنُ دُرَيْدٍ بِظَهْرِ السُّوقِ الْجَدِيدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِمَقَابِرِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَمَوْلِدُهُ بِالْبَصْرَةِ فِي سِكَّةِ صَالِحٍ فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَبِالْبَصْرَةِ تَأَدَّبَ وَعَلِمَ اللُّغَةَ وَأَشْعَارَ

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له في كتاب بغية الوعاة بترجمة ضافية

الْعَرَبِ ، وَقَرَأَ عَلَى عُلَمَاءِ الْبَصْرَةِ ثُمَّ صَارَ إِلَى عُمَانَ فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، ثُمَّ صَارَ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ثُمَّ صَارَ إِلَى فَارِسَ فَسَكَنَهَا مُدَّةً، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ بَصْرِيُّ الْمَوْلِدِ وَنَشَأَ بِعُمَانَ وَتَنَقَّلَ فِي جَزَائِرِ الْبَحْرِ وَالْبَصْرَةِ وَفَارِسَ وَطَلَبَ الْأَدَبَ وَعِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَذَوِي الْيَسَارِ ، وَوَرَدَ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ أَسَنَّ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى آخِرِ عُمُرِهِ . وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ ، وَأَبِي الْفَضْلِ الرِّيَاشِيِّ . وَكَانَ رَأْسَ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ . وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ ، وَأَبُو عُبَيْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِيُّ ، وَأَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ ، وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ ، وَرَوَى مِنْ أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا مَا لَمْ يَرْوِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ عِنْدَ ذِكْرِ ابْنِ دُرَيْدٍ : هُوَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ لُغَةُ الْبَصْرِيِّينَ ، وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ وَأَوْسَعَهُمْ عِلْماً وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى شِعْرٍ ، وَمَا ازْدَحَمَ الْعِلْمُ وَالشِّعْرُ فِي صَدْرِ أَحَدٍ ازْدِحَامَهُمَا فِي صَدْرِ خَلَفٍ الْأَحْمَرِ

وابنِ دُرَيْدٍ . وتصدَّرَ ابنُ دُرَيْدٍ فِي العِلْمِ سِتِّينَ سَنَةً . وأَوَّلُ شِعْرٍ قالَهُ :

ثَوْبُ الشَّبابِ عَلَيَّ اليَوْمَ بَهْجَتُهُ فَسَوْفَ تَنْزِعُهُ عَنِّي يَدُ الكِبَرِ
أَنَا ابْنُ عِشْرِينَ مَازَادَتْ وَلَا نَقَصَتْ
إِنَّ ابْنَ عِشْرِينَ مِنْ شَيْبٍ عَلَى خَطَرِ

وَكَانَ يُقَالُ : ابْنُ دُرَيْدٍ أَشْعَرُ العُلَماءِ وَأَعْلَمُ الشُّعَراءِ . قَالَ الخَطِيبُ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دُرَيْدٍ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ آبَائِي حَمامِيٌّ وَهُوَ مِنَ السَّبْعِينَ رَاكِباً الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ مِنْ عُمانَ إِلَى المَدِينَةِ لَمَّا بَلَغَهُمْ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدَّوْهُ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ :

وَفَيْنَا لِعَمْرٍو يَوْمَ عَمْرٍو كَأَنَّهُ
طَرِيدٌ نَفَتْهُ مَذْحِجٌ وَالسَّكَاسِكُ (١)

وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ أَنَّ ابْنَ دُرَيْدٍ قَالَ : كَانَ أَبُو عُثْمانَ الأُشْنانْدانِيُّ مُعَلِّمِي ، وَكَانَ عَمِّي الحُسَيْنُ ابْنُ دُرَيْدٍ يَتَوَلَّى تَرْبِيَتِي ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الأَكْلَ اسْتَدْعَى أَبَا عُثْمانَ لِيَأْكُلَ مَعَهُ ، فَدَخَلَ يَوْماً عَمِّي وَأَبُو عُثْمانَ يُرَوِّينِي قَصِيدَةَ الحَارِثِ بْنِ حِلِّزَةَ الَّتِي أَوَّلُهَا :

---

(١) مذحج : قبيلة من عرب اليمن ، والسكاسك : حى باليمن ، جدهم القيل سكسك بن أشرس .

« آذَنَتنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ »

فَقَالَ لِي عَمِّي: إِذَا حفِظْتَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَهَبْتُ لَكَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ دَعَا الْمُعَلِّمَ لِيَأْكُلَ مَعَهُ فَدَخَلَ إِلَيْهِ فَأَكَلَا وَتَحَدَّثَا بَعْدَ الأَكْلِ سَاعَةً، فَإِلَى أَنْ رَجَعَ الْمُعَلِّمُ حَفِظْتُ دِيوَانَ الْحَارِثِ بْنِ حِلِّزَةَ بِأَسْرِهِ فَخَرَجَ الْمُعَلِّمُ فَعَرَّفْتُهُ ذَلِكَ فَاسْتَعْظَمَهُ وَأَخَذَ يَعْتَبِرُهُ عَلَيَّ (١) فَوَجَدَنِي قَدْ حَفِظْتُهُ، فَدَخَلَ إِلَى عَمِّي فَأَخْبَرَهُ فَأَعْطَانِي مَا كَانَ وَعَدَنِي بِهِ.

قَالَ الْخَطِيبُ عَمَّنْ رَأَى ابْنَ دُرَيْدٍ إِنَّهُ قَالَ: كَانَ ابْنُ دُرَيْدٍ وَاسِعَ الْحِفْظِ جِدًّا مَا رَأَيْتُ أَحْفَظَ مِنْهُ، وَكَانَتْ تُقْرَأُ عَلَيْهِ دَوَاوِينُ الْعَرَبِ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا فَيُسَابِقُ إِلَى إِتْمَامِهَا وَتَحَفُّظِهَا، وَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ قُرِئَ عَلَيْهِ دِيوَانُ شَاعِرٍ إِلَّا وَهُوَ يُسَابِقُ إِلَى رِوَايَتِهِ لِحِفْظِهِ لَهُ. قَالَ: وَسُئِلَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فَقَالَ: قَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْهَرَوِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ شَاهِينَ يَقُولُ: كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ وَنَسْتَحِي مِنْهُ لِمَا نَرَى مِنَ الْعِيدَانِ الْمُعَلَّقَةِ، وَالشَّرَابُ الْمُصَفَّى مَوْضُوعٌ وَقَدْ كَانَ جَاوَزَ التِّسْعِينَ سَنَةً. هَذَا كُلُّهُ مِنْ كِتَابِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَلِيٍّ.

---

(١) أي يراجعه علي

وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ التَّهْذِيبِ: وَمِمَّنْ أَلَّفَ فِي زَمَانِنَا الْكُتُبَ فَرُمِيَ بِافْتِعَالِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَوْلِيدِ الْأَلْفَاظِ وَإِدْخَالِ مَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دُرَيْدٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْجَمْهَرَةِ، وَكِتَابِ اشْتِقَاقِ الْأَسْمَاءِ، وَكِتَابِ الْمَلَاحِنِ، وَقَدْ حَضَرْتُهُ فِي دَارِهِ بِبَغْدَادَ غَيْرَ مَرَّةٍ فَرَأَيْتُهُ يَرْوِي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ وَالرِّيَاشِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ. وَسَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ عَنْهُ فَلَمْ يَعْبَأْ بِهِ وَلَمْ يُوَثِّقْهُ فِي رِوَايَتِهِ، وَأَلْفَيْتُهُ أَنَا عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ سَكْرَانَ لَا يَكَادُ يَسْتَمِرُّ لِسَانُهُ عَلَى الْكَلَامِ مِنْ سُكْرِهِ، وَقَدْ تَصَفَّحْتُ كِتَابَهُ الَّذِي أَعَارَهُ اسْمَ الْجَمْهَرَةِ فَلَمْ أَرِدْ لَا[1] عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَاقِبَةٍ وَلَا قَرِيحَةٍ جَيِّدَةٍ، وَعَثَرْتُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ أَنْكَرْتُهَا وَلَمْ أَعْرِفْ مَخَارِجَهَا فَأَثْبَتُّهَا فِي كِتَابِي فِي مَوَاقِعِهَا مِنْهُ لِأَبْحَثَ أَنَا وَغَيْرِي عَنْهَا.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيَّ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ فَرَأَيْتُهُ سَكْرَانَ فَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ.

وَقَالَ غَيْرُ أَبِي مَنْصُورٍ: كَانَ ابْنُ دُرَيْدٍ قَدْ أَمْلَى الْجَمْهَرَةَ فِي فَارِسَ ثُمَّ أَمْلَاهَا بِالْبَصْرَةِ وَبِبَغْدَادَ مِنْ حِفْظِهِ قَالَ: فَلِذَلِكَ

(١) الأصل: «إلا». وهذا التصحيح نقلا عن هامش الأصل.

قَلَّمَا تَتَّفِقُ النُّسَخُ وَتَرَاهَا كَثِيرَةَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ ، وَلَمَّا أَمَلَّهُ بِفَارِسَ غُلَامُهُ تَعَلَّمَ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ ، وَالنُّسْخَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْمُعَوَّلُ هِيَ الْأَخِيرَةُ ، وَآخِرُ مَا صَحَّ مِنَ النُّسَخِ : نُسْخَةُ أَبِي الْفَتْحِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ النَّحْوِيِّ جُخْجُخٍ لِأَنَّهُ كَتَبَهَا مِنْ عِدَّةِ نُسَخٍ وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ : قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : خَرَجْتُ أُرِيدُ زَهْرَانَ بَعْدَ دُخُولِ الْبَصْرَةِ فَمَرَرْتُ بِدَارٍ كَبِيرَةٍ قَدْ خَرِبَتْ فَكَتَبْتُ عَلَى حَائِطِهَا :

أَصْبَحُوا بَعْدَ جَمِيعٍ فِرَقًا   وَكَذَا كُلُّ جَمِيعٍ مُفْتَرِقْ

فَمَضَيْتُ وَرَجَعْتُ فَإِذَا تَحْتَهُ مَكْتُوبٌ :

ضَحِكُوا وَالدَّهْرُ عَنْهُمْ صَامِتٌ   ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقْ

قَالَ : وَخَرَجْنَا نُرِيدُ عُمَانَ فِي سَفَرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا بِقَرْيَةٍ تَحْتَ نَخْلٍ فَإِذَا بِفَاخِتَتَيْنِ تَتَزَاقَّانِ (١) فَسَنَحَ لِي أَنْ قُلْتُ :

أَقُولُ لِوَرْقَاوَيْنِ فِي فَرْعِ نَخْلَةٍ
وَقَدْ طَفَلَ الْإِمْسَاءُ أَوْ جَنَحَ الْعَصْرُ (٢)

وَقَدْ بَسَطَتْ هَاتَا لِتِلْكَ جَنَاحَهَا
وَمَرَّ عَلَى هَاتِيكَ مِنْ هَذِهِ النَّحْرُ

(١) مثنى فاختة : نوع من الحمام البرى : وتتزاقان : تزقق كل منهما الأخرى بمنقارها ، أى تطعمها . (٢) طفل الامساء : دنا ، وجنح العصر : مال للغروب .

لِيَهْنِكُمَا أَنْ لَمْ تُرَاعَا بِفُرْقَةٍ
وَمَا دَبَّ فِي تَشْتِيتِ شَمْلِكُمَا الدَّهْرُ
فَلَمْ أَرَ مِثْلِي قَطَّعَ الشَّوْقُ قَلْبَهُ عَلَى أَنَّهُ يَحْكِي قَسَاوَتَهُ الصَّخْرُ

قَالَ : وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : سَقَطْتُ مِنْ مَنْزِلِي بِفَارِسَ فَانْكَسَرَتْ تَرْقُوَتِي فَسَهِرْتُ لَيْلِي فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَمَلَتْنِي عَيْنَايَ (١) فَرَأَيْتُ فِي نَوْمِي رَجُلاً طَوِيلاً أَصْفَرَ الْوَجْهِ كَوْسَجاً (٢) دَخَلَ عَلَيَّ وَأَخَذَ بِعِضَادَتَي الْبَابِ (٣) وَقَالَ : أَنْشِدْنِي أَحْسَنَ مَا قُلْتَ فِي الْخَمْرِ . فَقُلْتُ : مَا تَرَكَ أَبُو نُوَاسٍ شَيْئاً . فَقَالَ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْهُ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَبُو نَاجِيَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ثُمَّ أَنْشَدَنِي :

وَحَمْرَاءَ قَبْلَ الْمَزْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ
بَدَتْ بَيْنَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ
حَكَتْ وَجْنَةَ الْمَعْشُوقِ صِرْفاً فَسَلَّطُوا
عَلَيْهَا مِزَاجاً فَاكْتَسَتْ لَوْنَ عَاشِقِ

فَقُلْتُ لَهُ : أَسَأْتَ . قَالَ وَلِمَ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّكَ قُلْتَ وَحَمْرَاءَ فَقَدَّمْتَ الْحُمْرَةَ ثُمَّ قُلْتَ « بَدَتْ بَيْنَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ » فَقَدَّمْتَ الصُّفْرَةَ ، فَأَلَّا قَدَّمْتَهَا عَلَى الأخرى كَمَا قَدَّمْتَهَا عَلَى

(١) حملتنى عيناى : كناية عن النوم . (٢) الكوسج : الذى لحيته على ذقنه لا على العارضين ، والناقص الأسنان . (٣) أى خشبتيه من الجانبين .

الأُولَى؟ فقَالَ: وَمَا هَذَا الِاسْتِقْصَاءُ فِي هَذَا الوَقْتِ يَا بَغِيضُ؟.

وَحَدَّثَ قَالَ: كَتَبَ ابْنُ دُرَيْدٍ إِلَى ابْنِ أَبِي عَلِيٍّ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رُسْتُمٍ:

حِجَابُكَ صَعْبٌ يَحْجُبُهُ الحُرُّ[1] دُونَهُ
وَقَلْبِي إِذَا سِيمَ المَذَلَّةَ أَصْعَبُ
وَمَا أَزْعَجَتْنِي نَحْوَ بَابِكَ حَاجَةٌ
فَأُجْشِمَ نَفْسِي[2] رَجْعَةً حِينَ أُحْجَبُ

وَحَدَّثَ أَيْضاً قَالَ: وَعَدَ أَبُو بَكْرٍ أَبَا الحُسَيْنِ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدِ ابْنِ يُوسُفَ القَاضِي أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ فَقَطَعَهُ المَطَرُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ:

مُنَاوِيكَ[3] فِي بَذْلِ النَّوَالِ وَإِنَّهُ ... لَيَعْجِزُ عَنْ أَدْنَى مَدَاكَ وَيَحْسِرُ
عَدَانِيَ عَنْ حَظِّيَ الَّذِي لَا أَبِيعُهُ ... بِأَنْفَسِ مَا يَحْظَى بِهِ المُتَخَيِّرُ
لِمَ الغَيْثَ وَاعْذِرْ مَنْ لِقَاؤُكَ عِنْدَهُ
يُعَادِلُ نَيْلَ الخُلْدِ بَلْ هُوَ أَكْبَرُ

فَأَجَابَهُ أَبُو الحُسَيْنِ:

عَلَى الرُّسْلِ فِي بِرِّي فَقَدْ عَظُمَ الشُّكْرُ
وَلَمْ أَكُ ذَا شُكْرٍ وَإِنْ جَلَّ مَا يَعْرُو

(١) أي برد (٢) أي أكلفها تحمل المشقة (٣) مناويك أصله مناوئك بالهمز: أي معارضك ومفاخرك، يقصد المطر

مَدَائِحُ مِثْلُ الْغَيْثِ جَادَتْ عُيُونُهَا
سَحَابٌ تَوَالَى مِنْ جَوَانِبِهَا قَطْرُ

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ :

عَانَقْتُ مِنْهُ وَقَدْ مَالَ النُّعَاسُ بِهِ
وَالْكَأْسُ تَقْسِمُ سُكْراً بَيْنَ جُلَّاسِي
رَيْحَانَةً ضُمِّخَتْ بِالْمِسْكِ نَاضِرَةً
تَمُجُّ بَرْدَ النَّدَى فِي حَرِّ أَنْفَاسِي

وَلَهُ يَرْثِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَارَةَ :

بِنَفْسِي ثَرًى ضَاجَعْتَ فِي بَيْتِهِ الْبِلَى
لَقَدْ ضَمَّ مِنْكَ الْغَيْثَ وَاللَّيْثَ وَالْبَدْرَا
فَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ قَبْراً لِمَيِّتٍ لَصَيَّرْتُ أَحْشَائِي لِأَعْظُمِهِ قَبْرَا
وَلَوْ أَنَّ عُمْرِي كَانَ طَوْعَ إِرَادَتِي
وَسَاعَدَنِي الْمِقْدَارُ قَاسَمْتُكَ الْعُمْرَا
وَمَا خِلْتُ قَبْراً وَهُوَ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ
يَضُمُّ ثِقَالَ الْمُزْنِ (١) وَالطَّوْدَ وَالْبَحْرَا

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ سُوَيْدٍ: أَنَّ سَائِلًا جَاءَ إِلَى ابْنِ دُرَيْدٍ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ غَيْرُ دَنِّ نَبِيذٍ فَوَهَبَهُ

(١) ثقال المزن : السحاب الثقيل الممطر يكنى عن كرمه

لَهُ بَحَاءَ غُلَامُهُ وَأَنكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ: أَىَّ شَىْءٍ أَعْمَلُ؟ لَمْ يَكُنْ عِنْدِى غَيْرُهُ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ». فَمَا تَمَّ الْيَوْمُ حَتَّى أُهْدِىَ لَهُ عَشَرَةُ دِنَانٍ فَقَالَ الْغُلَامُ: تَصَدَّقْنَا بِوَاحِدٍ وَأَخَذْنَا عَشَرَةً.

وَقَالَ جَحْظَةُ يَرْثِيهِ:

فَقَدْتُ بِابْنِ دُرَيْدٍ كُلَّ مَنْفَعَةٍ ... لَمَّا غَدَا ثَالِثَ الْأَحْجَارِ وَالتُّرَبِ

وَكُنْتُ أَبْكِى لِفَقْدِ الْجُودِ مُجْتَهِداً

فَصِرْتُ أَبْكِى لِفَقْدِ الْجُودِ وَالْأَدَبِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَلِابْنِ دُرَيْدٍ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْجَمْهَرَةِ فِى اللُّغَةِ، كِتَابُ الْمُجْتَنَى، كِتَابُ الْأَمَالِى، كِتَابُ اشْتِقَاقِ أَسْمَاءِ الْقَبَائِلِ، كِتَابُ الْمَلَاحِنِ، كِتَابُ الْمُقْتَبَسِ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ، كِتَابُ الْوِشَاحِ عَلَى حَذْوِ الْمُحَبَّرِ لِابْنِ حَبِيبٍ، كِتَابُ الْخَيْلِ الْكَبِيرُ، كِتَابُ الْخَيْلِ الصَّغِيرُ، كِتَابُ الْأَنْوَاءِ، كِتَابُ السِّلَاحِ، كِتَابُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ لَمْ يَتِمَّ، كِتَابُ فَعَلْتَ وَأَفْعَلْتَ، كِتَابُ أَدَبِ الْكَاتِبِ، كِتَابُ تَقْوِيمِ اللِّسَانِ عَلَى مِثَالِ كِتَابِ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَلَمْ يُجَرِّدْهُ (١) مِنَ الْمُسَوَّدَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَىْءٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، كِتَابُ الْمَطَرِ،

(١) أى لم يفصله.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الدُّرَيْدِيُّ : حَضَرْتُ وَقَدْ قَرَأَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ وَأَبُو حَفْصٍ كِتَابَ الْمُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ الَّذِي يَرُدُّ فِيهِ عَلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ فَكَانَ يَقُولُ : « صَدَقَ أَبُو طَالِبٍ » فِي شَيْءٍ إِذَا مَرَّ بِهِ « وَكَذَبَ أَبُو طَالِبٍ » فِي شَيْءٍ آخَرَ ، ثُمَّ رَأَيْتُ هَذَا الْكَلَامَ وَقَدْ جَمَعَهُ أَبُو حَفْصٍ فِي نَحْوِ الْمِائَةِ وَرَقَةٍ[1] وَتَرْجَمَهُ بِالتَّوَسُّطِ .

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ دُرَيْدٍ :

وَقَدْ أَلِفَتْ زُهْرُ النُّجُومِ رِعَايَتِي
فَإِنْ غِبْتُ عَنْهَا فَهْيَ عَنِّي تَسْأَلُ

يُقَابِلُ بِالتَّسْلِيمِ مِنْهُنَّ طَالِعٌ
وَيُومِئُ بِالتَّوْدِيعِ مِنْهُنَّ آفِلُ

وَأَمَّا مَقْصُورَةُ ابْنِ دُرَيْدٍ الْمَشْهُورَةُ فَإِنَّهُ قَالَهَا يَمْدَحُ بِهَا الْأَمِيرَ أَبَا الْعَبَّاسِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مِيكَالَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ جِبْرِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ دِيوَاسْتِي ، وَهُوَ سُورُ بْنُ سُورِ بْنِ سُورِ بْنِ سُورٍ أَرْبَعَةَ الْمُلُوكِ ابْنِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجِرْدَ بْنِ بَهْرَامَ جُورَ قَالَهَا فِيهِ وَفِي أَبِيهِ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ رَئِيسَ نَيْسَابُورَ وَمُتَقَدِّمَهَا ، وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَيْهَقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالسَّلَامِيِّ فِي كِتَابِ النُّتَفِ وَالطُّرَفِ : أَنَّ ابْنَ دُرَيْدٍ

(١) وأنا أقول : مائة الورقة لما عرفت فيما تقدم « عبد الخالق »

صَنَّفَ كِتَابَ الْجَمْهَرَةِ لِلأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مِيكَالَ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِفَارِسَ فَأَمْلاهُ عَلَيْهِ إِمْلاءً ثُمَّ قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمِيكَالِيُّ قَالَ: أَمْلَى عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الدُّرَيْدِيُّ كِتَابَ الْجَمْهَرَةِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حِفْظًا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَمَا رَأَيْتُهُ اسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِالنَّظَرِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ إِلَّا فِي بَابِ الْهَمْزَةِ وَاللَّفِيفِ فَإِنَّهُ طَالَعَ لَهُ بَعْضَ الْكُتُبِ قَالَ: وَكَفَاكَ بِهَا فَضِيلَةً وَعَجِيبَةً أَنْ يَتَمَكَّنَ الرَّجُلُ مِنْ عِلْمِهِ كُلَّ التَّمَكُّنِ ثُمَّ لَا يَسْلَمَ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْسُنِ حَتَّى قِيلَ فِيهِ:

إِبْنُ دُرَيْدٍ بَقَرَهْ وَفِيهِ عِيٌّ وَشَرَهْ
وَيَدَّعِي مِنْ حُمْقِهِ وَضْعَ كِتَابِ الْجَمْهَرَهْ
وَهُوَ كِتَابُ الْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ غَيَّرَهْ

وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذِهِ الْحَالَ فِي أَخْبَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بِأَبْسَطَ مِنْ هَذَا. وَكَتَبَ ابْنُ دُرَيْدٍ إِلَى عِيسَى بْنِ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ الْوَزِيرِ:

أَبَا حَسَنٍ وَالْمَرْءُ يَخْلُقُ صُورَةً تَنِمُّ عَلَى مَا (١) ضُمِّنَتْهُ الْغَرَائِزُ
إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِنَفْعٍ مُعَجَّلٍ وَأَمْرُكَ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ جَائِزُ

(١) فى الأصل « عما » والبيت ينكسر فأصلحتها إلى ما ترى. « عبد الخالق »

وَلَمْ تَكُ يَوْمَ الْحَشْرِ فِينَا مُشَفَّعاً

فَرَأْيُ الَّذِي يَرْجُوكَ لِلنَّفْعِ عَاجِزُ

عَلِيُّ بْنُ عِيسَى خَيْرُ يَوْمَيْكَ أَنْ تُرَى

وَفَضْلُكَ مَأْمُولٌ وَوَعْدُكَ نَاجِزُ

وَإِنِّي لَأَخْشَى بَعْدَ هَذَا بِأَنْ تُرَى

وَبَيْنَ الَّذِي تَهْوَى وَبَيْنَكَ حَاجِزُ

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ مِنَ الْمُذَيَّلِ بِإِسْنَادٍ أَنَّ ابْنَ دُرَيْدٍ قَالَ :

وَدَّعْتُهُ حِينَ لَا تُوَدِّعُهُ ... رُوحِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهْ

ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَفِي الْقُلُوبِ لَنَا ... ضِيقُ مَكَانٍ وَفِي الدُّمُوعِ سِعَهْ

قَالَ أَبُو هِلَالٍ : أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَكَانَ يَتَضَجَّرُ مِمَّنْ يُخْطِئُ فِي قِرَاءَتِهِ ، فَحَضَرَ غُلَامٌ وَضِيءٌ فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيُكْثِرُ الْخَطَأَ وَابْنُ دُرَيْدٍ صَابِرٌ عَلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَا تَعْجَبُوا فَإِنَّ فِي وَجْهِهِ غُفْرَانَ ذُنُوبِهِ ، فَسَمِعَهَا ابْنُ دُرَيْدٍ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ قَالَ لَهُ : هَاتِ يَا مَنْ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ غُفْرَانُ ذُنُوبِهِ ، فَعَجِبُوا مِنْ صِحَّةِ سَمْعِهِ مَعَ عُلُوِّ سِنِّهِ . قَالَ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَجْلِسِ ابْنِ دُرَيْدٍ :

مَنْ يَكُنْ لِلظِّبَاءِ طَالِبَ صَيْدٍ ... فَعَلَيْهِ بِمَجْلِسِ ابْنِ دُرَيْدٍ

إِنَّ فِيهِ لَأَوْجُهًا قَيَّدَتْنِي عَنْ طِلَابِ الْعُلَا بِأَوْثَقِ قَيْدِ

قَالَ الرُّصَافِيُّ : حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

هَجَرْتُكَ لَا قِلًى مِنِّي (١) وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَقَاءَ وُدِّكَ فِي الصُّدُودِ

كَهَجْرِ الْحَائِمَاتِ الْوِرْدَ لَمَّا (٢) رَأَتْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ فِي الْوُرُودِ

تَفِيضُ نُفُوسُهَا ظَمَأً وَتَخْشَى حِمَامًا فَهْيَ تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدِ

فَقَالَ : الْحَائِمُ : الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ الْمَاءِ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ ، يُقَالُ : حَامَ يَحُومُ حِيَامًا .

وَمَعْنَى الشِّعْرِ أَنَّ الْأَيَائِلَ (٣) تَأْكُلُ الْأَفَاعِيَ فِي الصَّيْفِ فَتَحْمَى فَتَلْتَهِبُ بِحَرَارَتِهَا وَتَطْلُبُ الْمَاءَ ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ امْتَنَعَتْ مِنْ شُرْبِهِ وَحَامَتْ حَوْلَهُ تَنَسَّمُهُ (٤) ، لِأَنَّهَا إِنْ شَرِبَتْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ صَادَفَ الْمَاءُ السُّمَّ الَّذِي فِي جَوْفِهَا فَتَلِفَتْ ، فَلَا تَزَالُ تَدْفَعُ بِشُرْبِ الْمَاءِ حَتَّى يَطُولَ بِهَا الزَّمَانُ فَيَسْكُنَ ثَوَرَانُ السُّمِّ ثُمَّ تَشْرَبَهُ فَلَا يَضُرُّهَا . وَيُقَالُ : فَاظَ الْمَيِّتُ وَفَاضَتْ نَفْسُهُ وَفَاظَتْ نَفْسُهُ أَيْضًا ، جَائِزٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ إِلَّا الْأَصْمَعِيَّ

(١) أى لا بغضاً (٢) الحائمات : العطاش جمع حائمة ، والورد : الماء الذى يورد للشرب وغيره (٣) الأيائل جمع أيل : حيوان من ذوات الظلف ، للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . (٤) تنسمه : أصله تتنسمه بتاءين : أى تتلطف فى التماسه .

فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَاظَ الْمَيِّتُ، فَإِذَا ذَكَرَ النَّفْسَ قَالَ: فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالضَّادِ وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الظَّاءِ وَالنَّفْسِ.

وَحدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ، حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلَّادٍ الشَّاهِدُ الْعُكْبَرِيُّ إِمَامُ الْجَامِعِ فِيهَا، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ: كُنْتُ بِعُمَانَ مَعَ الصَّلْتِ بْنِ مَالِكٍ الشَّارِيِّ وَكَانَتِ الشُّرَاةُ (١) تَدْعُوهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَتِ السَّنَةُ كَثِيرَةَ الْأَمْطَارِ وَدَامَتْ عَلَى النَّاسِ فَكَادَتِ الْمَنَازِلُ أَنْ تَتَهَدَّمَ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَصَارُوا إِلَى الصَّلْتِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ فَأَجَّلَ بِهِمْ (٢) أَنْ يَرْكَبَ مِنَ الْغَدِ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَيَدْعُوَ فَقَالَ لِي بُكْرَةً: لِتَخْرُجَ مَعِي فِي غَدٍ فَبِتُّ مُفَكِّرًا كَيْفَ يَدْعُو؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَ وَدَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْعَمْتَ فَأَوْفَيْتَ، وَسَقَيْتَ فَأَرْوَيْتَ، فَعَلَى الْقِيعَانِ (٣) وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، وَحَيْثُ النَّفْعُ لَا الضَّرَرُ، فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي النَّرْجِسِ:

عُيُونٌ مَا يُلِمُّ بِهَا الرُّقَادُ ... وَلَا يَمْحُو مَحَاسِنَهَا السُّهَادُ

إِذَا مَا اللَّيْلُ صَافَحَهَا اسْتَهَلَّتْ ... وَتَضْحَكُ حِينَ يَنْحَسِرُ السَّوَادُ

---

(١) الشراة: طائفة من الخوارج، جمع شار (٢) أى حدد لهم أجلا.

(٣) القيعان جمع قاع: أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.

لَهَا حَدَقٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى صِيَاغَةَ مَنْ يَدِينُ لَهُ الْعِبَادُ
وَأَجْفَانٌ مِنَ الدُّرِّ اسْتَفَادَتْ ضِيَاءً مِثْلُهُ لَا يُسْتَفَادُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ، فِي ذُرَاهَا لِأَعْيُنِ مَنْ يُلَاحِظُهَا مُرَادُ

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ التَّحْبِيرِ وَهُوَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ الشَّرِيفُ افْتِخَارُ الدِّينِ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ إِذْنًا، قَالَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ إِجَازَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا قَالَ: سَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْمِيكَالِيِّ يَقُولُ: تَذَاكَرْنَا الْمُتَنَزَّهَاتِ يَوْمًا وَابْنُ دُرَيْدٍ حَاضِرٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْزَهُ الْأَمَاكِنِ غُوطَةُ دِمَشْقَ (١). وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَهْرُ الْأُبُلَّةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ سُغْدُ (٢) سَمَرْقَنْدَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَهْرَوَانُ بَغْدَادَ (٣). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شِعْبُ بَوَّانَ (٤) بِأَرْضِ فَارِسَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُوبَهَارُ بَلْخَ (٥). فَقَالَ: هَذِهِ مُتَنَزَّهَاتُ الْعُيُونِ، فَأَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ مُتَنَزَّهَاتِ الْقُلُوبِ؟ قُلْنَا وَمَا هِيَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: عُيُونُ الْأَخْبَارِ

---

(١) غوطة دمشق: موضع بالشام كثير الماء والشجر (٢) السغد بالغين المعجمة: أماكن كثيرة المياه نضرة الأشجار، متجاوبة الأطيار بسمرقند.

(٣) نهروان بغداد: ثلاث قرى بين واسط وبغداد (٤) شعب بوان: مرج خصيب في بلاد فارس يوصف بالنضارة حتى يقال: إنه إحدى الجنان الأربع.

(٥) هو بناء للبرامكة.

لِلقُتَيْبِيِّ (١) ، وَالزَّهْرَةُ لِابْنِ دَاوُدَ ، وَقَلَقُ الْمُشْتَاقِ لِابْنِ أَبِي طَاهِرٍ ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

وَمَنْ تَكُ نُزْهَتُهُ قَيْنَةً وَكَأْسٌ تُحَثُّ وَكَأْسٌ تُصَبْ
فَنُزْهَتُنَا وَاسْتِرَاحَتُنَا تَلَاقِي الْعُيُونِ وَدَرْسُ الْكُتُبْ

وَقَرَأْتُ فِي التَّارِيخِ الَّذِي أَلَّفَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ بُشْرَانَ (٢) الْأَهْوَازِيُّ قَالَ : وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَاتَ أَبُو أَحْمَدَ حِجْرُ بْنُ أَحْمَدَ الْجُوَيْمِيُّ (٣) وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ بِجُوَيْمَ وَنَوَاحِي فَارِسَ ، وَقَدْ خَلَفَ الْقُرَّاءَ بِهَا فَمَدَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَقَصَدَهُ مَنِ انْتَفَعَ بِهِ ، وَلِأَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ فِيهِ مَدَائِحُ مِنْهَا :

نَهْنِهْ (٤) بَوَادِرَ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ أَيُّ ائْتِلَافٍ لَمْ يُرَعْ بِفِرَاقِ؟
حِجْرُ بْنُ أَحْمَدَ فَارِعُ الشَّرَفِ الَّذِي خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ طُلَى (٥) الْأَعْنَاقِ
قَبِّلْ أَنَامِلَهُ فَلَسْنَ أَنَامِلاً لَكِنَّهُنَّ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ
وَانْظُرْ إِلَى النُّورِ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ لِلْبَدْرِ لَمْ يُطْبَعْ بِرَيْنِ مُحَاقِ (٦)

---

(١) إنما النسب القياسي : قتبي كجهني (٢) في الأصل : « شيران » وهذا التصحيح عن هامش الأصل . (٣) نسبة إلى جويم : مدينة بفارس يقال لها : جويم أبي أحمد (٤) نهنه : كفكف (٥) طلى : جمع طلية وطلاة : وهي العنق ، فالاضافة بيانية (٦) الرين : الدنس ، والمحاق مثلثة الميم : آخر الشهر القمري ، وقيل ثلاث ليال من آخره .

﴿ ٣٧ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ﴾

محمد بن الحسن ابن سهل الكاتب

الْمَعْرُوفُ بِشَيلَمَةَ الْكَاتِبِ، وَشَيلَمَةُ لَقَبٌ لِمُحَمَّدٍ هذا، وَأَبُوهُ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ هُوَ الْوَزِيرُ الْمَعْرُوفُ، أَخُو الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ مَات مَحْرُوقًا، وَكَانَ شَيلَمَةُ أَوَّلًا مَعَ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ الزُّنْج [١]، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ وَأُومِنَ ثُمَّ خَلَطَ وَسَعَى لِبَعْضِ الْخَوَارِجِ فَحَرَقَهُ الْمُعْتَضِدُ حيًّا وَكَانَ مَصْلُوبًا عَلَى عَمُودِ خَيمَةٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ: لَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ: كِتَابُ أَخْبَارِ صَاحِبِ الزُّنْجِ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْأَزْرَقِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ لِبَدْرٍ اللَّانِيِّ [٢] فِي أَيَّامِ الْمُوَفَّقِ وَابْنِهِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ وَأَدْخُلُ الدَّارَ مَعَهُ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ الْمَعْرُوفَ بِشَيلَمَةَ وَقَدْ جَعَلَهُ كُرْدُنَاكًا [٣] قَالَ: قُلْتُ لَهُ وَكَيفَ كَانَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ سَبَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ الْوَاثِقِ كَانَ يَسْكُنُ مَدِينَةَ الْمَنْصُورِ سَعَى فِي طَلَبِ الْخِلَافَةِ هُوَ وَشَيلَمَةُ لِيَسْتَوْزِرَهُ، وَأَخَذَ لَهُ الْبَيعَةَ عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِ الْحَضْرَةِ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ وَالْقُضَاةِ وَالْقُوَّادِ وَالْجَيشِ وَأَهْلِ بَغْدَادَ وَالْأَحْدَاثِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَقَوِيَ أَمْرُهُ وَانْتَشَرَ خَبَرُهُ، وَتَمَّ

---

(١) بضم الزاى مشددة : قرية من قرى نيسابور . (٢) نسبة إلى اللان : بلاد واسعة فى طرف أرمينية قرب باب الأبواب (٣) يعنى شواء مكبوبا .

بالظهور فى المدينة والاعتصام بها حتى إذا أخذ المعتضد صار إلى دار الخلافة. فبلغ المعتضد الخبر على شرحه إلا اسم المستخلف فكبس شيلمة وأخذ فوجد فى داره جرائد بأسماء من بايع، وبلغ الخبر الهاشمى فهرب وأمر المعتضد بالجرائد فأحرقت ظاهراً ولم يقف على شىء منها لئلا يفسد قلوب الجيش بوقوفه عليها لما يعتقدون من فساد نيته عليهم، وأخذ يسائل شيلمة عن الخبر، فصدقه عن جميع ما جرى إلا اسم الرجل الذى يستخلف، فرفق به ليصدقه عنه فلم يفعل، فطال الكلام بينهما فقال له شيلمة: والله لو جعلتنى كردناكا ما أخبرتك باسمه قط. فقال المعتضد للفراشين: هاتوا أعمدة الخيم الكبار الثقال وأمر أن يشد عليها شداً وثيقاً وأحضروا فحماً عظيماً وفرش على الطوابيق (١) بحضرته وأججوا ناراً، وجعل الفراشون يقلبون تلك النار وهو مشدود على الأعمدة إلى أن مات وأخرج من بين يديه ليدفن فرأيته على هذه الصورة.

٣٨ - محمد بن الحسن بن رمضان النحوى *

محمد بن الحسن ابن رمضان النحوى

له من الكتب فيما ذكره محمد بن إسحاق: كتاب أسماء الخمر وعصيرها، كتاب الديرة.

(١) الطوابيق جمع طاباق: الزجاج، والآجر الكبير

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

﴿ ٣٩ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ﴾

محمد بن الحسن الشعرانى

ابْنِ هَارُونَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سَنَدٍ النَّقَّاشُ الشَّعْرَانِىُّ الدَّارَقُطْنِىُّ أَبُو بَكْرٍ الْمُقْرِئُ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَدُفِنَ فِى دَارِهِ بِدَارِ الْقُطْنِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَصْلُهُ مِنَ الْمَوْصِلِ.

وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَوْلَى أَبِى دُجَانَةَ سِمَاكِ بْنِ خَرَشَةَ الْأَنْصَارِىِّ وَكَانَ حَافِظًا لِلتَّفْسِيرِ ، صَنَّفَ فِيهِ كِتَابًا سَمَّاهُ شِفَاءَ الصُّدُورِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِى الْقِرَاءَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ ، وَكَانَ قَدْ سَافَرَ الْكَثِيرَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَكَتَبَ بِالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ وَمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ وَالْجِبَالِ وَبِلَادِ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَحَدَّثَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ مُجَاهِدٍ وَالدَّارَقُطْنِىُّ وَأَبُو حَفْصِ بْنُ شَاهِينَ قَالَ : وَحَدَّثَنَا عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ رَزْقَوَيْهِ وَجَمَاعَةٌ آخِرُهُمْ أَبُو عَلِىِّ بْنُ شَاذَانَ وَفِى حَدِيثِهِ مَنَاكِيرُ (١) بِأَسَانِيدَ مَشْهُورَةٍ . قَالَ : حَدَّثَنِى عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِى الْفَتْحِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ

(١) مناكير جمع منكر : وهو الحديث الذى ينفرد به الرجل ولا يتوقف متنه من غير رواية لا من الوجه الذى رواه منه ، ولا من وجه آخر .

ذكر النقاش فقال: كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص. قال: وسألت البرقاني عنه فقال: كل حديثه منكر. قال: وحدثني من سمع أبا بكر البرقاني وذكر تفسير النقاش فقال: ليس فيه حديث صحيح.

وقال هبة الله بن الحسن الطبري وذكر تفسير النقاش فقال: ذاك إشفاء الصدور وليس شفاء الصدور. هذا كله من تاريخ أبي بكر بن علي.

وقال محمد بن إسحاق: له من الكتب: كتاب الإشارة في غريب القرآن، كتاب الموضح في معاني القرآن، كتاب المناسك، كتاب فهم المناسك، كتاب أخبار القصاص، كتاب ذم الحسد، كتاب دلائل النبوة، كتاب الأبواب في القرآن، كتاب إرم ذات العماد، كتاب المعجم الأوسط، كتاب المعجم الأصغر، كتاب المعجم الأكبر في أسماء القراء وقراءاتهم، كتاب السبعة الأوسط، كتاب السبعة الأصغر، كتاب التفسير الكبير اثنا عشر ألف ورقة، كتاب العقل، كتاب ضد العقل.

حدث القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرئ قال: لقيت رقعة

قَدْ رُفِعَ فِيهَا إِلَى القَاضِي أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الأَنْطَاكِيِّ :

أَيُّهَذَا القَاضِي الكَبِيرُ بِعَدْلٍ (١)
صَانَكَ اللهُ عَنْ مَقَامِ الدَّنَاتِ
أَيَكُونُ القِصَاصُ فِي فَتْكِ لَحْظٍ
مِنْ غَزَالٍ مُوَرَّدِ الوَجَنَاتِ ؟
أَمْ يَخَافُ العَذَابَ مَنْ هُوَ صَبٌّ
مُبْتَلًى بِالزَّفِيرِ وَالحَسَرَاتِ ؟
لَيْسَ إِلَّا العَفَافُ وَالصَّوْمُ وَالنُّسْـ
ـكُ لَهُ زَاجِرٌ عَنِ الشُّبُهَاتِ

فَأَخَذَ الرُّقْعَةَ وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا :

يَا ظَرِيفَ الصَّنِيعِ وَالآلَاتِ وَعَظِيمَ الأَشْجَانِ وَاللَّوْعَاتِ
إِنْ تَكُنْ عَاشِقًا فَلَمْ تَأْتِ ذَنْبًا
بَلْ تَرَقَّبْتَ رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ
فَلَكَ الحَقُّ وَاجِبًا إِنْ عَرَفْنَا مَنْ تَعَلَّقْتَهُ مِنَ الحُجُرَاتِ
أَنْ أَكُونَ الرَّسُولَ جَهْرًا إِلَيْهِ
إِذْ تَنَكَّبْتَ مُوبِقَ الشُّبُهَاتِ (٢)

(١) فى الأصل : « أيها القاضى الكبير العدل » فعدلت الشطر كما ترى ولم أجد أصلا أرجع إليه (٢) تنكبت : تنحيت وأعرضت ، وموبق الشبهات ، مهلكها

« عبد الخالق »

وَمَتَى أَقْضِ بِالْقِصَاصِ عَلَى لَحْـ

ـظِ حَبِيبٍ أُخْطِئُ طَرِيقَ الْقُضَاةِ

﴿ ٤٠ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ جُمْهُورٍ الْقُمِّيُّ الْكَاتِبُ ﴾

محمد بن الحسن القمى الكاتب

أَبُو عَلِيٍّ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ: وَكَانَ مِنْ شُيُوخِ أَهْلِ الْأَدَبِ بِالْبَصْرَةِ وَكَثِيرَ الْمُلَازَمَةِ لِأَبِي، وَحَرَّرَ لِي خَطِّي لَمَّا قَوِيتُ عَلَى الْكِتَابَةِ لِأَنَّهُ كَانَ جَيِّدَ الْخَطِّ حَسَنَ التَّرَسُّلِ كَثِيرَ الْمُصَنَّفَاتِ لِكُتُبِ الْأَدَبِ، فَكَثُرَتْ مُلَازَمَتِي لَهُ، وَكَانَ يَمْدَحُ أَبِي فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ وَهُوَ مِنْ مَشْهُورِ شِعْرِهِ:

إِذَا تَمَنَّعَ صَبْرِي ... وَضَاقَ بِالْهَجْرِ صَدْرِي

نَادَيْتُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ... وَقَدْ خَلَوْتُ بِفِكْرِي

يَا رَبِّ هَبْ لِيَ مِنْهُ ... وِصَالَ يَوْمٍ بِعُمْرِي

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ:

كَثُرَتْ عِنْدِي أَيَادِيـ ... ـكَ يَجِلُّ الْوَصْفُ عَنْهَا

فَأَحَاطَتْ بِجَمِيعِ الْـ ... ـفَهْمِ حَتَّى لَمْ أُبِنْهَا (١)

فَمَتَى ازْدَدْتُكَ مِنْهَا ... كُنْتُ كَالنَّاقِصِ مِنْهَا (٢)

قُلْتُ أَنَا: وَهُوَ صَاحِبُ النَّوَادِرِ مَعَ زَادَمِهْرَ الْمُغَنِّيَةِ جَارَتِهِ الْمَنْصُورِيَّةِ.

---

(١) أى لم أقدر على بيانها والاحاطة بها (٢) أى لأنى عاجز عن شكرها وبيانها

﴿ ٤١ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يعقوب بْنِ الْحَسَنِ* ﴾

محمد بن الحسن العطار

ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ مِقْسَمٍ أَبُو بَكْرٍ الْعَطَّارُ الْمُقْرِىءُ ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، سَمِعَ أَبَا مُسْلِمٍ الْكَجِّيَّ (١) وَثَعْلَبًا وَإِدْرِيسَ ابْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ وَغَيْرَهُمْ . رَوَى عَنْهُ ابْنُ رَزْقَوَيْهِ وَابْنُ شَاذَانَ وَغَيْرُهُمَا ، وَكَانَ ثِقَةً مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِالْقِرَاءَاتِ وَأَحْفَظِهِمْ لِنَحْوِ الْكُوفِيِّينَ ، وَلَهُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ كِتَابٌ سَمَّاهُ الْأَنْوَارَ وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ ، وَلَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفَ : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَيْبٌ إِلَّا أَنَّهُ قَرَأَ بِحُرُوفٍ تُخَالِفُ الْإِجْمَاعَ وَاسْتَخْرَجَ لَهَا وُجُوهًا مِنَ اللُّغَةِ وَالْمَعْنَى مِثْلَ مَاذَكَرَ فِي كِتَابِ الِاحْتِجَاجِ لِلْقُرَّاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نُجَبَاءَ » (٢) بِالْبَاءِ « لَكَانَ جَائِزًا » هَذَا مَعَ كَوْنِهِ يُخَالِفُ الْإِجْمَاعَ بَعِيدٌ مِنَ الْمَعْنَى ، إِذْ لَا وَجْهَ لِلنَّجَابَةِ عِنْدَ يَأْسِهِمْ مِنْ أَخِيهِمْ ، إِنَّمَا اجْتَمَعُوا يَتَنَاجَوْنَ . وَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مِنْ تَصْحِيفِ الْكَلِمَةِ وَاسْتِخْرَاجِ وَجْهٍ بَعِيدٍ لَهَا مَعَ كَوْنِهَا لَمْ يَقْرَأْ بِهَا أَحَدٌ .

---

(١) بتشديد الجيم : قرية يقال لها زيركجّ بخوزستان (٢) المشهور « نجياً »

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

وَحدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ قَالَ : وَمِمَّا طُعِنَ بِهِ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مِقْسَمٍ أَنَّهُ عَمَدَ إِلَى حُرُوفٍ مِنَ الْقُرْآنِ تُخَالِفُ الْإِجْمَاعَ فِيهَا وَقَرَأَهَا عَلَى وُجُوهٍ ذَكَرَ أَنَّهَا تَجُوزُ فِي اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ عَنْهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأَنْكَرُوهُ ، وَارْتَفَعَ الْأَمْرُ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَحْضَرَهُ وَاسْتَتَابَهُ بِحَضْرَةِ الْقُرَّاءِ وَالْفُقَهَاءِ فَأَذْعَنَ بِالتَّوْبَةِ وَكَتَبَ مَحْضَراً بِتَوْبَتِهِ ، وَأَثْبَتَ جَمَاعَةُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ خُطُوطَهُمْ فِيهِ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِ . وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِعْ عَنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ وَكَانَ يَقْرَأُ بِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ .

قَالَ الْخَطِيبُ : وَقَدْ ذَكَرَ حَالَهُ أَبُو طَاهِرِ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ الْمُقْرِىءُ صَاحِبُ ابْنِ مُجَاهِدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ كِتَابَ الْبَيَانِ فَقَالَ : وَقَدْ نَبَغَ نَابِغٌ فِي عَصْرِنَا هَذَا فَزَعَمَ أَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ عِنْدَهُ وَجْهٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ لِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُوَافِقُ خَطَّ الْمُصْحَفِ ، فَقِرَاءَتُهُ جَائِزَةٌ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا فَابْتَدَعَ بِقِيلِهِ ذَلِكَ بِدْعَةً ضَلَّ بِهَا قَصْدَ السَّبِيلِ ، وَأَوْرَطَ نَفْسَهُ فِي مَزَلَّةٍ عَظُمَتْ بِهَا جِنَايَتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَحَاوَلَ إِلْحَاقَ كِتَابِ اللهِ مِنَ الْبَاطِلِ مَا لَا يَأْتِيهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، إِذْ جَعَلَ لِأَهْلِ الْإِلْحَادِ فِي دِينِ اللهِ بِسَيِّءِ رَأْيِهِ طَرِيقاً مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَهْلِ الْحَقِّ

بِتَخَيُّرِ الْقِرَاءَاتِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْثِ وَالِاسْتِخْرَاجِ بِالْآرَاءِ دُونَ الِاعْتِصَامِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْأَثَرِ الْمُفْتَرَضِ.

وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ شَيْخُنَا نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ يَسْأَلُهُ عَنْ بِدْعَتِهِ الْمُضِلَّةِ بِاسْتِتَابَتِهِ مِنْهَا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْحُكَّامَ وَالشُّهُودَ الْمَقْبُولِينَ عِنْدَ الْحُكَّامِ بِتَرْكِ مَا أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ أَنْ سُئِلَ الْبُرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَأْتِ بِطَائِلٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ وَلَا ضَعِيفَةٌ، فَاسْتَوْهَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَأْدِيبَهُ مِنَ السُّلْطَانِ عِنْدَ تَوْبَتِهِ وَإِظْهَارِهِ الْإِقْلَاعَ عَنْ بِدْعَتِهِ، ثُمَّ عَاوَدَ فِي وَقْتِنَا هَذَا إِلَى مَا كَانَ ابْتَدَعَهُ وَاسْتَغْوَى بِهِ أَصَاغِرَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ هُمْ فِي الْغَفْلَةِ وَالْغَبَاوَةِ دُونَهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لِلنَّاسِ دِينًا، وَأَنْ يَجْعَلُوهُ فِيمَا ابْتَدَعَهُ إِمَامًا، وَلَنْ يَعْدُوَ مَا ضَلَّ بِهِ مَجْلِسَهُ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَعْلَمَنَا أَنَّهُ حَافِظٌ لِكِتَابِهِ مِنْ لَفْظِ الزَّائِغِينَ وَشُبُهَاتِ الْمُلْحِدِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ». وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ لَا يُخِيلُ بُطُولُهَا (١) وَفَسَادُهَا عَلَى ذِي لُبٍّ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ لِخَلَفِ بْنِ هِشَامٍ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَابْنِ سَعْدَانَ أَنْ يَخْتَارُوا وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحًا لَهُمْ غَيْرَ مُنْكَرٍ، كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مُبَاحًا غَيْرَ

(١) أى لا يظن ولا يتوهم بطلانها .

مُسْتَنْكَرٍ. فلو كان حذا حذوهم وسلك طريقهم كان لعمرى له غير مُسْتَنْكَرٍ، ولكنه سلك من الشذوذ ما لا يقول به إلا مبتدع. قال الخطيب: وذكر أبو طاهر كلاماً كثيراً نقلنا منه هذا المقدار وهو فى كتابه مستقصى.

وحدث فيما أسنده إلى أحمد الفرضى قال: رأيت فى المنام كأنى فى المسجد الجامع أصلى مع الناس، وكان ابن مقسم قد ولى ظهره للقبلة وهو يصلى مستدبرها، فأولت ذلك مخالفته الأئمة فيما اختاره لنفسه من القراءات.

وذكره محمد بن إسحاق فقال: مات فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وله من الكتب: كتاب الأنوار فى تفسير القرآن، كتاب المدخل إلى علم الشعر، كتاب الاحتجاج فى القراءات، كتاب فى النحو كبير، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الوقف والابتداء، كتاب المصاحف، كتاب عدد التمام، كتاب أخبار نفسه، كتاب مجالسات ثعلب، كتاب مفرداته، كتاب الانتصار لقراء الأمصار، كتاب الموضح، كتاب شفاء الصدور، كتاب الأوسط، كتاب اللطائف فى جمع هجاء المصاحف،

كِتَابٌ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَنْ يَقْتُلْ »[1] وَالرَّدُّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ . وَلِابْنِ مِقْسَمٍ ابْنٌ يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ وَكَانَ حُفَظَةً[2] عَالِماً ، لَهُ كِتَابُ عُقَلَاءِ الْمَجَانِينِ .

﴿ ٤٢ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْحَاتِمِيُّ * ﴾

محمد بن الحسن الحاتمى

أَبُو عَلِيٍّ ، ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِى تَارِيخِهِ فَقَالَ : رَوَى عَنْ أَبِى عُمَرَ عَنْهُ[3] أَخْبَاراً فِى مَجَالِسِ الْأَدَبِ ، قُلْتُ أَنَا : وَأَدْرَكَ ابْنَ دُرَيْدٍ وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَهُوَ مِنْ حُذَّاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، وَكَانَ مُبَغَّضاً إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ فَهَجَاهُ ابْنُ الْحَجَّاجِ وَغَيْرُهُ بِأَهَاجٍ مُرَّةٍ . وَمَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَذَكَرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فِى كِتَابِ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ فَقَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَاتِمِيُّ حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِى الشِّعْرِ مُوفٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ شُعَرَاءِ الْعَصْرِ[4] وَأَبُوهُ أَيْضاً شَاعِرٌ . وَأَبُو عَلِيٍّ شَاعِرٌ كَاتِبٌ يَجْمَعُ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ فِى النَّثْرِ وَالْبَرَاعَةِ فِى النَّظْمِ ، وَلَهُ الرِّسَالَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِى وَقْعَةِ الْأَدْهَمِ قَالَ : وَلَيْسَ يَحْضُرُنِى مِنْ شِعْرِهِ إِلَّا بَيْتَانِ :

لِى حَبِيبٌ لَوْ قِيلَ لِى مَا تَمَنَّى ؟   مَا تَعَدَّيْتُهُ وَلَوْ بِالْمَنُونِ

---

(١) يريد آية النساء . وهى قوله تعالى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذابا عظيما » . (٢) أى كثير الحفظ (٣) أى عن فلان (٤) أى مقدم عليهم

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

أَشْتَهِي أَنْ أَحُلَّ فِي كُلِّ جِسْمٍ ... فَأَرَاهُ بِلَحْظِ تِلْكَ الْعُيُونِ

قَالَ : وَمِمَّا اُخْتَرْتُهُ لِأَبِيهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْقَادِرِ بِاللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ — رَحِمَهُ اللهُ — أَوَّلُهَا :

حَيِّ رَسْمَ الْغَمِيمِ مُحْيِ الْغُمَيْمَا(١)

إِنْ فَقَدْتَ الْهَوَى نَحَيِّ الرُّسُومَا

وَذَكَرَ قَصِيدَةً . وَذَكَرَهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُصْرِيُّ فِي كِتَابِ النُّورَيْنِ ، وَذَكَرَ أَشْعَاراً فِي قِصَرِ اللَّيْلِ وَطُولِهِ فَقَالَ : وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَاتِمِيُّ :

يَا رُبَّ يَوْمٍ سُرُورٍ خِلْتُهُ قِصَراً

كَعَارِضِ الْبَرْقِ فِي أُفُقِ الدُّجَى بَرَقَا

قَدْ كَادَ يَعْثُرُ أُولَاهُ بِآخِرِهِ ... وَكَادَ يَسْبِقُ مِنْهُ فَجْرُهُ الشَّفَقَا

كَأَنَّمَا طَرَفَاهُ طَرْفٌ اُتَّفَقَ الْـ

جَفْنَانِ مِنْهُ عَلَى الْإِطْرَاقِ وَاُفْتَرَقَا(٢)

قَالَ : وَقَدْ مَلُحَ الْحَاتِمِيُّ فِي وَصْفِ الثُّرَيَّا :

---

(١) الغميم : موضع بين مكة والمدينة ؛ وله ذكر كثير فى الحديث والمغازى ؛ وقيل : هو موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة . والغميم : تصغير الغم والحزن ، وواد فى ديار حنظلة من بنى تميم (٢) يريد أن يصف قصر الليل فجعل طرفيه أشبه بالزمن يمضى إذا أطبقت الجفنين ثم فتحتهما ، أو كما تقول : غمضة عين . « عبد الخالق »

وَلَيْلٍ أَقَمْنَا فِيهِ نُعْمِلُ كَأْسَنَا
إِلَى أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرُ
وَنَجْمُ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَيْبٌ مُدَنَّرُ

وَلِلْحَاتِمِيِّ تَصَانِيفُ عِدَّةٌ مِنْهَا: كِتَابُ حِلْيَةِ الْمُحَاضَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ، كِتَابُ الْمُوضِحَةِ فِي مَسَاوِي الْمُتَنَبِّي، كِتَابُ الْهِلْبَاجَةِ فِي صَنْعَةِ الشِّعْرِ، كِتَابُ سِرِّ الصِّنَاعَةِ فِي الشِّعْرِ أَيْضاً، كِتَابُ الْحَالِي وَالْعَاطِلِ فِي الشِّعْرِ أَيْضاً، كِتَابُ الْمَجَازِ فِي الشِّعْرِ أَيْضاً، كِتَابُ الرِّسَالَةِ النَّاجِيَةِ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْعَرَبِيَّةِ، كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ لَمْ يَتِمَّ، كِتَابُ عُيُونِ الْكَاتِبِ، كِتَابُ الشَّرَابِ رِسَالَةٌ، كِتَابُ مُنْتَزَعِ الْأَخْبَارِ وَمَطْبُوعِ الْأَشْعَارِ، كِتَابُ الْمِعْيَارِ وَالْمُوَازَنَةِ لَمْ يَتِمَّ، كِتَابُ الْمُغَسِّلِ وَهِيَ الرِّسَالَةُ الْبَاهِرَةُ فِي خِصَالِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَتِّيِّ (١).

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْهِلْبَاجَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ وَهُوَ كِتَابٌ صَنَّفَهُ لِلْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدَانَ فِي رَجُلٍ سَبَعَهُ عِنْدَهُ (٢) وَسَمَّى الرَّجُلَ الْهِلْبَاجَةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَرِّحَ بِاسْمِهِ قَالَ فِيهِ: وَقَدْ خَدَمْتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ — تَجَاوَزَ اللهُ عَنْ فُرُطَاتِهِ (٣) — وَأَنَا ابْنُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً تَمِيلُ بِي سِنَةُ الصِّبَا، وَتَنْقَادُ بِي أَرْيَحِيَّةُ الشَّبَابِ (٤)

(١) نسبة إلى البت بفتح الباء وتشديد التاء: قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان
(٢) سبعه: شتمه ووقع فيه (٣) الفرط: الظلم والاعتداء (٤) أى نشاطه

بهذا العلم ، وكان كلفاً به علقاً علاقة المغرم بأهله منقباً عن أسراره ، ووزنت (١) فى مجلسه تكرمة وإدناء وتسوية فى الرتبة — ولم تسفر خداى عن عذاريهما — بأبى على الفارسى وهو فارس العربية وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة ، وبأبى عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز فى علوم العربية تصرفاً فى أنواعه ، وتوسعاً فى معرفة قواعده وأوضاعه ، وبأبى الطيب اللغوى وكان كما قيل حتف الكلمة الشرود (٢) حفظاً وتيقظاً ، ونازعت العلماء ومدحت فى مصنفاتهم ، وعددت فى الأفراد الذين منهم أبو سعيد السيرافى وعلى بن عيسى الرمانى ، وأبو سعيد المعلى وقدحه الأعلى ، واتخذت بعضاً ممن كان يقع الإيماء إليه سخرة (٣) وأنا إذ ذاك غزير الغزارة ، تميد بى أسرار السرور ويسرى على رخاء الإقبال ، وأختال فى ملاءة العز فى بلهنية (٤) من العيش وخفض من النعيم ، وخطوب الدهر راقدة وأيامه مساعدة . وأنشد لنفسه فى هذا الكتاب يمدح سيف الدولة :

(١) أى سويت (٢) حتف الكلمة الخ : هو من قولهم : مات حتف أنفه : أى بلا علة — والمراد أنه مآل ومرجع الكلمة الشاردة ، فيعرف مكمنها وأصلها بدون معالجة أو تنقيب (٣) يريد أن الذين كان يومأ إليهم تعظيما صاروا مع سخريق .

(٤) البلهنية : الرخاء وسعة العيش .

تَأَوَّبَنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ وَارِدُ
وَعَاوَدَنِي مِنْ لَاعِجِ الْوَجْدِ عَائِدُ

فَبِتُّ قَضِيضَ الْجَنْبِ مُسْتَرْجَفَ الْحَشَا
كَأَنِّي سَقَتْنِي سُمَّهُنَّ الْأَسَاوِدُ (١)

كَأَنَّ الْقَنَا فِيهِ عَلَى الْقِرْنِ ضَاغِنٌ
وَحَدَّ الْحُسَامِ الْهُنْدُوَانِيِّ حَاقِدُ

قَصَمْتَ بِهِ الْإِشْرَاكَ وَهْوَ مُقَوَّمٌ
وَقَوَّمْتَ دِينَ الْمُصْطَفَى وَهْوَ مَائِدُ

فَلَا يُشْفِقِ الْإِسْلَامُ مِنْ سُوءِ عَثْرَةٍ
وَفِي الرَّوْعِ مِنْ آلِ ابْنِ حَمْدَانَ ذَائِدُ

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي هٰذَا الْكِتَابِ أَبْيَاتًا ضَمَّنَهَا أَعْجَازَ أَبْيَاتٍ لِلنَّابِغَةِ وَهِيَ فِي الْحَمَاسَةِ :

لَا يَهْنِئِ النَّاسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَأٍ
وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالِ

فَقَالَ الْحَاتِمِيُّ :

وَلَيْلَةٍ ضَلَّ عَنْهَا الصُّبْحُ دَاجِيَةٍ لَبِسْتُهَا بِطُوَالِ الْجَرْيِ هَطَّالِ

---

(١) قضيض الجنب : متبرماً قلقاً ، والقضض : الحصى والتراب يعلو الفراش فيقلق النائم ، والأساود : الحيات العظيمة القتالة ، جمع أسود .

وَقَدْ رَمَى الْبَيْنُ شِعْبَ الْحَيِّ فَاقْتَسَمُوا
أَيْدِى سَبَا بَيْنَ تَقْوِيضٍ وَتَرْحَالِ
فَنَاسَبَتْ أَنْجُمُ الْآفَاقِ عِيسَهُمُ
« وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالِ »
تَرَى الْهِلَالَ نَحِيلًا فِي مَطَالِعِهِ
« أَمْشِي بِبَلْدَةٍ لَا عَمٍّ وَلَا خَالِ »
وَالْجَدْيُ كَالطِّرْفِ يَسْتَنُّ الْمَرَاحُ بِهِ
« إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَى حَمَّالُ أَثْقَالِ »
وَاللَّيْلُ وَالصُّبْحُ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ « هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِ »

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ لِنَفْسِهِ فِي الْهَلْبَاجَةِ الَّذِي صَنَّفَ الْكِتَابَ لِأَجْلِهِ :

لَقَدْ سَخُفَ الْفِعْلِيُّ لَمَّا تَحَذَّقَا فَنَكَّرَ فِي تَعْرِيفِهِ مَا تَعَرَّفَا
وَيَا رُبَّ وَجْهٍ حَذَفُوهُ لِزِينَةٍ فَأَصْبَحَ مِنْ قُبْحٍ لِصَاحِبِهِ قَفَا

وَهَذِهِ مُخَاطَبَةٌ جَرَتْ بَيْنَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ الْحَاتِمِيِّ حَكَيْتُهَا كَمَا وَجَدْتُهَا . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَاتِمِيُّ : كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي عِنْدَ وُرُودِهِ مَدِينَةَ السَّلَامِ الْتَحَفَ رِدَاءَ الْكِبْرِ وَأَذَالَ ذُيُولَ التِّيهِ (١) وَصَعَّرَ خَدَّهُ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَكَانَ لَا يَلْقَى

(١) أذال الخ : تبختر وجر ذيله على الأرض تيها .

أَحَداً إِلَّا نَافِضاً مِذْرَوَيْهِ[١]، رَافِلاً من التِّيهِ فِي بُرْدَيْهِ، يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ العِلْمَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّ الشِّعْرَ بَحْرٌ لَمْ يَغْتَرِفْ نَمِيرَ مَائِهِ غَيْرُهُ، وَرَوْضٌ لَمْ يَرْعَ نُوَّارَهُ سِوَاهُ، فَدَلَّ بِذَلِكَ مُدَيْدَةً أَجَرَّتْهُ رَسَنَ الجَهْلِ فِيهَا، فَظَلَّ يَمْرَحُ فِي تَثْنِيَتِهِ حَتَّى إِذَا تَخَيَّلَ أَنَّهُ القَرِيعُ الَّذِي لَا يُقَارَعُ، وَالنَّزِيعُ الَّذِي لَا يُجَارَى وَلَا يُنَازَعُ، وَأَنَّهُ رَبُّ الغَلَبِ وَمَالِكُ القَصَبِ، وَثَقُلَتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَهْلِ الأَدَبِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَطَأْطَأَ كَثِيرٌ[٢] مِنْهُمْ رَأْسَهُ وَخَفَضَ جَنَاحَهُ وَطَامَنَ عَلَى التَّسْلِيمِ لَهُ جَأْشَهُ، وَتَخَيَّلَ أَبُو مُحَمَّدٍ المُهَلَّبِيُّ أَنَّ أَحَداً لَا يَقْدِرُ عَلَى مُسَاجَلَتِهِ وَمُجَارَاتِهِ، وَلَا يَقُومُ لِتَتَبُّعِهِ بِشَيْءٍ مِنْ مَطَاعِنِهِ، وَسَاءَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ أَنْ يَرِدَ عَنْ حَضْرَةِ عَدُوِّهِ رَجُلٌ فَلَا يَكُونُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ يُمَاثِلُهُ فِي صِنَاعَتِهِ، وَيُسَاوِيهِ فِي مَنْزِلَتِهِ. نَهَدْتُ حِينَئِذٍ مُتَتَبِّعاً عَوَارَهُ[٣]، وَمُتَعَقِّباً آثَارَهُ، وَمُطْفِياً نَارَهُ، وَمُهَتِّكاً أَسْتَارَهُ، وَمُقَلِّماً أَظْفَارَهُ، وَنَاشِراً مَطَاوِيَهُ، وَمُمَزِّقاً جِلْبَابَ مَسَاوِيهِ، مُتَحَيِّناً أَنْ تَجْمَعَنَا دَارٌ فَأُجْرِيَ أَنَا[٤] وَهُوَ فِي مِضْمَارٍ يُعْرَفُ فِيهِ السَّابِقُ مِنَ المَسْبُوقِ، حَتَّى إِذَا لَمْ

---

(١) نافضا: محركا، والمذروان: ناحيتا الرأس، وهو على صيغة المثنى وليس به، فيعرب إعرابه. (٢) كانت فى الأصل: «كل» وهذا التصحيح كما فى الحاتمية. (٣) نهدت: نهضت، وعواره: عيبه (٤) كانت فى الأصل: «متحينا أن نجمع أجرى»، وعند ابن خلكان كما ذكرنا.

أَجِدُ ذَلِكَ قَصَدْتُ مَوْضِعَهُ الَّذِي كَانَ يَحُلُّهُ فِي رَبَضِ (١) حُمَيْدٍ، فَوَافَقَ مَصِيرِي إِلَيْهِ حُضُورَ جَمَاعَةٍ تَقْرَأُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ عَلَيْهِ، فَحِينَ أُوذِنَ بِحُضُورِي وَاسْتُؤْذِنَ عَلَيْهِ لِدُخُولِي نَهَضَ عَنْ مَجْلِسِهِ مُسْرِعًا، وَوَارَى شَخْصَهُ عَنِّي مُسْتَخْفِيًا، فَنَزَلْتُ عَنْ بَغْلَةٍ كَانَتْ تَحْتِي نَاحِيَةً وَهُوَ يَرَانِي نَازِلًا عَنْهَا لِانْتِهَائِي بِهَا إِلَى أَنْ حَاذَيْتُهُ، فَجَلَسْتُ فِي مَوْضِعِهِ وَإِذَا تَحْتَهُ قِطْعَةٌ مِنْ زِيلُو مُخْلَقَةٍ (٢) قَدْ أَكَلَتْهَا الْأَيَّامُ وَتَعَاوَرَتْهَا السُّنُونَ، فَهِيَ رُسُومٌ خَافِيَةٌ وَسُلُوكٌ بَادِيَةٌ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ إِلَيَّ نَهَضْتُ إِلَيْهِ فَوَفَّيْتُهُ حَقَّ السَّلَامِ غَيْرَ مُشَاحٍّ لَهُ (٣) فِي الْقِيَامِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا اعْتَمَدَ بِنُهُوضِهِ أَلَّا يَنْهَضَ لِي عِنْدَ مُوَافَاتِي، وَإِذَا هُوَ قَدْ لَبِسَ سَبْعَةَ أَقْبِيَةٍ كُلُّ قَبَاءٍ (٤) مِنْهَا لَوْنٌ، وَكَانَ الْوَقْتُ آخِرَ أَيَّامِ الصَّيْفِ وَأَخَاقَهَا بِتَخْفِيفِ اللُّبْسِ، فَجَلَسْتُ وَجَلَسَ وَأَعْرَضَ عَنِّي سَاعَةً لَا يُعِيرُنِي فِيهَا طَرْفَهُ، وَلَا يَسْأَلُنِي عَمَّا قَصَدْتُ لَهُ، وَقَدْ كِدْتُ أَتَمَيَّزُ غَيْظًا (٥) وَأَقْبَلْتُ أُسَخِّفُ رَأْيِي فِي قَصْدِهِ، وَأُفَنِّدُ نَفْسِي فِي التَّوَجُّهِ نَحْوَ مِثْلِهِ. وَلَوَى عِذَارَهُ عَنِّي مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ الزَّعْنَفَةِ (٦) الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ، كُلُّ وَاحِدٍ يُومِيءُ

(١) الربض: المسكن (٢) زيلو معناها: لحاف كلمة فارسية (٣) أى منازع
(٤) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب (٥) أى أتقطع (٦) الزعنفة: الطائفة من القبيلة تنفرد أو تنضم إلى غيرها، وكل جماعة ليس أصلهم واحدا.

إِلَيْهِ وَيُوحِي بِطَرْفِهِ، وَيُشِيرُ إِلَى مَكَانِي بِيَدِهِ، وَيُوقِظُهُ مِنْ سِنَةِ جَهْلِهِ، وَيَأْبَى إِلَّا ازْوِرَاراً وَنِفَاراً وَجَرْياً عَلَى شَاكِلَةِ خُلُقِهِ الْمُشْكِلَةِ، ثُمَّ رَأَى أَنْ يَثْنِيَ رَأْسَهُ إِلَيَّ، فَوَاللهِ مَازَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ خَبَرُكَ؟ قُلْتُ أَنَا بِخَيْرٍ لَوْلَا مَاجَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي مِنْ قَصْدِكَ، وَكَلَّفْتُ قَدَمِي فِي الْمَصِيرِ إِلَى مِثْلِكَ، ثُمَّ تَحَدَّرْتُ عَلَيْهِ تَحَدُّرَ السَّيْلِ إِلَى الْقَرَارِ وَقُلْتُ لَهُ: أَبِنْ لِي عَافَاكَ اللهُ مِمَّ تِيهُكَ وَخُيَلَاؤُكَ وَعُجْبُكَ؟ وَمَا الَّذِي يُوجِبُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّجَبُّرِ وَالتَّنَمُّرِ؟ هَلْ هَاهُنَا نَسَبٌ فِي الْأَبْطَحِ تَبَحْبَحْتَ (١) فِي بُحْبُوحَةِ الشَّرَفِ وَفَرَعْتَ سَمَاءَ الْمَجْدِ بِهِ؟ أَمْ عِلْمٌ أَصْبَحْتَ عَلَماً يَقَعُ الْإِيمَاءُ إِلَيْكَ فِيهِ؟ هَلْ أَنْتَ إِلَّا وَتِدٌ بِقَاعٍ (٢) فِي شَرِّ الْبِقَاعِ؟ وَجُفَاءُ سَيْلٍ (٣) دَفَّاعٍ. يَا لَلهِ اسْتَنَّتِ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرْعَى (٤) وَإِنِّي لَأَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْناً (٥)، فَامْتَقِعَ لَوْنُهُ عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِي وَعَصِبَ رِيقُهُ (٦)، وَجَحَظَتْ عَيْنَاهُ وَسُقِطَ فِي يَدِهِ، وَجَعَلَ يَلِينُ فِي الِاعْتِذَارِ لِيناً كَادَ يَعْطِفُ عَلَيْهِ عَطْفَ صَفْحِي عَنْهُ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا هَذَا، إِنْ جَاءَكَ رَجُلٌ شَرِيفٌ فِي نَسَبِهِ تَجَاهَلْتَ نَسَبَهُ، أَوْ عَظِيمٌ فِي أَدَبِهِ صَغَّرْتَ أَدَبَهُ،

---

(١) أي توسعت (٢) القاع: أرض سهلة مطمئنة (٣) الجفاء: ما نفاه السيل من الزبد (٤) مثل يضرب للذي يتكلم مع من لاينبغي له أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره (٥) مثل يضرب لمن يعد ولا يفي (٦) أي جف.

أوْ مُتقدِّمٌ عِندَ سُلطانِه لم تعرِفْ موْضِعَهُ، فهلِ العِزُّ تُراثٌ لكَ دونَ غيرِكَ؟ كلَّا واللهِ! لكنَّكَ مددْتَ الكِبْرَ سِتراً على نقْصِكَ، وضربْتَه رُواقاً دونَ جهلِكَ. فعادَ إلى الاعتذارِ، وأخذتِ الجماعةُ في تليينِ جانبِي والرَّغبةِ إلَيَّ في قبُولِ عُذرِه واعتمادِ مُياسرتِه، وأنا آبَى إلَّا استِشْراءً(١) واجتراءً، وهوَ يُؤكِّدُ الأقسامَ ويُواصِلُها أنَّهُ لم يعرِفْني فأقولُ: ياهذا، ألمْ يستأذِنْ لي عليكَ باسْمِي ونَسَبِي؟ أمَا في هذهِ العِصابةِ مَنْ يعرِّفُكَ بي لوْ كُنتَ جهِلتَنِي؟ وهَبْ ذلكَ كذلكَ، ألمْ ترَنِي مُمتطياً بغلةً رائعةً يعلوها مَرْكَبٌ ثقيلٌ وبينَ يدَيَّ عِدَّةٌ منَ الغِلمانِ؟ أمَا شاهدْتَ لِباسِي؟ أمَا شمِمْتَ نشْرَ عِطْرِي؟ أمَا راعَكَ شيْءٌ منْ أمْرِي أتميَّزُ بهِ في نفْسِكَ عنْ غيرِي؟ وهوَ في أثناءِ ما أُكلِّمُهُ يقولُ: خفِّضْ عليكَ، ارْفُقِ اسْتأْنِ، فأصْحَبَ جانِبِي(٢) بعضَ الإصْحابِ ولانَ شِماسِي(٣) بعضَ اللِّيانِ، وأقبلَ عليَّ وأقبلْتُ عليهِ ساعةً ثُمَّ قلتُ: أشياءُ تختلِجُ في صدْرِي منْ شِعرِكَ أُحِبُّ أنْ أُراجِعَكَ فيها.

قالَ وما هِيَ؟ قُلتُ خبِّرْني عنْ قوْلِكَ:

---

(١) استشراء: لجاجة وعنادا (٢) أصحب جانبي: جعلني صاحبا له صحبة ما
(٣) شماسي: امتناعي وإبائي.

فَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ
فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

أَهَكَذَا تَمْدَحُ الْمُلُوكَ ؟ وَعَنْ قَوْلِكَ :

وَلَا مَنْ فِي جِنَازَتِهَا تِجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُهُمْ نَفْضَ النِّعَالِ

أَهَكَذَا تُؤَبِّنُ أَخَوَاتِ الْمُلُوكِ ؟ « وَاللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي أَدْنَى عَبِيدِهَا لَكَانَ قَبِيحاً » . وَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

خَفِ اللهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ
فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ(١)

أَهَكَذَا تَنْسِبُ بِالْمَحْبُوبِينَ ؟ وَعَنْ قَوْلِكَ فِي هِجَاءِ ابْنِ كَيْغَلَغَ :

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثاً فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ

أَمَا كَانَ لَكَ فِي أَفَانِينِ الْهِجَاءِ الَّتِي تَصَرَّفَتْ فِيهَا الشُّعَرَاءُ مَنْدُوحَةٌ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ الرَّذْلِ الَّذِي يَنْفِرُ عَنْهُ كُلُّ طَبْعٍ ، وَيَمُجُّهُ كُلُّ سَمْعٍ . وَعَنْ قَوْلِكَ :

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى ظَنَّ هَارِبُهُمْ
إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا

أَفَتَعْلَمُ مَرْئِيًّا يَتَنَاوَلُهُ النَّظَرُ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ ؟ وَمَا أَرَاكَ نَظَرْتَ إِلَّا إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

(١) العواتق جمع عاتقة : الجارية أول ما أدركت ، أو التى بين الادراك والتعنيس .

مَازِلتَ تَحسَبُ كُلَّ شَىءٍ بَعْدَهُمْ خَيلًا تَكُرُّ عَلَيهِمِ وَرِجَالَا

فَأَحَلْتَ الْمَعْنَى عَنْ جِهَتِهِ ، وَعَبَّرْتَ عَنْهُ بِغَيْرِ عِبَارَتِهِ .

وَعَنْ قَوْلِكَ :

أَلَيسَ عَجِيبًا أَنْ وَصفَكَ مُعجِزٌ
وَأَنَّ ظُنُونِى فِى مَعَالِيكَ تَظْلَعُ

فَاسْتَعَرْتَ الظَّلَعَ (١) لِظُنُونِكَ ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ قَبِيحَةٌ وَتَعَجَّبْتَ مِن غَيْرِ مُتَعَجَّبٍ ، لِأَنَّ مَنْ أَعْجَزَ وَصفُهُ لَمْ يُسْتَنكَرْ قُصُورُ الظُّنُونِ وَتَحَيُّرُهَا فِى مَعَالِيهِ ، وَإِنَّمَا نَقَلْتَهُ وَأَنْشَدْتَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

تَرَقَّتْ مُنَاهُ طَوْدَ عِزٍّ لَوِ ارْتَقَتْ
بِهِ الرِّيحُ فِتْرًا لَانْثَنَتْ وَهْىَ ظَالِعُ

وَعَنْ قَوْلِكَ تَمْدَحُ كَافُورًا :

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ

إِنَّهَا مَدْحٌ أَوْ ذَمٌّ ؟ قَالَ : مَدْحٌ . قُلْتُ : إِنَّكَ جَعَلْتَهُ بَخِيلًا لَا يُوَصَّلُكَ إِلَى خَيْرِهِ مِنْ جِهَتِهِ ، وَشَبَّهْتَ نَفْسَكَ فِى وُصُولِكَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ مِنْهُ بِشُرْبِكَ مِنْ مَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ لِبُعْدِهِ وَتَرَامِي مَوْضِعِهِ . وَأَخْبِرْنِي أَيْضًا عَنْ قَوْلِكَ فِى صِفَةِ كَلْبٍ وَظَبْيٍ :

(١) الظلع : الغمز فى المشى « الميل »

فَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ فَلَمْ يَضِرْ نَامِعَهُ فَقْدُ الْأَجْدَلِ

فَأَيُّ شيْءٍ أَعْجَبَكَ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ؟ أَعُذُوبَةُ عِبَارَتِهِ ؟، أَمْ لُطْفُ مَعْنَاهُ ؟، أَمَا قَرَأْتَ رَجَزَ ابْنِ هَانِىءٍ وَطَرْدَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ؟ أَمَا كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي ابْتَدَعَهَا هَذَانِ الشَّاعِرَانِ وَغُرَرِ الْمَعَانِي الَّتِي اقْتَضَبَاهَا مَا تَتَشَاغَلُ بِهِ عَنْ بُنَيَّاتِ صَدْرِكَ هَذِهِ ؟، وَأَلَا اقْتَصَرْتَ عَلَى مَا فِي أُرْجُوزَتِكَ هَذِهِ مِنَ الْكَلَامِ السَّلِيمِ وَلَمْ تُسِفَّ [1] إِلَى هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِقَةِ وَالْأَوْصَافِ الْمُخْتَلِفَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِي ؟ :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ
وَقَدْ صُغْتَ الْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِي فِي صِفَةِ جَيْشٍ ؟ :

فِي فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهِ
صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ

وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِي ؟ :

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصُنَا

وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِي ؟ :

أَيَقْدَحُ [2] فِي الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرُهُ يَشْمَلُ

---

(١) أى ولم تنزل (٢) فى الأصل « أينفع » والسبب أنه ضربت خيمة لسيف الدولة فسقطت من ريح هبت

وَمَا اُعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا[1] وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ

وَفِيهَا أَصِفُ كَتِيبَةً:

وَمَلْمُومَةٌ[2] زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ

وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِي؟:

أَلنَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ

وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاظِرُهَا وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَفِيكَ يُمْنَاهُ

أَمَا يُلْهِيكَ إِحْسَانِي فِي هَذِهِ عَنْ إِسَاءَتِي فِي تِلْكَ؟ قُلْتُ: مَا أَعْرِفُ لَكَ إِحْسَاناً فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْتَهُ، إِنَّمَا أَنْتَ سَارِقٌ مُتَّبِعٌ، وَآخِذٌ مُقَصِّرٌ، وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ابْتَكَرَهَا أَصْحَابُهَا مَنْدُوحَةٌ عَنِ التَّشَاغُلِ بِقَوْلِكَ. فَأَمَّا قَوْلُكَ:

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ «الْبَيْتَ»، فَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ بَيْتِ مَنْصُورٍ النُّمَيْرِيِّ:

فَكَأَنَّمَا وَقْعُ الْحُسَامِ بِهَامِهِ خَدَرُ الْمَنِيَّةِ أَوْ نُعَاسُ الْهَاجِعِ

وَأَمَّا قَوْلُكَ: «فِي فَيْلَقٍ» «الْبَيْتَ»، فَنَقَلْتَهُ نَقْلاً لَمْ تُحْسِنْ فِيهِ مِنْ قَوْلِ النَّاجِمِ:

وَلِي فِي حَامِدٍ أَمَلٌ بَعِيدٌ وَمَدْحٌ قَدْ مَدَحْتُ بِهِ طَرِيفُ

مَدِيحٌ لَوْ مَدَحْتُ بِهِ اللَّيَالِي لَمَا دَارَتْ عَلَيَّ لَهَا صُرُوفُ

(١) أي هدمها (٢) أي مجموعة مضمومة «عبد الخالق»

وَالنَّاجِمُ إِنَّمَا نَظَمَهُ مِنْ قَوْلِ أَرِسْطَاطَالِيسَ « قَدْ تَكَلَّمْتُ بِكَلَامٍ لَوْ مُدِحَتْ بِهِ الدَّهْرَ لَمَا دَارَتْ عَلَيَّ صُرُوفُهُ » . وَأَمَّا قَوْلُكَ : لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا « الْبَيْتَ » ، فَهَذَا مَعْنًى مُتَدَاوَلٌ تَسَاجَلَتْهُ الشُّعَرَاءُ (١) وَأَكْثَرَتْ فِيهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ
رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

ثُمَّ تَكَرَّرَ فِي أَفْوَاهِ الشُّعَرَاءِ إِلَى أَنْ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لِإِعْظَامِ أُخْرَى ... لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

وَأَخَذَهُ الْبُحْتُرِيُّ فَقَالَ :

لَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا (٢)
فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

وَأَمَّا قَوْلُكَ : « وَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا » فَقَدْ نَظَرْتَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ رَجُلٍ مَدَحَ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ بِالْمَوْصِلِ وَقَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَى السَّيْرِ فَانْدَقَّ لِوَاؤُهُ فَقَالَ :

مَا كَانَ مُنْدَقُّ اللِّوَاءِ لِرِيبَةٍ ... تُخْشَى وَلَا أَمْرٍ يَكُونُ مُزَيَّلَا
لَكِنْ لِأَنَّ الْعُودَ ضَعَّفَ مَتْنَهُ ... صِغَرُ الْوِلَايَةِ فَاسْتَقَلَّ الْمَوْصِلَا

---

(١) أي تبارت فيه (٢) وفي رواية أخرى : « ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما »
« عبد الخالق »

وَأَمَّا قَوْلُكَ : « وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا » فَمِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

أَمَامَ خَمِيسٍ أُرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَمِيصٌ مُحُوكٌ مِنْ قَنًا وَجِيَادِ

وَأَمَّا قَوْلُكَ : « أَلنَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ » فَمِنْ قَوْلِ عَلِيِّ ابْنِ نَصْرِ بْنِ بَسَّامٍ فِي عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ يَرْثِيهِ :

قَدْ اُسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْكَمَالُ
وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ أَيْنَ الرِّجَالُ ؟
هٰذَا أَبُو القَاسِمِ فِي نَعْشِهِ
قُومُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ ؟

فَقَوْلُهُ : « قَدِ اُسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْكَمَالُ » هُوَ قَوْلُكَ : « أَلنَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ » فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : مَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ « قُومُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ » ! فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : اُسْكُتْ مَا فِيهِ مِنْ حُسْنٍ ، أَلَمْ يَسْرِقْهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ ؟ :

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نُفُوسُهُمْ
وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ ؟

فَقَالَ الْحَاتِمِيُّ فَقُلْتُ : قَدْ سَرَقَهُ النَّابِغَةُ مِنْ أَوْسٍ حِينَ قَالَ :

أَلَمْ تَكْسِفِ الشَّمْسَ شَمْسُ النَّهَا رِ وَالْبَدْرُ لِلْقَمَرِ الْوَاجِبِ

لِفَقْدِ فُضَالَةٍ لا يَسْتَوِى الْـ ـقُعُودُ وَلا خَلَّةُ الذَّاهِبِ

قُلْتُ : وَاللهِ لَئِنْ كَانَ أَخَذَهُ فَقَدْ أَحْسَنَ وَأَخْفَى الأَخْذَ . فَقَالَ الرَّجُلُ أَجَلْ . فَقَالَ الْمُتَنَبِّى : يَا مُحَمَّدُ خُذْ بِيَدِهِ وَأَخْرِجْهُ يُرِيدُ بِمُحَسَّدٍ ابْنَهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَنْ تَرَكَهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : وَأَمَّا قَوْلُكَ : « وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ » فَمَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِ الأَخْطَلِ إِنْ كَانَ الْبَيْتُ لَهُ فِى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَـكَالدَّهْرِ لا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وَقَدْ قَالَ جَرِيرٌ حِينَ قَالَ لَهُ الفَرَزْدَقُ :

فَإِنِّى أَنَا الْمَوْتُ الَّذِى هُوَ نَازِلٌ
بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ تُحَاوِلُهْ ؟

وَقَالَ جَرِيرٌ :

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِى الْمَوْتُ وَالدَّهْرُ خَالِدٌ
فَجِئْنِى بِمِثْلِ الدَّهْرِ شَيْئاً تُطَاوِلُهْ

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَتَرَى أَنَّ جَرِيراً أَخَذَ قَوْلَهُ : يَفْنَى الْمَوْتُ مِنْ أَحَدٍ ، وَأَنَّ أَحَداً شَرَكَهُ فِى إِفْنَاءِ الْمَوْتِ ؟ فَفَكَّرَ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ لا ، قُلْتُ : بَلَى عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ حَيْثُ يَقُولُ :

لَنْ يُعْجِزَ الْمَوْتَ شَىْءٌ دُونَ خَالِقِهِ
وَالْمَوْتُ فَانٍ إِذَا مَا نَالَهُ الأَجَلُ

وَكُلُّ كَرْبٍ أَمَامَ الْمَوْتِ مُتَّضِعُ

بِالْمَوْتِ وَالْمَوْتُ فِيمَا بَعْدَهُ جَلَلُ

فَأَمَاتَ الْمَوْتَ وَأَحْيَاهُ وَمَا سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ أَحَدٌ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَتَرَى أَنَّ الْبَيْتَ الْمُتَقَدِّمَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ : « لَكَالدَّهْرِ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ » مَأْخُوذٌ مِنْ أَحَدٍ ؟ فَأَطْرَقَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِهَذَا ؟ قُلْتُ يُسْتَدَلُّ عَلَى مَوْضِعِكَ وَمَوَاضِعِ أَمْثَالِكَ مِنْ سَرِقَةِ الشِّعْرِ . فَقَالَ : اللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ ، أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً [1] ، مَا أَرَدْتُ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ . قُلْتُ : فَإِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ ابْتَكَرَهُ :

وَعَيَّرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ وَمَا عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ

ثُمَّ أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَأَحْسَنَ بِقَوْلِهِ :

خَشَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ فِيهِمُ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

قَالَ : وَمَنْ أَبُو تَمَّامٍ ؟ قُلْتُ : الَّذِي سَرَقْتَ شِعْرَهُ فَأَنْشَدْتَهُ . قَالَ : هَذِهِ خَلَائِقُ السُّفَهَاءِ لَا خَلَائِقُ الْعُلَمَاءِ . قُلْتُ أَجَلْ ، أَنْتَ سَفِهْتَ رَأْيِي وَلَمْ يَكُنْ سَفِيهًا ، أَلَسْتَ الْقَائِلَ ؟

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَالَا

شَرَفٌ يَنْطَحُ الثُّرَيَّا بِرَوْقَيْـ ـهِ وَنَخْرٌ يُقَلْقِلُ الْأَجْبَالَا

---

(١) فى الأصل : « فأساء جابة بدون همزة » .

قَالَ بَلَى . قُلْتُ : فَإِنَّكَ أَخَذْتَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ بَيْتِ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهٍ حَيِيٍّ وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهٍ وَقَاحِ
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالِي طُرُقُ الْجِدِّ غَيْرُ طُرْقِ الْمِزَاحِ

وَأَخَذْتَ الْبَيْتَ الثَّانِيَ فَأَفْسَدْتَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ الثُّرَيَّا وَجَدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

قَالَ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَفْسَدْتُهُ ؟ قُلْتُ : بِأَنْ جَعَلْتَ لِلشَّرَفِ قَرْنًا . قَالَ : وَأَنَّى لَكَ بِذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَلَمْ تَقُلْ : يَنْطَحُ السَّمَاءَ بِرَوْقَيْهِ ؟ وَالرَّوْقَانِ : الْقَرْنَانِ ؟ قَالَ أَجَلْ ، إِنَّمَا هِيَ اسْتِعَارَةٌ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، هِيَ اسْتِعَارَةٌ خَبِيثَةٌ . قَالَ : أَقْسَمْتُ غَيْرَ مُحْرَجٍ فِي قَسَمِي إِنَّنِي لَمْ أَقْرَأْ شِعْرًا قَطُّ لِأَبِي تَمَّامِكُمْ هَذَا . فَقُلْتُ : هَذِهِ سَوْءَةٌ لَوْ سَتَرْتَهَا كَانَ أَوْلَى . قَالَ : السَّوْءَةُ قِرَاءَةُ شِعْرِ مِثْلِهِ ، أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ وَأُنْجِحَ فِيكِ قَوْلُ الْعَاذِلِينِ

وَالَّذِي يَقُولُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَرَّرْتُ يَوْمَ لَقِيتُهُ لَوَ انَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ

وَالَّذِي يَقُولُ :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا[1] بِنَغْمَةِ طَالِبِ

---

(١) أي لم يحفظها .

وَالَّذِي يَقُولُ :

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ الشَّرَى[١] نَضِجَتْ
أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

وَالَّذِي يَقُولُ :

وَلِي وَلَمْ يَظْلِمْ وَهَلْ ظَلَمَ امْرُؤٌ حَثَّ النَّجَاءَ وَخَلْفَهُ التِّنِّينُ

وَالَّذِي يَقُولُ :

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً[٢] رَكُوبَا

وَالَّذِي يَقُولُ :

كَانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَأَنَّمَا لَبِسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا

وَالَّذِي يَقُولُ :

أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يُصِبْ
رَسِيسَ الْهَوَى[٣] بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ

مَا قُرْحَانُ الْبَيْنِ أَخْرَسَ اللهُ لِسَانَهُ ؟ فَأَحْفَظَنِي[٤] ذَلِكَ وَقُلْتُ : يَا هَذَا ، مِنْ أَدَلِّ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّكَ قَرَأْتَ شِعْرَ هَذَا الرَّجُلِ تَتَبُّعُكَ مَسَاوِيَهُ : فَهَلْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى اخْتِلَاقِكَ إِنْكَارُهُ أَوْضَحُ مِمَّا ذَكَرْتَهُ ؟ وَهَلْ يَصِمُ أَبَا تَمَّامٍ أَوْ يَسِمُهُ بِمِيسَمِ النَّقِيصَةِ

---

(١) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل . (٢) العود : المسن من الابل (٣) رسيس الهوى : بقيته وأثره (٤) أى فأغضبني .

مَا عَدَدْتَهُ مِنْ سَقَطَاتِهِ وَتَخَوَّنَتْهُ (١) مِنْ أَبْيَاتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي النُّونِيَّةِ :

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولاً   وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي

فَهَلَّا اغْتَفَرْتَ الْأَوَّلَ لِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ ؟ وَأَمَّا قَوْلُهُ :

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ

أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

فَلِهَذَا الْبَيْتِ خَبَرٌ لَوِ اسْتَقْرَيْتَ صُحُفَهُ لَأَقْصَرْتَ عَمَّا (٢) تَنَاوَلْتَهُ بِالطَّعْنِ فِيهِ . ثُمَّ قَصَصْتُ الْخَبَرَ وَقُلْتُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ مُتَقَدِّمِي الشُّعَرَاءِ وَأُمَرَاءِ الْكَلَامِ وَأَرْبَابِ الصِّنَاعَةِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ لَوْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّ أَحَداً لَمْ يَبْتَدِئْ بِأَوْجَزَ وَلَا أَحْسَنَ وَلَا أَخْصَرَ مِنْ قَوْلِهِ :

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

لَمَا عُنِّفَ فِي ذَلِكَ . وَفِيهَا يَقُولُ :

رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا   وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ

---

(١) أى تنقصته . (٢) كانت فى الأصل : « عن » .

وَفِيهَا يَقُولُ :

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْىَ الْعَيْنِ تَوْفَلِسٌ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ (١)

وَفِيهَا يَقُولُ :

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشُبِ

وَفِيهَا يَقُولُ :

بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ

وَفِيهَا يَقُولُ :

غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى
يَشُبُّهَا وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

وَفِيهَا يَقُولُ :

أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا
وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُصِبِ

(١) الحرب بالتحريك : الويل والهلاك .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيْنِ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ رَجُلاً لَمْ يَقْطَعْهُ أَحْبَابُهُ وَلَمْ يَبِينُوا عَنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَإِذَا كَانَتْ حَالُهُ كَذَلِكَ كَانَ مَوْقِعُ الْبَيْنِ أَشَدَّ عَلَيْهِ وَأَفَتَّ فِى عَضُدِهِ ، وَالْأَصْلُ فِى هَذَا : أَنَّ الْقُرْحَانَ الَّذِى لَمْ يُجَدَّرْ قَطُّ [1] . وَقَدْ قَالَ جَرِيرٌ :

« وَكُنْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الْبَيْنِ قُرْحَانَا . »

وَفِى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنَ الْمَعَانِى الرَّائِعَةِ ، وَالتَّشْبِيهَاتِ الْوَاقِعَةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْبَارِعَةِ مَا يُغْتَفَرُ مَعَهُ هَذَا الْبَيْتُ وَأَمْثَالُهُ . عَلَى أَنَّا أَبَنَّا عَنْ صِحَّةِ مَعْنَاهُ وَعَنْ أَمْثَالِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

إِذَا الْعِيسُ لَاقَتْ بِى أَبَا دُلَفٍ فَقَدْ
تَقَطَّعَ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

يَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةَ آمِلٍ
كَسَتْهُ يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ

وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ النَّدَى
بَيَاضُ الْعَطَايَا فِى سَوَادِ الْمَطَالِبِ

وَقَدْ عَلِمَ الْأَفْشِينُ وَهْوَ الَّذِى بِهِ
يُصَانُ رِدَاءُ الْمُلْكِ عَنْ كُلِّ جَاذِبِ

(١) أى لم يصب بالجدرى .

بأنك لما استحكم النصر واكتسى
إهابى تسفى فى وجوه التجارب
تجللته بالرأى حتى أريته
به ملء عينيه مكان العواقب
بأرشق[١] إذ سالت عليهم غمامة
جرت بالعوالى والعتاق الشوارب
ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت[٢]
حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكنه فيض العقول إذا انجلت
سحائب جود أعقبت بسحائب

فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته، وحبس بنيات صدره، وعقل عن الإجابة لسانه، وكاد يشغب[٣] لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه، وعرفه من مكانى فى تلك الأيام وأن ذلك لا يتم له، فما زاد على أن قال: قد أكثرت من أبى تمام، لا قدس الله أبا تمام وذويه. قلت: ولا قدس السارق منه والواقع فيه. ثم قلت له: ما الفرق — فى كلام العرب — بين التقديس والقداس والقداس والقادس؟ فقال: وأى شىء غرضك

(١) الأرشق: القوس الخفيفة السريعة السهم (٢) أى ما جمعت
(٣) أى يهيج الشر

فى هذا؟ فقلتُ: المذاكرة. فقال: بل المهاترة (١) ثم قال: التقديس: التطهير فى كلام العرب، ولذلك سُمّى القدس قُدساً لأنه يشتمل على الذى به الطهور، وكل هذه الأحرف تئول إليه.

فقلتُ له: ما أحسبك أنعمت النظر فى شىء من علوم العرب، ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معانى هذه الكلمات مع تباينها، وذلك لأن القَدّاس بتشديد الدال: حجر يُلقى فى البئر ليُعلم به غزارة مائها من قلته، حكى ذلك ابن الأعرابى، والقَدَاس: الجُمان، حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله «كنظم قداس سلكه متقطع». والقادس: السفينة. قال الشاعر يصف ناقة»:

وتهفو بهادٍ لها مُتْلِعٍ (٢)

كما اقتحم القادسَ الأردمونا (٣)

فلما علوته بالكلام قال: يا هذا، مُسلَّمة إليك اللغة. قلتُ: وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها (٤)؟ ومن نصابها وسرها، وأولى الناس بالتحقق بها والتوسع فى اشتقاقها والكلام على أفانينها، وما أحد أولى بأن يُسأل عن لغته منك. فشرعت الجماعة الحاضرة فى إعفائه وقبول عذره

(١) المهاترة: المسابة بالقبيح من القول. (٢) من أتلع فلان: مد عنقه متطاولا.
(٣) الأردمون جمع أردم: الملاح الحاذق (٤) أبو عذرتها: أى مفتض لبكارتها.

وَالتَّوَاطُؤِ لَهُ(١) ، وَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ : أَنْتَ أَوْلَى بِالْمُرَاجَعَةِ وَالْمُيَاسَرَةِ لِمِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ . وَكُنْتُ قَدْ بَلَغْتُ شِفَاءَ نَفْسِي وَعَلِمْتُ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الْبَغْيِ لَا أَرَاهُ فِي مَذْهَبِي ، وَرَأَيْتُ لَهُ حَقَّ الْقَدَمَةِ(٢) فِي صِنَاعَتِهِ . فَطَأْطَأْتُ لَهُ كَتِفِي وَاسْتَأْنَفْتُ جَمِيلاً مِنْ وَصْفِهِ ، وَنَهَضْتُ فَنَهَضَ لِي مُشَيِّعاً إِلَى الْبَابِ حَتَّى رَكِبْتُ وَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَتَشَاغَلْتُ بَقِيَّةَ يَوْمِي بِشُغْلٍ عَنَّ لِي تَأَخَّرْتُ مَعَهُ عَنْ حَضْرَةِ الْمُهَلَّبِ وَانْتَهَى إِلَيْهِ الْخَبَرُ ، وَأَتَتْنِي رُسُلُهُ لَيْلاً فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ عَلَى الْحَالِ ، فَكَانَ مِنْ سُرُورِهِ وَابْتِهَاجِهِ بِمَا جَرَى مَا بَعَثَهُ عَلَى مُبَاكَرَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ قَائِلاً لَهُ : أَعَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ فُلَانٍ وَالْمُتَنَبِّي ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَدْ شَفَا مِنْهُ صُدُورَنَا .

٤٣ — مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ*

محمد بن الحسن الزبيدي

أَبُو بَكْرٍ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، سَكَنَ قُرْطُبَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَخَذَ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْقَالِيِّ ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْحَكَمُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ

(١) أي موافقته (٢) أي التقدم .

(*) ترجم له في كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له أيضا في كتاب بغية الوعاة .

مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَالْحَكَمُ هُوَ الْمُتَغَلِّبُ عَلَى بِلَادِ الْغَرْبِ الْمُتَلَقَّبُ بِالْمُسْتَنْصِرِ » فِي تَعْلِيمِ وَلَدِهِ ، مَاتَ الزَّبِيدِيُّ بِإِشْبِيلِيَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . كَذَا ذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَال .

وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ : تُوُفِّيَ قَرِيباً مِنْ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ : ابْنُهُ الْوَلِيدُ مُحَمَّدٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْأَفْلِيلِيُّ النَّحْوِيُّ وَغَيْرُهُمَا . وَالزَّبِيدِيُّ نِسْبَةً إِلَى زَبِيدِ ابْنِ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ رَهْطِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الزَّبِيدِيِّ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْحُمَيْدِيُّ فِي كِتَابِهِ فِي بَابِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَذْحِجِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَذْحِجٍ الزَّبِيدِيِّ : سَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَي ابْنِ يَحْيَي اللَّيْثِيِّ وَمِنْ غَيْرِهِ وَسَمِعَ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْأَنْدَلُسِ قَرِيباً مِنْ سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الزَّبِيدِيِّ النَّحْوِيِّ مُؤَلِّفِ كِتَابِ الْوَاضِحِ ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ .

قَالَ الْحُمَيْدِيُّ : أَبُو بَكْرٍ الزَّبِيدِيُّ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، أَلَّفَ فِي النَّحْوِ كِتَاباً سَمَّاهُ كِتَابَ الْوَاضِحِ . وَاخْتَصَرَ كِتَابَ الْعَيْنِ اخْتِصَاراً حَسَناً ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي أَبْنِيَةِ

سِيبَوَيْهِ، وَلَهُ كِتَابُ مَا يَلْحَنُ فِيهِ عَوَامُّ الْأَنْدَلُسِ، وَكِتَابُ طَبَقَاتِ النَّحْوِيِّينَ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَقَدْ نَقَلْتُ إِلَى كِتَابِي هَذَا مَا نَسَبْتُهُ إِلَيْهِ. وَبَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ الْغَرْبِ يَتَنَافَسُونَ فِي كُتُبِهِ خُصُوصًا كِتَابَهُ الَّذِي اخْتَصَرَهُ مِنْ كِتَابِ الْعَيْنِ، لِأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِاخْتِصَارِهِ وَأَوْضَحَ مُشْكِلَهُ، وَزَادَ فِيهِ مَا عَسَاهُ كَانَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، وَلَهُ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّصَانِيفِ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَدَبِ.

قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: وَكَانَ شَاعِرًا كَثِيرَ الشِّعْرِ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ: كَتَبَ الزُّبَيْدِيُّ إِلَى أَبِي مُسْلِمِ بْنِ فَهْدٍ:

أَبَا مُسْلِمٍ إِنَّ الْفَتَى بِجَنَانِهِ
وَمِقْوَلِهِ لَا بِالْمَرَاكِبِ وَاللُّبْسِ
وَلَيْسَ ثِيَابُ الْمَرْءِ تُغْنِي قُلَامَةً
إِذَا كَانَ مَقْصُورًا عَلَى قِصَرِ النَّفْسِ
وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالْحِجَى
أَبَا مُسْلِمٍ طُولُ الْقُعُودِ عَلَى الْكُرْسِي

قَالَ: وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ: كَتَبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيُّ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيِّ بِمَنْظُومٍ بَيَّنَ لَهُ فِيهِ الْخَطَأَ بِتَصْرِيحٍ وَهُوَ:

قُلْ (١) لِلْوَزِيرِ السَّنِيِّ مَحْتِدُهُ لِى ذِمَّةٌ مِنْكَ أَنْتَ حَافِظُهَا
عِنَايَةٌ بِالْعُلُومِ مُعْجِزَةٌ قَدْ بَهَظَ (٢) الْأَوَّلِينَ بَاهِظُهَا
يَقَرُّ لِى عَمْرُهَا وَمَعْمَرُهَا فِيهَا وَنَظَّامُهَا وَجَاحِظُهَا
قَدْ كَانَ حَقًّا قَبُولُ حُرْمَتِهَا لَكِنَّ صَرْفَ الزَّمَانِ لَافِظُهَا
وَفِى خُطُوبِ الزَّمَانِ لِى عِظَةٌ لَوْ كَانَ يَثْنِى النُّفُوسَ وَاعِظُهَا
إِنْ لَمْ تُحَافِظْ عِصَابَةٌ نُسِبَتْ إِلَيْكَ قِدْمًا فَمَنْ يُحَافِظُهَا ؟
لَا تَدَعَنَّ حَاجَتِى مُطَّرَحَةً (٣) فَإِنَّ نَفْسِى قَدْ فَاظَ فَائِظُهَا (٤)

فَأَجَابَهُ الْمُصْحَفِىُّ :

خَفِّضْ فُوَاقًا فَأَنْتَ أَوْحَدُهَا عِلْمًا وَنَقَّابُهَا وَحَافِظُهَا
كَيْفَ تَضِيعُ الْعُلُومُ فِى بَلَدٍ أَبْنَاؤُهُ كُلُّهُمْ تُحَافِظُهَا ؟
أَلْفَاظُهُمْ كُلُّهَا مُعَطَّلَةٌ مَا لَمْ يُعَوِّلْ عَلَيْكَ لَافِظُهَا
مَنْ ذَا يُسَاوِيكَ إِنْ نَطَقْتَ وَقَدْ أَقَرَّ بِالْعَجْزِ عَنْكَ جَاحِظُهَا ؟
عِلْمٌ ثَنَى الْعَالَمِينَ عَنْكَ كَمَا ثَنَى سَنَا الشَّمْسِ مَنْ يُلَاحِظُهَا
فَقَدْ أَتَتْنِى فُدِيتَ شَاغِلَةٌ لِلنَّفْسِ أَنْ قُلْتَ فَاظَ فَائِظُهَا
فَأَوْضَحَتْهَا نُفِّرَتْ بِنَادِرَةٍ قَدْ بَهَظَ الْأَوَّلِينَ بَاهِظُهَا

فَأَجَابَهُ الزُّبَيْدِىُّ وَضَمَّنَ الشِّعْرَ الشَّاهِدَ عَلَى ذَلِكَ :

---

(١) عبارة الكتاب غير مؤدية للمعنى المراد ، والذى يفهم هو أن هذا الشعر من قول محمد بن الحسن الزبيدى (٢) بهظ : أثقل وسبب المشقة (٣) أى مقذوفة متروكة (٤) أى زاد ضيقها .

أَتَانِى كِتَابٌ مِنْ كَرِيمٍ مُكَرَّمٍ
فَنُفِّسَ عَنْ نَفْسٍ تَكَادُ تَفِيظُ

فَسَرَّ جَمِيعَ الْأَوْلِيَاءِ وُرُودُهُ وَسِىءَ رِجَالٌ آخَرُونَ وَغِيظُوا

لَقَدْ حَفِظَ الْعَهْدَ الَّذِى قَدْ أَضَاعَهُ لَدَى سِوَاهُ وَالْكَرِيمُ حَفِيظُ

وَبَاحَثَ عَنْ « فَاظَتْ » وَقَبْلِى قَالَهَا
رِجَالٌ لَدَيْهِمْ فِى الْعُلُومِ حُظُوظُ

رَوَى ذَاكَ عَنْ كَيْسَانَ سَهْلٌ وَأَنْشَدُوا
مَقَالَ أَبِى الْغَيَّاظِ وَهْوَ مَغِيظُ

فَلَا حَفِظَ الرَّحْمَنُ رُوحَكَ حَيَّةً
وَلَا هِىَ فِى الْأَرْوَاحِ حِينَ تَفِيظُ

قَالَ الْحُمَيْدِىُّ : قَالَ لِى أَبُو مُحَمَّدٍ : وَقَدْ يُقَالُ: فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالضَّادِ، ذَكَرَ ذَلِكَ يَعْقُوبُ ابْنُ السِّكِّيتِ فِى كِتَابِ الْأَلْفَاظِ لَهُ . قَالَ: وَلَهُ ـ وَقَدِ اسْتَأْذَنَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرَ فِى الرُّجُوعِ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَكَتَبَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ هُنَاكَ تُدْعَى سَلْمَى ـ :

وَيْحَكِ يَا سَلْمُ لَا تُرَاعِى لَا بُدَّ لِلْبَيْنِ مِنْ زَمَاعِ (١)

لَا تَحْسَبِينِى صَبَرْتُ إِلَّا كَصَبْرِ مَيْتٍ عَلَى النِّزَاعِ

مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ عَذَابٍ أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ

مَا بَيْنَهَا وَالْحِمَامِ فَرْقٌ لَوْلَا الْمَنَاحَاتُ وَالنَّوَاعِى

(١) لا تراعى من الروع : لا تخافى ، والزماع : العزم على الشيء .

إِنْ يَفْتَرِقْ شَمْلُنَا وَشِيكًا(١) مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ ذَا اجْتِمَاعِ
فَكُلُّ شَمْلٍ إِلَى افْتِرَاقٍ وَكُلُّ شَعْبٍ إِلَى انْصِدَاعِ
وَكُلُّ قُرْبٍ إِلَى بِعَادٍ وَكُلُّ وَصْلٍ إِلَى انْقِطَاعِ

قَالَ المُؤَلِّفُ: هَذَا آخِرُ مَا كَتَبْنَا مِنْ كِتَابِ الْحُمَيدِيِّ وَهُوَ الَّذِي وَجَدْنَاهُ فِيهِ مِنْ خَبَرِهِ.

﴿٤٤ — مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَذْحِجِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ *﴾

محمد بن الحسن المذحجي

يُعْرَفُ بِابْنِ الْكَتَّانِيِّ، ذَكَرَهُ الْحُمَيدِيُّ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ وَقَالَ: لَهُ مُشَارَكَةٌ قَوِيَّةٌ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ، وَلَهُ تَقَدُّمٌ فِي عُلُومِ الطِّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ فِي الْحِكَمِ، وَرَسَائِلُ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَكُتُبٌ مَعْرُوفَةٌ، مَاتَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ، وَلَهُ كِتَابُ مُحَمَّدٍ وَسُعْدَى مَلِيحٌ فِي مَعْنَاهُ.

وَمِنْ شِعْرِهِ:

أَلَا قَدْ هَجَرْنَا الْهَجْرَ وَاتَّصَلَ الْوَصْلُ
وَبَانَتْ لَيَالِي الْبَيْنِ وَاشْتَمَلَ الشَّمْلُ
فَسُعْدَى نَدِيمِي وَالْمُدَامَةُ رِيقُهَا
وَوَجْنَتُهَا رَوْضِي وَقُبْلَتُهَا النُّقْلُ(٢)

---

(١) أي قريبا. (٢) النقل بفتح النون وقد تضم: ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

(*) ترجم له في كتاب بغية الملتمس

وَمِنهُ أَيضاً :

نَأَيتُ عَنكُم فَلا صَبْرٌ وَلا جَلَدٌ
وَصِحتُ وَا كَبِدِي حَتَّى مَضَت كَبِدِي

أَضحَى الفِرَاقُ رَفِيقاً لِي يُوَاصِلُنِي
بِالبُعدِ وَالشَّجوِ وَالأَحزَانِ وَالكَمَدِ

وَبِالوُجُوهِ الَّتِي تَبدُو فَأُنشِدُهَا
وَقَد وَضَعتُ عَلَى قَلبِي يَدِي بِيَدِي

إِذَا رَأَيتُ وُجُوهَ الطَّيرِ قُلتُ لَهَا :
لَا بَارَكَ اللهُ فِي الغِربَانِ وَالصُّرَدِ (١)

﴿ ٤٥ — مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الجَبَلِيُّ النَّحوِيُّ * ﴾

محمد بن الحسن الجبلي

ذَكَرَهُ الحُمَيدِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَيضاً ، وَهُوَ أَدِيبٌ شَاعِرٌ كَثِيرُ القَولِ كَانَ يُقرَأُ عَلَيهِ الأَدَبُ

وَأَنشَدَنِي لِنَفسِهِ :

وَمَا الأُنسُ بِالإِنسِ الَّذِينَ عَهِدتُهُم
بِأُنسٍ وَلَكِن فَقدُ أُنسِهِمُ أُنسُ (٢)

---

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير .

(٢) يظهر أن فى الأنس بأحبائه خطرا على دينه ، فهو يجعل فقد الايناس بهم أنسا لأن فيه سلامة نفسه ودينه ، فتأمل البيت الثانى . « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

إِذَا سَلِمَتْ نَفْسِي وَدِينِيَ مِنْهُمُ
فَحَسْبِيَ أَنَّ الْعِرْضَ مِنِّي لَهُمْ تُرْسُ

قَالَ ابْنُ مَاكُولَا : قُتِلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِي الْحُمَيْدِيُّ : تَرَكْتُهُ حَيًّا .

﴿ ٤٦ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبُرْجِيُّ الْأَدِيبُ الْأَصْفَهَانِيُّ * ﴾

محمد بن الحسن البرجى

قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ : مَاتَ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ (١) ،

﴿ ٤٧ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ * ﴾

محمد بن الحسين الفارسى

أَبُو الْحُسَيْنِ الْفَارِسِيُّ النَّحْوِيُّ ابْنُ أُخْتِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، أَخَذَ عَنْ خَالِهِ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَطَوَّفَ الْآفَاقَ وَرَجَعَ إِلَى الْوَطَنِ ، وَكَانَ خَالُهُ أَوْفَدَهُ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ إِلَى جِهَةِ

---

(١) إلى هنا كان آخر المجلد الثالث من النسخة الخطية ، وقد كتب ناسخه لؤلؤ بن عبد عتيق فى آخر المجلد ما يأتى : تم المجلد الثالث من كتاب معجم أهل الأدب والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيد المرسلين محمد النبى وآله الطاهرين وصحبه أجمعين .

ويتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الرابع : محمد بن الحسين بن محمد بن على بن حمدون الملقب بفرس الدولة أبو نصر المنشىء صاحب الرسائل .

فرغ من نقله وما قبله من الأجزاء الفقير إلى عفو الله ومسامحته ، لؤلؤ بن عبد عتيق السعيد الشهيد شرف الدين أبى الفضل محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد ابن محمد الطاوس العلوى الحسنى فى أواخر صفر ، ختم بالخير من سنة تسع وسبعين وستمائة هلالية ببغداد .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الرَّيَّ فارْتضاهُ وأَكْرَمَ مثواهُ ، ثُمَّ تغرَّبَ أبو الْحُسَيْنِ ولَقِيَ النَّاسَ فِي انْتِقالِهِ ، وورَدَ خُراسانَ ونزَلَ بنَيْسابُورَ دفعاتٍ ، وأَمْلى بِهَا مِنَ الْأَدبِ والنَّحْوِ ما سارَتْ بِهِ الرُّكْبانُ ، وآلَ أمْرُهُ إلَى أَنْ وزَرَ للأمِيرِ « شاد عرسى ستان » ثُمَّ اخْتَصَّ بالأمِيرِ إسْماعِيلَ بْنِ سُبُكْتِكِينَ بِغَزْنَةَ ووزَرَ لهُ ، ثُمَّ عادَ إلَى نَيْسابُورَ ، ثُمَّ توجَّهَ إلَى مَكَّةَ وجاوَرَ بِهَا ثُمَّ عادَ إلَى غَزْنَةَ ورَجَعَ إلَى نَيْسابُورَ ، ثُمَّ انْتَقلَ إلَى أسفرايِنَ ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ جُرْجانَةَ إلَى أَنْ ماتَ ، وقرَأَ عليْهِ أَهْلُها مِنْهُمْ : عَبْدُ القاهِرِ الْجُرْجانِيُّ وليْسَ لهُ أُسْتاذٌ سِواهُ ، ولِلصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ مُكاتَباتٌ إلَيْهِ مُدَوَّنَةٌ ، ولَهُ تَصانِيفُ مِنْهَا : كِتابُ الْهِجاء ، وكِتابُ الشِّعْرِ.

ماتَ سَنَةَ إحْدَى وعِشْرِينَ وأرْبَعِمِائَةٍ ، ومِنْ شِعْرِهِ :

وَلا غُصْنَ إلَّا ما حَوَاهُ قَباؤُهُ
وَلا دِعْصَ [1] إلَّا ما خَبَتْهُ مَآزِرُهْ
وَأَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْمَنُوطِ بِخَصْرِهِ
إذَا شِيمَ سَيْفٌ [2] تَنْتَضِيهِ مَحَاجِرُهْ

(١) حواه : جمعه وملكه وأحرزه ، والدعص : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع أو الصغير ، قال الشاعر :

عقيلية أما ملاث إزارها (١) فدعص وأما خصرها فتحيل

(٢) سيف خبر المبتدا أمضى

(١) الازار : الرداء ، وملاثه : ما يحيط به ، يريد ما التف عليه إزارها .

﴿ ٤٨ – مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

محمد بن الحسين الطبرى

يُعْرَفُ بِابْنِ نَجْدَةَ مَشْهُورٌ فِى أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَلَهُ خَطٌّ مَرْغُوبٌ فِيهِ ، قَرَأَ عَلَى الفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ الْجُمَحِيِّ بْنِ خَلِيفَةَ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

شِفَاءُ الْعَمَى حُسْنُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا
يُطِيلُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عَنَاكَ فَإِنَّمَا خُلِقْتَ أَخَا عَقْلٍ لِتَسْأَلَ بِالْعَقْلِ

﴿ ٤٩ – مُحَمَّدُ بْنُ حَمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَحْمُودٍ ﴾

محمد بن حمد البروجردى

أَبْنِ فُورَّجَةَ (١) بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَفَتْحِ الْجِيمِ ، الْبُرُوجِرْدِيُّ ، أَدِيبٌ فَاضِلٌ مُصَنِّفٌ ، لَهُ كِتَابُ الْفَتْحِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ ، وَالتَّجَنِّي عَلَى ابْنِ جِنِّيٍّ ، يَرُدُّ فِيهِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ جِنِّيٍّ فِى شَرْحِ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ، وَمَوْلِدُهُ فِى ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، كَانَ مَوْجُوداً سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَيُّهَا الْقَاتِلِي بِعَيْنَيْهِ رِفْقاً إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ ذَا مَنْ قَلَاكَا
أَكْثَرَ اللَّائِمُونَ فِيكَ عِتَابِي أَنَا وَاللَّائِمُونَ فِيكَ فِدَاكَا

(١) ضبط اسمه صاحب فوات الوفيات فقال : « فوزجة » بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاى وتشديد الجيم ، فليتأمل هذين الضبطين .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

إِنَّ لِى غَيْرَةً عَلَيْكَ مِنَ اسْمِى إِنَّهُ دَائِمًا يُقَبِّلُ فَاكَا[(١)]

﴿ ٥٠ — مُحَمَّدُ بْنُ حَيَوَيْهِ بْنِ الْمُؤَمَّلِ[*] ﴾

محمد بن حيويه الكرجى

الْوَكِيلُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى رَوْضَةَ الْكَرَجِىُّ النَّحْوِىُّ ، رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ السُّكَّرِىِّ مِنْ أَهْلِ هَمَذَانَ ، وَرَوَى عنه كَامِلُ بْنُ أَحْمَدَ النَّحْوِىُّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الصَّبَّاحِ ، وَأَبُو سَعْدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِدْرِيسِىُّ السَّمَرْقَنْدِىُّ الْحَافِظُ وَقَالَ لَا أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ[(٢)] ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ بِذَاكَ[(٣)] ، وَسُئِلَ عَنْ سِنِّهِ فَقَالَ : مِائَةٌ وَاثْنَتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ .

﴿ ٥١ — مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَعْرَابِىِّ[*] ﴾

محمد بن زياد

أَبُو عَبْدِ اللهِ ، كَانَ مَوْلًى لِبَنِى هَاشِمٍ لِأَنَّهُ مِنْ مَوَالِى الْعَبَّاسِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِىِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ أَبُوهُ زِيَادٌ عَبْدًا سِنْدِيًّا[(٤)] ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ الْمُشَارِ

---

(١) قال السيوطى : إن الشعر يؤيد أن اسمه محمد ، والأقرب أنه يريد فورجة . كأنه فورجة : أى تشبث بالأسنان (٢) أى عابوه وجرحوه (٣) أى وليس عندهم ممن يعول عليه ويعتمد على رأيه (٤) سنديا نسبة إلى السند : وهى بلاد بجهة الهند ، ويطلق أيضا هذا اللفظ على طائفة من الناس متاخمة للهند صفر الوجوه .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٤٠

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٤٢

إليهم في معرفتها نحويًا، لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه رواية لأشعار القبائل ناسبًا [١]، وكان ربيبًا [٢] للمفضل الضبي، سمع منه الدواوين وصححها، وأخذ عن الكسائي كتاب النوادر، وأخذ عن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود القاضي، وأخذ عنه إبراهيم الحربي، وأبو عكرمة الضبي، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وابن السكيت، وكانت طريقته طريقة الفقهاء والعلماء، وكان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب.

وقال أبو العباس ثعلب: قال لي ابن الأعرابي: أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد حمل جمل. وقال ثعلب: انتهى علم اللغة والحفظ إلى ابن الأعرابي، وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلًا ولا كثيرًا.

وقال ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول في كلمة رواها الأصمعي: سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي. وقال: شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء

(١) الناسب: من يعرف الأنساب، وهكذا كان ابن الأعرابي عالما بالنسب كما سيذكر هذا ياقوت (٢) الربيب: ابن الزوج من غير زوجته التي في فراشه، أو ابن الزوجة من غير زوجها التي هي في عصمته وطاعته.

مِائَةِ إِنْسَانٍ ، كُلٌّ يَسْأَلُهُ أَوْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيُجِيبُ مِنْ غَيْرِ كِتَابٍ . قَالَ : وَلَزِمْتُهُ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَا رَأَيْتُ بِيَدِهِ كِتَابًا قَطُّ ، وَمَا أَشُكُّ فِي أَنَّهُ أَمْلَى عَلَى النَّاسِ مَا يُحْمَلُ عَلَى أَجْمَالٍ ، وَلَمْ يُرَ أَحَدٌ فِي عِلْمِ الشِّعْرِ وَاللُّغَةِ أَغْزَرُ مِنْهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الشَّعْرَانِيُّ : كَانَ لِلنَّاسِ رُؤَسَاءُ ، كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَأْسًا فِي الْحَدِيثِ ، وَأَبُو حَنِيفَةَ رَأْسًا فِي الْقِيَاسِ ، وَالْكِسَائِيُّ رَأْسًا فِي الْقُرْآنِ ، فَلَمْ يَبْقَ الْآنَ رَأْسٌ فِي فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ أَكْبَرُ مِنَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فَإِنَّهُ رَأْسٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ مِمَّنْ وُسِمَ بِالتَّعْلِيمِ ، فَكَانَ يَأْخُذُ كُلَّ شَهْرٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَيُنْفِقُهَا عَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ ، وَتَمَاسَكَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ (١) بَعْدَ سُوءِ حَالِهِ . وَيُحْكَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبُو زِيَادٍ الْكِلَابِيُّ عَلَى الْجِسْرِ بِبَغْدَادَ ، فَسَأَلَ أَبُو زِيَادٍ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ

عَلَى ظَهْرِ مَنْبَاةٍ (٢)

فَقَالَ : النَّطْعُ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الطَّاءِ ، فَقَالَ أَبُو زِيَادٍ : النِّطَعُ

---

(١) أى كف وامتنع (٢) بقية المصراع : « جديد سيورها » جاء فى هامش كتاب طبقات الأدباء ما يأتى : قوله منبأة ، قال المجد : المنبأة ويكسر : النطع والشر والعيبة وقوله « ابن الأعرابى » بفتح النون الخ ، وعبارة القاموس النطع بالكسر والفتح والتحريك ، وكعنب : بساط من الأديم ، فقوله بالكسر والفتح أى النون ، وقوله بالتحريك : أى الطاء مع فتح النون . « عبد الخالق »

بكسر النون وفتح الطاء . فقال أبو عبد الله نعم . وإنما أنكر أبو زياد النطع بفتح النون وسكون الطاء لأنها لم تكن لغته ، ورأى ابن الأعرابى فى مجلسه يوما رجلين يتحدثان فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال من أسفيجاب ، وقال للآخر من أين أنت ؟ فقال من الأندلس ، فعجب من ذلك وأنشد

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا (١)
وقد يلتقى الشتى فيأتلفان

ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الأبيات الآتية

نزلنا على قيسية يمنية (٢) لها نسب فى الصالحين هجان (٣)
فقالت وأرخت جانب الستر بيننا
لأية أرض أم من الرجلان ؟ (٤)
فقلت لها : أما رفيقى فقومه تميم وأما أسرتى فيمانى
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا وقد يلتقى الشتى فيأتلفان

وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : اجتمع عندنا

---

(١) أى من قبيلتين متفرقتين ، وألف الدهر : جمع . (٢) أى على امرأة تنسب إلى قبيلة قيس عيلان ، واليمنية : منسوبة إلى اليمن . (٣) هجان : كريم حسيب ، مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فكما تقول : رجل هجان ، كذلك تقول امرأة هجان (٤) يريد لأية أرض تنتسبان .

أَبُو نصرٍ أَحْمَدُ بْنُ حاتِمٍ وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فتجاذبا الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ حَكَى أَبُو نصرٍ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ فَكَسَاهُ ثِيَابًا جُدُدًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِضَ لَهُ بِسُؤَالٍ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

كَسَاكَ وَلَمْ تَسْتَكْسِهِ فَاحْمَدَنَّهُ
أَخٌ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَنَاصِرُ

فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا
بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعِرْضُ وَافِرُ

فَأَنْشَدَ أَبُو نصرٍ قَافِيَةَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَيَاصِرُ بِالْيَاءِ يُرِيدُ وَيَعْطِفُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَنَاصِرُ بِالنُّونِ ، فَقَالَ دَعْنِي يَاهَذَا وَيَاصِرِي وَعَلَيْكَ بِنَاصِرِكَ . وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : غُنِّيَ فِي مَجْلِسِ الْوَاثِقِ بِشِعْرِ الْأَخْطَلِ :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادَمَنِي
لَا بِالْحَصُورِ (١) وَلَا فِيهَا بِسَوَّارِ

فَقِيلَ بِسَوَّارٍ وَبِسَئَّارٍ ، فَوَجَّهَ إِلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِسُرَّ مَنْ رَأَى فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : بِسَوَّارٍ يُرِيدُ بِوَثَّابٍ أَيْ لَا يَثِبُ عَلَى نُدَمَائِهِ ، وَبِسَئَّارٍ : أَيْ لَا يُفْضِلُ

(١) الحصور : الضيق الصدر

فِي القَدَحِ سُؤْرُهُ وَقَدْ رُوِيَا جَمِيعاً ، فَأَمَرَ لَهُ الْوَاثِقُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَحُكِيَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ رَوَى قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرُ عِرْقٍ لِمَعْشَرٍ
كِرَامٍ وَأَنَّا لَا نَحُطُّ عَلَى النَّمْلِ (١)

نَحُطُّ بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَقَالَ مَعْنَاهُ : إِنَّا لَا نَحُطُّ عَلَى بُيُوتِ النَّمْلِ لِنُصِيبَ مَا جَمَعُوهُ (٢) وَهَذَا تَصْحِيفٌ ، وَإِنَّمَا الرِّوَايَةُ لَا نَخُطُّ عَلَى النَّمْلِ وَاحِدَتُهَا نَمْلَةٌ ، وَهِيَ قَرْحَةٌ تَخْرُجُ بِالْجَنْبِ تَزْعُمُ الْمَجُوسُ أَنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ مِنْ أُخْتِهِ ثُمَّ خَطَّ عَلَى النَّمْلَةِ شُفِيَ صَاحِبُهَا ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا لَسْنَا بِمَجُوسٍ نَنْكِحُ الْأَخَوَاتِ . وَعَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شُجَاعٍ فَبَعَثَ غُلَامَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ يَسْأَلُهُ الْمَجِيءَ إِلَيْهِ فَعَادَ إِلَيْهِ الْغُلَامُ فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتُهُ ذَلِكَ فَقَالَ لِي : عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَإِذَا قَضَيْتُ أَرَبِي

---

(١) العرق : الأصل ، راجع كتاب التصحيف للعسكرى ص ٧٩ وروايته : غير أنا لمعشر بزيادة « أنا » ، والبيت من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، فهو ينفى العيب نفيا باتا ، إلا أنهم ينتسبون لمعشر كرام إن كان ذلك ذما وهو ليس كذلك ، فهم إذا لا عيب فيهم مطلقا ، وهذا إن كان فيه تصحيف كما يقول العسكرى ، وكذلك على الرواية الأخرى . (٢) تفسيره فى كتاب التصحيف : ننزل بأعلى المنزلة فلا يجترفنا السيل ، ولا نحط على قرى النمل إذا كانت فى البطون . « عبد الخالق »

مَعَهُمْ أَتيتُ . قالَ الغُلامُ : وَما رَأَيْتُ عِنْدَهُ أَحَداً إِلَّا أَنِّى رَأَيتُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُتُباً يَنظرُ فِيها، فَيَنْظرُ فِى هذا مَرَّةً وَفِى هذا مَرَّةً، ثُمَّ ماشَعَرْنا حَتَّى جاءَ فَقالَ لَهُ أَيُّوبُ : إِنَّهُ ما رَأَى عِنْدَكَ أَحَداً وَقَدْ قُلْتَ لَهُ أَنا مَعَ قَوْمٍ مِنَ الأَعْرابِ ، فإِذا قَضَيْتُ أَرَبِى مَعَهُمْ أَتيتُ فَأَنْشَدَ :

لَنا جُلَساءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْباً وَمَشْهَدا

يُفِيدُونَنا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَعَقْلاً وَتَأْدِيباً وَرَأْياً مُسَدَّدا

فَلا فِتْنَةً نَخْشَى وَلَا سُوءَ عِشْرَةٍ وَلا نَتَّقِى مِنْهُمْ لِسَاناً وَلا يَدا

فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَمَا أَنْتَ كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدا (١)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ : سَأَلْتُ أَبا عَبْدِ اللهِ بْنَ الأَعْرابِىِّ فِى مَجْلِسٍ وَاحِدٍ عَنْ بِضْعَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً مِنْ شِعْرِ الطِّرِمَّاحِ يَقُولُ فِى كُلِّها لا أَدْرِى وَلَمْ أَسْمَعْ ، أَفَأُحَدِّثُ لَكَ بِرَأْيِى ؟ وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : سَمِعْتُ ابْنَ الأَعْرابِىِّ يَقُولُ : مَنْ لا قَبُولَ عَلَيْهِ فَلا حَيَاةَ لِأَدَبِهِ . وَقالَ : ما رَأَيْتُ قَوْماً

(١) المفند : الذى يكذب .

أَكْذَبَ عَلَى اللُّغَةِ مِنْ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ. وَاغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَهُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ لَهُ : لَوْ لَمْ تَقُلْ فِينَا مَا قُلْتَ عِنْدَنَا فَلَا تَجْلِسَنَّ إِلَيْنَا. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ كِتَابُ النَّوَادِرِ وَهُوَ كَبِيرٌ ، كِتَابُ الْأَنْوَاءِ . كِتَابُ صِفَةِ النَّخْلِ ، كِتَابُ صِفَةِ الزَّرْعِ ، كِتَابُ الْخَيْلِ ، كِتَابُ النَّبْتِ وَالْبَقْلِ ، كِتَابُ نَسَبِ الْخَيْلِ ، كِتَابُ تَارِيخِ الْقَبَائِلِ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ النَّبَاتِ ، كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ ، كِتَابُ صِفَةِ الدِّرْعِ ، كِتَابُ الْأَلْفَاظِ ، كِتَابُ نَوَادِرِ الزُّبَيْرِيِّينَ ، كِتَابُ نَوَادِرِ بَنِي فَقْعَسَ [(1)] ، كِتَابُ الذُّبَابِ وَغَيْرُ ذَلِكَ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : سَمِعْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : وُلِدْتُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَبُو حَنِيفَةَ . وَقَالَ أَبُو غَالِبٍ عَلِيُّ بْنُ النَّضْرِ : تُوُفِّيَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقِيلَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي خِلَافَةِ الْوَاثِقِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ قَاضِي الْقُضَاةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ الْإِيَادِيُّ .

---

(١) فى الأصل « فتعص » وصوابها « فقعس » وهى قبيلة ، قال فى القاموس : فقعس بن طريف أبو حى من أسد ، علم مرتجل قياسى . «عبد الخالق»

﴿٥٢ — مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَسْلَمَةَ *﴾

أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي الشَّمْلَيْنِ ، لَا أَعْرِفُ مِنْ حَالِهِ إِلَّا مَا قَرَأْتُهُ فِي كِتَابِ أَدَبِ الْمَرِيضِ وَالْعَائِدِ لِأَبِي شُجَاعٍ الْبِسْطَامِيِّ قَالَ : كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سَمْعُونَ النَّرْسِيُّ الْحَافِظُ بِخَطِّهِ وَأَذِنَ لَنَا فِي رِوَايَتِهِ عَنْهُ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . أَنْشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَسْلَمَةَ النَّحْوِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ وَالسِّيرَافِيُّ قَالَا : أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ السَّرَّاجُ قَالَ : عُدْنَا أَبَا الْحَسَنِ ابْنَ الرُّومِيِّ فِي مَرَضِهِ فَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ :

محمد بن زيد ابن مسلمة

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مَآ رِبِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَداً حَدِيثُ

﴿٥٣ — مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ *﴾

أَبُو بَكْرِ بْنُ السَّرَّاجِ الْبَغْدَادِيُّ النَّحْوِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : كَانَ أَحْدَثَ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ مَعَ ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ ، قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْمُوسِيقَى فَسُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ بِحَضْرَةِ الزَّجَّاجِ فَأَخْطَأَ فِي جَوَابِهَا فَوَبَّخَهُ الزَّجَّاجُ

محمد بن السرى بن سهل

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَقَالَ : مِثْلُكَ يُخْطِئُ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؟ وَاللّٰهِ لَوْ كَانَتْ فِي مَنْزِلِي لَضَرَبْتُكَ ، وَلٰكِنَّ الْمَجْلِسَ لَا يَحْتَمِلُ ذٰلِكَ . فَقَالَ : قَدْ ضَرَبْتَنِي يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، وَكَانَ عِلْمُ الْمُوسِيقَى قَدْ شَغَلَنِي عَنْ هٰذَا الشَّأْنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَنَظَرَ فِي دَقَائِقِهِ ، وَعَوَّلَ عَلَى مَسَائِلِ الْأَخْفَشِ وَالْكُوفِيِّينَ ، وَخَالَفَ أُصُولَ الْبَصْرِيِّينَ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ . وَيُقَالُ : مَا زَالَ النَّحْوُ مَجْنُونًا حَتَّى عَقَلَهُ ابْنُ السَّرَّاجِ بِأُصُولِهِ (١) ، وَكَانَ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِينَ وَأَئِمَّةِ النَّحْوِ الْمَشْهُورِينَ ، وَإِلَيْهِ انْتَهَتِ الرِّيَاسَةُ فِي النَّحْوِ بَعْدَ الْمُبَرِّدِ .

وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِيُّ ، وَأَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ .

وَيُحْكَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ هُوَ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ وَإِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فِي بُسْتَانٍ وَكَانَ فِيهِ دُولَابٌ (٢) ، فَعَنَّ لَهُمْ أَنْ يَعْبَثُوا بِإِدَارَتِهَا (٣) فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذٰلِكَ ، فَالْتَفَتَ أَحَدُهُمْ وَقَالَ :

---

(١) يريد أنه كان كالحيوان الشارد لبعثرته وعدم ضبطه حتى عقله ابن السراج ، أى جمعه وضمه بكتابه : الأصول (٢) الدولاب : المنجنون تديره الدابة ليستق منه الماء . ويطلق الدولاب عند المولدين : على كل آلة تدور على محور من خشب أو غيره . « مثل الساقية الخشب والحديد والتابوت » وغير ذلك . (٣) عن الخ : أى ظهر وبدا ، أن يعبثوا : أن يلهوا ويلعبوا .

أَمَا تَسْتَحْيُونَ؟ مُقْرِئُ الْبَلَدِ وَنَحْوِيُّهُ وَقَاضِيهِ لَا يَجِيءُ مِنْهُمْ نُورٌ.

وَحُكِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ السَّرَّاجِ كَانَ يَهْوَى جَارِيَةً نَجْفَتْهُ، فَاتَّفَقَ وُصُولُ الْإِمَامِ الْمُكْتَفِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ مِنَ الرَّقَّةِ (١) فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِرُؤْيَتِهِ، فَلَمَّا شَاهَدَ أَبُو بَكْرٍ جَمَالَ الْمُكْتَفِي تَذَكَّرَ جَمَالَ مَعْشُوقَتِهِ وَجَفَاءَهَا لَهُ، فَأَنْشَدَ بِحَضْرَةِ أَصْحَابِهِ:

مَيَّزْتُ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفِعَالِهَا … فَإِذَا الْمَلَاحَةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَفِي
حَلَفَتْ لَنَا (٢) أَلَّا تَخُونَ عُهُودَنَا … فَكَأَنَّمَا حَلَفَتْ لَنَا أَلَّا تَفِي
وَاللَّهِ لَا كَلَّمْتُهَا وَلَوَ انَّهَا … كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمُكْتَفِي

ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَنْجِيٍّ الْكَاتِبَ أَنْشَدَهَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْفُرَاتِ وَقَالَ هِيَ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ، وَأَنْشَدَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ لِلْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْوَزِيرِ، فَاجْتَمَعَ الْوَزِيرُ بِالْمُكْتَفِي

---

(١) الرقة: هى كل أرض بجانب واد ينبسط عليها الماء أيام المد ثم ينضب وهذا فى اللغة، ومدينة مشهورة على نهر الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. (٢) فى الأصل: «سالفت» يؤيد صلاحها بما ذكر بقية البيت، على أنه يمكن أن يقال: سلفت لنا يمينا: يريد تقدمت لنا بها.

وَأَنْشَدَهَا إِيَّاهُ[1] وَقَالَ لِلْمُكْتَفِى: هِىَ لِعُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ طَاهِرٍ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَوَصَلَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ زَنْجِىّ: مَا أَعْجَبَ هَذِهِ الْقِصَّةَ، يَعْمَلُ أَبُو بَكْرِ بْنُ السَّرَّاجِ أَبْيَاتًا تَكُونُ سَبَبًا لِوُصُولِ الرِّزْقِ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ!.

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ النَّحْوِىُّ: تُوُفِّىَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ السَّرَّاجِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِى خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ. وَلَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ: كِتَابُ الْأُصُولِ وَهُوَ أَحْسَنُهَا وَأَكْبَرُهَا وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ عِنْدَ اضْطِرَابِ النَّقْلِ وَاخْتِلَافِهِ جَمَعَ فِيهِ أُصُولَ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذَ مَسَائِلَ سِيبَوَيْهِ وَرَتَّبَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ، وَكِتَابُ جُمَلِ الْأُصُولِ وَهُوَ الْأُصُولُ الصَّغِيرُ، وَشَرْحُ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ، وَالْمُوجَزُ، وَكِتَابُ الِاشْتِقَاقِ لَمْ يَتِمَّ، كِتَابُ الرِّيَاحِ وَالْهَوَاءِ وَالنَّارِ، كِتَابُ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، كِتَابُ الْجُمَلِ، كِتَابُ احْتِجَاجِ الْقُرَّاءِ، كِتَابُ الْخَطِّ، كِتَابُ الْمُوَاصَلَاتِ وَالْمُذَكَّرَاتِ، كِتَابُ الْهِجَاءِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَحَكَى الرُّمَّانِىُّ قَالَ: ذُكِرَ كِتَابُ الْأُصُولِ بِحَضْرَتِهِ فَقَالَ قَائِلٌ: هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْمُقْتَضَبِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا تَقُلْ هَكَذَا وَأَنْشَدَ:

---

(١) فى الأصل: «وأنشده» تحريف.

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً
بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَا
بُكَاهَا (١) فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وَقَالَ أَبُوعَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ (٢) : جِئْتُ لِأَسْمَعَ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَحَمَلْتُ إِلَيْهِ مَا حَمَلْتُ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ الْكِتَابُ عَسُرَ عَلَيَّ إِتْمَامُهُ فَانْقَطَعْتُ عَنْهُ لِتَمَكُّنِي مِنْ مَسَائِلِهِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي بَعْدَ مُدَّةٍ : إِذَا عُدْتُ إِلَى فَارِسَ وَسُئِلْتُ عَنْ إِتْمَامِهِ فَإِنْ قُلْتُ نَعَمْ كَذَبْتُ، وَإِنْ قُلْتُ لَا بَطَلَتِ الرِّوَايَةُ ، فَدَعَتْنِي الضَّرُورَةُ أَنْ حَمَلْتُ إِلَيْهِ رُزْمَةً وَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَبْصَرَنِي مِنْ بَعِيدٍ أَنْشَدَ :

كَمْ قَدْ تَجَرَّعْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ
لَكِنْ تَجَدُّدُ وَجْدِي هَوَّنَ الْمَاضِي

وَكَمْ غَضِبْتُ وَلَمْ يَلْوُوا (٣) عَلَى غَضَبِي
فَعُدْتُ طَوْعًا بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي

﴿ ٥٤ — مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدَانَ الضَّرِيرُ * ﴾

محمد بن سعدان الضرير

أَبُو جَعْفَرٍ الْكُوفِيُّ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى

---

(١) هيج الخ : أثار ، وبعث بكاها البكاء لى فقال : الفضل لها لا لى .

(٢) هذه الحكاية تقدمت فى ترجمة أبى على الفارسى . (٣) يلووا : يقفوا وينظروا .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات القراء ج ثان ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ، وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ وَكَانَ ثِقَةً، وَكَانَ يَقْرَأُ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ فَفَسَدَ عَلَيْهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ نَحْوِيًّا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَخَذَ ابْنُ سَعْدَانَ الْقِرَاءَاتِ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَنَظَرَ فِي الِاخْتِلَافِ وَكَانَ ذَا عِلْمٍ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ، وَكِتَابًا فِي الْقِرَاءَاتِ.

قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: مَاتَ يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْوَاثِقِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ، وَلَهُ وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَقَالَ الدَّانِيُّ فِي طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ: أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَرْضًا عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عِيسَى عَنْ حَمْزَةَ، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ الْيَزِيدِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسَيَّبِيِّ عَنْ نَافِعٍ وَعَنْ مُعَلَّى ابْنِ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَاصِمٍ، وَرَوَى عَنْهُ الْقِرَاءَةَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ وَاصِلٍ وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ أَصْحَابِهِ وَأَثْبَتِهِمْ لَهُ.

﴿ ٥٥ — مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ وَيُقَالُ ابْنُ سَعِيدٍ الرَّبَاحِيُّ * ﴾

محمد بن سعد الرباحى

بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْأَعْرَجُ الطُّلَيْطُلِيُّ الْخَطِيبُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، أَصْلُه مِنْ قَلْعَةِ رَبَاحٍ مِنْ أَعْمَالِ طُلَيْطُلَة بِالْأَنْدَلُسِ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَسَمِعَ بِمِصْرَ ابْنَ الْوَرْدِ وَابْنَ السَّكَنِ وَحَدَّثَ وَأَفَادَ ،مَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

﴿ ٥٦ — مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ * ﴾

محمد بن سعيد الموصلى

أَبُو جَعْفَرٍ الْبَصِيرُ الْمَوْصِلِيُّ الْعَرُوضِيُّ النَّحْوِيُّ ، كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ مُعْجَباً بِهِ ، وَكَانَ فِي النَّحْوِ ذَا قَدَمٍ ثَابِتَةٍ ، اجْتَمَعَ يَوْماً مَعَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ عِنْدَ أَبِي بَكْرِ بْنِ شُقَيْرٍ فَقَالَ لِأَبِي عَلِيٍّ : فِي أَيِّ شَيْءٍ تَنْظُرُ يَا فَتَى ؟ فَقَالَ فِي التَّصْرِيفِ ، فَجَعَلَ يُلْقِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَسَائِلِ عَلَى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ حَتَّى ضَجِرَ ، فَهَرَبَ أَبُو عَلِيٍّ مِنْهُ إِلَى النَّوْمِ وَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ النَّوْمَ . فَقَالَ : هَرَبْتَ يَا فَتَى ؟ فَقَالَ : نَعَمْ هَرَبْتُ ، وَكَانَ ذَكِيًّا فَهِماً (١) — لَهُ فِي الشِّعْرِ رُتْبَةٌ عَالِيَةٌ — إِمَاماً فِي اسْتِخْرَاجِ

---

(١) الفهم : الكثير الفهم

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

المُعَمَّى (١) وَالعَرُوضِ ، قَالَ لَهُ الزَّجَّاجُ يَوْمًا وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ العَرُوضِ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، لَوْ رَآكَ الخَلِيلُ لَفَرِحَ بِكَ ، قَرَأَ عَلَيْهِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الأَسَدِيُّ النَّحْوِيُّ وَغَيْرُهُ .

﴿ ٥٧ — مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَالِمٍ الْجُمَحِيُّ * ﴾

محمد بن سلام الجمحى

الْبَصْرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ (٢) ، وَلَهُ غَرِيبُ الْقُرْآنِ ، وَأَخَذَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ (٣) وَمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ وَجَمَاعَةٍ . وَرَوَى عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَابْنُهُ عَبْدُ اللهِ وَأَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ .

قَالَ أَبُو خَلِيفَةَ : ابْيَضَّتْ لِحْيَةُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ وَرَأْسُهُ وَلَهُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ شَبَّةَ : حَدَّثَنَا جَدِّي قَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ لَهُ عِلْمٌ بِالشِّعْرِ وَالْأَخْبَارِ وَهُمَا مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ .

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ : قَدِمَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاعْتَلَّ عِلَّةً شَدِيدَةً فَمَا تَخَلَّفَ عَنْهُ أَحَدٌ ، وَأَهْدَى لَهُ الْأَجِلَّاءُ أَطِبَّاءَهُمْ ، فَكَانَ ابْنُ مَاسَوَيْهِ

---

(١) المعمى : المبهم والمشكل الذى يحتاج إلى بحث وتنقير (٢) بالأصل : « الشعر » تحريف (٣) فى الأصل « ابن مسلمة » تحريف

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَسَّهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : لَا أَرَى بِكَ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَرَى بِكَ مِنَ الْجَزَعِ . فَقَالَ : وَاللهِ مَا ذَاكَ عَلَى الدُّنْيَا مَعَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً [1] ، وَلَكِنِ الْإِنْسَانُ فِي غَفْلَةٍ حَتَّى يُوقَظَ بِعِلَّةٍ . فَقَالَ ابْنُ مَاسَوَيْهِ : لَا تَجْزَعْ فَقَدْ رَأَيْتُ فِي عِرْقِكَ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ مَا إِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْعَوَارِضِ [2] بَلَّغَكَ عَشْرَ سِنِينَ . قَالَ ابْنُ فَهْمٍ : فَوَافَقَ كَلَامُهُ قَدَرًا [3] ، فَعَاشَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ سِنِينَ . وَتُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْوَاثِقُ وَبُويِعَ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ . وَقَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ : تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

﴿ ٥٨ — مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَغْدَادِيُّ * ﴾

محمد بن سليمان البغدادي

ابْنِ قَطَرْمَشَ بْنِ تُرْكَانَ شَاهَ أَبُو نَصْرٍ ، الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ السَّمَرْقَنْدِيُّ الْأَصْلِ ، النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ الْأَدِيبُ ، أَحَدُ أُدَبَاءِ عَصْرِنَا ، وَأَعْيَانِ أُولِي الْفَضْلِ بِمِصْرِنَا ، تَجَمَّعَتْ فِيهِ أَشْتَاتُ الْفَضَائِلِ ، وَقَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ بِنَصِيبٍ وَافِرٍ ،

(١) وفى طبقات الأدباء « اثنتين وثمانين » (٢) العوارض جمع عارض : وهى التى تعرض للانسان فى أيام حياته ، أى الطوارىء من المرض وغيره (٣) قدراً : أى قضاء وفق ما فى علم الله القديم .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، وترجم له فى كتاب فوات الوفيات وقال : محمد بن سليمان بن قتلمس

وَهُوَ مِنْ بَيْتِ الْإِمَارَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَاسِطَةُ [١] فِى حَلِّ إِقْلِيدِسَ وَعِلْمِ الْهَنْدَسَةِ مَعَ اخْتِصَاصِهِ التَّامِّ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَأَخْبَارِ الْأُمَمِ وَالْأَشْعَارِ ، خَلَّفَ لَهُ وَالِدُهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً فَضَيَّعَهَا فِى الْقِمَارِ وَاللَّعِبِ بِالنَّرْدِ [٢] ، حَتَّى احْتَاجَ إِلَى الْوِرَاقَةِ [٣] فَكَانَ يُوَرِّقُ بِأُجْرَةٍ بِخَطِّهِ الْمَلِيحِ الصَّحِيحِ الْمُعْتَبَرِ ، فَكَتَبَ كَثِيراً مِنَ الْكُتُبِ حَتَّى ذُكِرَ لِلْإِمَامِ النَّاصِرِ فَوَلَّاهُ حَاجِبَ الْحُجَّابِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِى رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ فِى رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَهُ شِعْرٌ رَائِقٌ فَمِنْ ذَلِكَ :

لَا وَالَّذِى سَخَّرَ قَلْبِى لَهَا [٤] عَبْداً كَمَا سَخَّرَنِى قَلْبُهَا
مَا فَرَحِى فِى حُبِّهَا غَيْرَ أَنْ زَيَّنَ عِنْدِى هَجْرَهَا قَلْبُهَا

﴿ ٥٩ مُحَمَّدُ بْنُ طُوَيْسٍ الْقَصْرِىُّ [٥] * ﴾

محمد بن طويس القصرى

أَبُو الطَّيِّبِ ، هُوَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ الْمُعْتَزِلَةِ ، أَحَدُ تَلَامِيذِ

(١) أى المقدرة التامة (٢) القمار مصدر قامر : وهو كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب شيئا من المغلوب ، سواء كان بالورق أم بغيره . والنرد : شىء معروف يلعب به ، وهو من وضع أردشير ابن بابك من ملوك الفرس ، ولهذا أضيف إليه فقيل : « النردشير » فارسى معرب وهو المعروف الآن « بالطاولة » . (٣) الوراقة بكسر الواو : حرفة الوراق ، والوراق : صاحب الورق وصانعه ، والذى يورق ويكتب .

(٤) سخر إلخ : ذلله وجعله منقاداً لها (٥) نسبة إلى قصر ابن هبيرة ، وفى معجم البلدان ج ٧ ص ١١٣ أن اسمه محمد بن طوس القصرى فليتأمل .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ ، أَمْلَى عَلَيْهِ المَسَائِلَ القَصْرِيَّاتِ وَبِهِ سُمِّيَتْ ، وَأَظُنُّهُ مِنْ قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ مِنْ نَوَاحِي الكُوفَةِ ، وَقَرَأْتُ فِي المُفَاوَضَةِ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ حَدَثًا كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ يَتَعَشَّقُهُ وَيَخُصُّهُ بِالطُّرَفِ وَيَحْرِصُ عَلَى الإِمْلَاءِ عَلَيْهِ وَالالْتِفَاتِ إِلَيْهِ ، مَاتَ شَابًّا .

﴿ ٦٠ — مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدَانَ الدُّلَفِيُّ العِجْلِيُّ * ﴾

محمد بن حمدان الدلفى

أَبُو الحَسَنِ النَّحْوِيُّ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيٍّ الرُّمَّانِيِّ كَانَ نَحْوِيًّا فَاضِلًا بَارِعًا ، شَرَحَ دِيوَانَ المُتَنَبِّي وَمَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ٦١ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَادِمٍ * ﴾

محمد بن عبد الله ابن قادم

أَبُو جَعْفَرٍ النَّحْوِيُّ ، كَانَ حَسَنَ النَّظَرِ فِي عِلَلِ النَّحْوِ ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَ سَعِيدِ بْنِ قُتَيْبَةَ البَاهِلِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ الفَرَّاءِ وَأَخَذَ عَنْهُ ثَعْلَبٌ . حُكِيَ عَنْهُ قَالَ : وَجَّهَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ المُصْعَبِيُّ يَوْمًا فَأَحْضَرَنِي وَلَمْ أَدْرِ مَا السَّبَبُ ، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْ مَجْلِسِهِ تَلَقَّانِي مَيْمُونُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كَاتِبُهُ عَلَى الرَّسَائِلِ وَهُوَ عَلَى غَايَةِ الهَلَعِ وَالجَزَعِ ، فَقَالَ لِي بِصَوْتٍ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

خَفِيٍّ : إِنَّهُ إِسْحَاقُ ، وَمَرَّ غَيْرَ مُتَلَبِّثٍ (١) حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَجْلِسِ إِسْحَاقَ فَرَاعَنِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لِي : كَيْفَ يُقَالُ : وَهَذَا الْمَالُ مَالٌ أَوْ هَذَا الْمَالُ مَالًا ؟ قَالَ : فَعَلِمْتُ مَا أَرَادَ مَيْمُونٌ ، فَقُلْتُ : الْوَجْهُ مَالٌ ، وَيَجُوزُ مَالًا ، فَأَقْبَلَ إِسْحَاقُ عَلَى مَيْمُونٍ يُغَلِّظُهُ وَقَالَ : الْزَمِ الْوَجْهَ فِي كُتُبِكَ وَدَعْنَا مِنْ يَجُوزُ وَيَجُوزُ وَرَمَى بِكِتَابٍ كَانَ فِي يَدِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنِ الْخَبَرِ ، فَإِذَا مَيْمُونٌ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ — وَهُوَ بِبِلَادِ الرُّومِ عَنْ إِسْحَاقَ وَذَكَرَ مَالًا حَمَلَهُ إِلَيْهِ — وَهَذَا الْمَالُ مَالًا . فَخَطَّ الْمَأْمُونُ عَلَى الْمَوْضِعِ مِنَ الْكِتَابِ وَوَقَّعَ بِخَطِّهِ عَلَى الْحَاشِيَةِ : تُخَاطِبُنِي بِلَحْنٍ ؟ فَقَامَتِ الْقِيَامَةُ عَلَى إِسْحَاقَ ، فَكَانَ مَيْمُونٌ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : لَا أَدْرِي كَيْفَ ابْنُ قَادِمٍ أَبْقَى عَلَى رُوحِي وَنِعْمَتِي .

وَحُكِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ بُهْلُولٍ : أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَخُوهُ بَغْدَادَ فَدَارَ عَلَى الْحِلَقِ (٢) يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَوَقَفَ عَلَى رَجُلٍ يَتَلَهَّبُ ذَكَاءً وَيُجِيبُ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ مَسَائِلِ الْأَدَبِ وَالْقُرْآنِ فَقُلْنَا : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا ثَعْلَبٌ ، فَبَيْنَ نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ وَرَدَ شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا فَقَالَ لِأَهْلِ الْحَلْقَةِ :

(١) غير متلبث : أى غير متوقف ولا مبطىء . (٢) كانت فى الأصل : « الخلق » بالخاء المعجمة ، والحلق بفتح اللام جمع حلقة .

أَفْرِجُوا لِلشَّيْخِ فَأَفْرَجُوا لَهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ ، ثُمَّ إِنَّ سَائِلًا سَأَلَ ثَعْلَبًا عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: قَالَ الرُّؤَاسِيُّ فِيهَا كَذَا ، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ كَذَا ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ كَذَا ، وَقَالَ هِشَامٌ كَذَا ، وَقُلْتُ أَنَا كَذَا ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : لَا أَرَانِي أَعْتَقِدُ فِيهَا إِلَّا جَوَابَكَ ، فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي بَلَّغَنِي فِيكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ . فَقُلْنَا: مَنْ هَذَا الشَّيْخُ ؟ فَقِيلَ : أُسْتَاذُهُ ابْنُ قَادِمٍ ، وَكَانَ ابْنُ قَادِمٍ يُعَلِّمُ الْمُعْتَزَّ قَبْلَ الْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا وُلِّيَ بَعَثَ إِلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ أَلَيْسَ هُوَ بِبَغْدَادَ يَعْنِي الْمُسْتَعِينَ ؟ فَقَالُوا : لَا وَقَدْ وَلِيَ الْمُعْتَزُّ ، وَكَانَ قَدْ حَقَدَ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ تَأْدِيبِهِ لَهُ ، فَخَشِيَ مِنْ بَادِرَتِهِ [1] ، فَقَالَ لِعِيَالِهِ : عَلَيْكُمُ السَّلَامُ ، فَخَرَجَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِمْ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : الْكَافِي فِي النَّحْوِ ، الْمُخْتَصَرُ فِيهِ أَيْضًا ، وَكِتَابُ غَرَائِبِ الْحَدِيثِ .

﴿ ٦٢ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ * ﴾

محمد بن عبد الله المرسى

أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمُرْسِيُّ السَّلَمِيُّ ، شَرَفُ الدِّينِ الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ ، الْمُفَسِّرُ الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ أَحَدُ أُدَبَاءِ عَصْرِنَا ، أَخَذَ مِنَ النَّحْوِ

(١) أى من الحدة فى الغضب من قول أو فعل من غير روية .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَالشِّعْرِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ، وَضَرَبَ فِيهِ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ، وَخَرَّجَ التَّخَارِيجَ، وَتَكَلَّمَ عَلَى الْمُفَصَّلِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ عِدَّةَ مَوَاضِعَ بَلَغَنِي أَنَّهَا سَبْعُونَ مَوْضِعاً أَقَامَ عَلَى خَطَئِهَا الْبُرْهَانَ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى سُقْمِهَا بِبَيَانٍ، وَلَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفَ، خَرَجَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّمَائَةٍ، وَدَخَلَ مِصْرَ وَسَارَ إِلَى الْحِجَازِ وَدَخَلَ مَعَ قَافِلَةِ الْحُجَّاجِ (١) إِلَى بَغْدَادَ، وَأَقَامَ بِهَا يَسْمَعُ وَيَقْرَأُ الْفِقْهَ وَالْخِلَافَ وَالْأَصْلَيْنِ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَرَحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ وَوَصَلَ إِلَى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ، وَسَمِعَ بِنَيْسَابُورَ وَهَرَاةَ وَمَرْوَ، وَلَقِيَ الْمَشَايِخَ وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَقَامَ بِحَلَبَ وَدِمَشْقَ وَرَأَيْتُهُ بِالْمَوْصِلِ، ثُمَّ حَجَّ وَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ عَلَى الْإِقْرَاءِ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ وَأَنَا بِهَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمَائَةٍ وَلَزِمَ النُّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالِانْقِطَاعَ.

أَخْبَرَنِي أَنَّ مَوْلِدَهُ بِمُرْسِيَةَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ، وَأَنَّهُ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ غَلْبُونَ وَغَيْرِهِ، وَالنَّحْوَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ شَرِيكٍ الدَّانِيِّ، وَالطَّيِّبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الطَّيِّبِ النَّحْوِيِّ، وَالشَّلَوْبِينِيِّ، وَتَاجِ الدِّينِ الْكِنْدِيِّ، وَالْأُصُولَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ دُقْمَاقٍ وَالْعَمِيدِيِّ، وَالْخِلَافَ عَلَى مُعِينِ الدِّينِ الْجَاجَرْمِيِّ،

(١) القافلة مؤنث القافل: الرفقة الراجعة والمبتدئة بالسفر تفاؤلا بالرجوع. قال الأزهري: والعرب تسمي الناهضين للغزو قافلة تفاؤلا بقفولهم، والجمع قوافل.

وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ بِوَاسِطَ مِنِ ابْنِ عَبْدِ السَّمِيعِ ، وَمِنِ ابْنِ الْمَانْدَائِيِّ وَمَشْيَخَتِهِ ، وَبِهَمَذَانَ مِنْ جَمَاعَةٍ ، وَبِنَيْسَابُورَ صَحِيحَ مُسْلِمٍ مِنَ الْمُؤَيَّدِ الطُّوسِيِّ وَجُزْءًا مِنِ ابْنِ نُجَيْدٍ ، وَمِنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْفَرَاوِيِّ ، وَأُمِّ الْمُؤَيَّدِ زَيْنَبَ بِنْتِ الشَّعْرِيِّ ، وَبِهَرَاةَ مِنِ ابْنِ رَوْحٍ الْهَرَوِيِّ ، وَبِمَكَّةَ مِنَ الشَّرِيفِ يُونُسَ بْنِ يَحْيَى الْهَاشِمِيِّ ، وَكَانَ نَبِيلًا ضَرِيرًا يَحُلُّ بَعْضَ مُشْكِلَاتِ إِقْلِيدِسَ ، وَحَدَّثَ بِكِتَابِ السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْفَرَاوِيِّ ، وَبِكِتَابِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْخَطَّابِيِّ ، صَنَّفَ الضَّوَابِطَ النَّحْوِيَّةَ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْإِمْلَاءَ عَلَى الْمُفَصَّلِ ، وَتَفْسِيرًا لِلْقُرْآنِ سَمَّاهُ رِيَّ الظَّمْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ كَبِيرٌ جِدًّا قَصَدَ فِيهِ ارْتِبَاطَ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَكِتَابًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَالدِّينِ ، وَكِتَابًا فِي الْبَدِيعِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَلَهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْأَوْسَطُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الصَّغِيرُ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، وَمُخْتَصَرُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَالْكَافِي فِي النَّحْوِ ، وَتَعْلِيقٌ عَلَى الْمُوَطَّإِ وَتَعَالِيقُ أُخْرَى ، وَكَانَ كَثِيرَ الشُّيُوخِ وَالسَّمَاعِ . وَحَدَّثَ بِالْكَثِيرِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ ، وَكَانَتْ لَهُ كُتُبٌ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَتَنَقَّلُ فِيهَا بِحَيْثُ لَا يَسْتَصْحِبُ كُتُبًا فِي سَفَرِهِ اكْتِفَاءً بِمَا لَهُ مِنَ الْكُتُبِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي

يُسافِرُ إِلَيْهِ، وَلَهُ النَّظْمُ الرَّائِقُ، وَالنَّثْرُ الفَائِقُ، فَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْغَبُ فِي النَّجَاةِ فَمَا لَهُ
غَيْرُ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى فِيمَا أَتَى
ذَاكَ السَّبِيلُ الْمُسْتَقِيمُ وَغَيْرُهُ
سُبُلُ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالرَّدَى
فَاتْبَعْ كِتَابَ اللهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
صَحَّتْ فَذَاكَ إِذَا اتَّبَعْتَ هُوَ الْهُدَى
وَدَعِ السُّؤَالَ بِكَمْ وَكَيْفَ فَإِنَّهُ
بَابٌ يَجُرُّ ذَوِي الْبَصِيرَةِ لِلْعَمَى
أَلدِّينُ مَا قَالَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُمْ قَفَا

وَقَالَ أَيْضاً:

قَالُوا فُلَانٌ قَدْ أَزَالَ بَهَاءَهُ ذَاكَ الْعِذَارُ وَكَانَ بَدْرَ تَمَامِ
فَأَجَبْتُهُمْ: بَلْ زَادَ نُورَ بَهَائِهِ
وَلِذَا تَضَاعَفَ فِيهِ فَرْطُ غَرَامِي
إِسْتَقْصَرَتْ أَلْحَاظُهُ فَتَكَاتِهَا فَأَتَى الْعِذَارُ يَمُدُّهَا بِسِهَامِ

وَقَالَ:

قَالُوا مُحَمَّدُ قَدْ كَبِرْتَ وَقَدْ أَتَى
دَاعِي الْمَنُونِ وَمَا اهْتَمَمْتَ بِزَادِ

قلتُ: الكريمُ منَ القبيحِ لِضيفِهِ
عِنْدَ القُدومِ مجيئُه بالزّادِ (١)

﴿٦٣ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى *﴾

محمد بن عبد الله الكرمانى

أبُو عبدِ اللهِ الكرْمانيُّ النّحْويُّ الوَرّاقُ ، كانَ عالماً فاضِلاً عارِفاً بالنّحْوِ واللُّغَةِ ، مَليحَ الخَطِّ صحيحَ النّقْلِ يُورِّقُ بالأُجْرَةِ ، قرأَ على ثَعْلبٍ وخَلطَ المَذْهبَيْنِ ، ولَهُ مِنَ الكُتُبِ : المُوجزُ في النّحْوِ ، وكِتابٌ آخرُ فيهِ لَمْ يَتِمّ ، والجامعُ في اللُّغَةِ ذكَرَ فيهِ ما أغْفلَهُ الخَليلُ في العَيْنِ ، وما ذكَرَ أنّهُ مُهْمَلٌ وهُوَ مُسْتعْمَلٌ وقَدْ أُهْمِلَ ، وكانَ بيْنَهُ وبيْنَ ابْنِ دُرَيْدٍ مُناقَضَةٌ ، ماتَ سنَةَ تِسْعٍ وعِشْرِينَ وثَلاثِمائةٍ .

﴿٦٤ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَبُو الخَيْرِ *﴾

محمد بن عبد الله المروزى

الضّريرُ المَرْوَزيُّ النّحْويُّ ، كانَ فقيهاً فاضِلاً أديباً لُغَوِيّاً نَحْوِيّاً ، تفقّهَ على القَفّالِ المَرْوَزيِّ فبَرَعَ في الفِقْهِ ، واشْتهَرَ في النّحْوِ واللُّغَةِ والأدَبِ .

---

(١) يريد مجىء الضيف بالزاد إذا قدم على الكريم من القبيح ، فالله الكريم يقبح مجىء القادمين عليه بالزاد فانه كريم ورحمته وسعت كل شىء .

« عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، وترجم له أيضاً فى فهرست ابن النديم .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

قَالَ السَّمْعَانِيُّ . كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ فَصَارَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ بِصُحْبَتِهِ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ الْقَفَّالَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْهُ وَمِنْ أَبِي نَصْرٍ الْمَحْمُودِيِّ ، وَرَوَى عَنْهُ الْقَاضِي الْحَافِظُ أَبُو مَنْصُورٍ السَّمْعَانِيُّ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ فِي دَارِهِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْأَدَبَ وَالْبَابُ مَرْدُودٌ ، فَإِذَا اجْتَازَ بِهِ الْقَفَّالُ رَاكِبًا وَسَمِعَ صَوْتَ حَافِرِ فَرَسِهِ عَلَى الْأَرْضِ قَامَ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ لِئَلَّا يَسْمَعَ الصَّوْتَ الْقَفَّالُ تَعْظِيمًا لِلْأُسْتَاذِ . مَاتَ أَبُو الْخَيْرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَالْمَرْوَزِيُّ هٰذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَسْعُودِيِّ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَقَدْ يُلَقِّبُونَهُ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّتِهِمْ ، مَعْدُودٌ مِنْ أَقْرَانِ شَيْخِهِ الْقَفَّالِ ، وَلَهُ شَرْحٌ عَلَى مُخْتَصَرِ الْمَازِنِيِّ عُمْدَةٌ فِي الْمَذْهَبِ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

تَنَافَى الْمَالُ وَالْعَقْلُ فَمَا بَيْنَهُمَا شَكْلُ
هُمَا كَالْوَرْدِ وَالنَّرْ جِسِ لَا يَحْوِيهِمَا فَصْلُ
فَعَقْلٌ حَيْثُ لَا مَالٌ وَمَالٌ حَيْثُ لَا عَقْلُ

٦٥ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ خَطِيبُ الْقَلْعَةِ الْفَخْرِيَّةِ (*)

محمد بن عبد الله الاسكافى

أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بِالْخَطِيبِ الْإِسْكَافِيِّ ، الْأَدِيبُ اللُّغَوِيُّ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْحَسَنَةِ ، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّادٍ الصَّاحِبِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ وَخَطِيباً بِالرَّيِّ .

قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ : فَازَ بِالْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ثَلَاثَةٌ : حَائِكٌ وَحَلَّاجٌ وَإِسْكَافٌ . فَالْحَائِكُ أَبُو عَلِيٍّ الْمَرْزُوقِيُّ ، وَالْحَلَّاجُ أَبُو مَنْصُورٍ مَاشِدُهُ ، وَالْإِسْكَافُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَطِيبُ . وَصَنَّفَ كِتَابَ غَلَطِ كِتَابِ الْعَيْنِ ، وَالْغُرَّةَ تَتَضَمَّنُ شَيْئاً مِنْ غَلَطِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَمَبَادِئَ اللُّغَةِ ، وَشَوَاهِدَ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ، وَنَقْدَ الشِّعْرِ ، وَدُرَّةَ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةَ التَّأْوِيلِ فِي الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ ، وَكِتَابَ لُطْفِ التَّدْبِيرِ فِي سِيَاسَاتِ الْمُلُوكِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ٦٦ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ * ﴾

محمد بن عبد الرحمن البندهي

ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ الْمَسْعُودِيُّ أَبُو سَعِيدٍ الْبَنْدِهِيُّ ، وَكَانَ يَكْتُبُ بِخَطِّهِ الْبَنْجَدِيهِيُّ ، اللُّغَوِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَالدِّينِ وَالْوَرَعِ . وَرَدَ بَغْدَادَ ثُمَّ الشَّامَ ، وَحَصَلَ لَهُ سُوقٌ نَافِقَةٌ وَقَبُولٌ تَامٌّ عِنْدَ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَحَصَّلَ كُتُباً لَمْ تَحْصُلْ لِغَيْرِهِ وَوَقَفَهَا بِخَانْقَاهِ السُّمَيْسَاطِيِّ ، وَأَكْثَرُهَا مِنْ

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة

خِزَانَةِ كُتُبِ حَلَبَ الَّتِي أَبَاحَ لَهُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا شَاءَ ، وَكَانَ الْبَنْدَهِيُّ يُعَلِّمُ الْمَلِكَ الْأَفْضَلَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ صَلَاحِ الدِّينِ وَحَدَّثَ وَأَمْلَى بِالشَّامِ ، وَصَنَّفَ شَرْحًا لِمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ مُتَوَسِّطَةٍ اسْتَوْعَبَ وَأَحْسَنَ فِيهَا مَا شَاءَ[1] ، وُلِدَ فِي وَقْتِ الْغُرُوبِ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ غُرَّةَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

قَالَتْ عَهِدْتُكَ تَبْكِي ... دَمًا حِذَارَ التَّنَائِي
فَلِمْ تَعَوَّضْتَ عَنَّا ... بَعْدَ الدِّمَاءِ بِمَاءِ ؟
فَقُلْتُ مَا ذَاكَ مِنِّي ... لِسَلْوَةٍ أَوْ عَزَاءِ
لَكِنْ دُمُوعِيَ شَابَتْ ... مِنْ طُولِ عُمْرِ بُكَائِي

﴿ ٦٧ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زُهْرٍ (*) ﴾

محمد بن عبد الملك ابن زهر الأندلسى

ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ زُهْرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ أَبُو بَكْرٍ ، وُلِدَ بِإِشْبِيلِيَةَ وَنَشَأَ بِهَا ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ

(١) استوعب : استوفى وجمع ما شاء أن يجمع .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة .

فَبَرَعَ فِى ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَعَانَى الشِّعْرَ فَبَلَغَ الْإِجَادَةَ فِيهِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ شِعْرَ ذِى الرُّمَّةِ ، وَانْفَرَدَ بِالْإِجَادَةِ فِى نَظْمِ الْمُوَشَّحَاتِ (١) الَّتِى فَاقَ بِهَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ ، وَلَازَمَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْبَاجِىَّ سَبْعَ سِنِينَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمُدَوَّنَةَ فِى مَذْهَبِ مَالِكٍ ، وَأَخَذَ صِنَاعَةَ الطِّبِّ عَنْ أَبِيهِ أَبِى مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَبَاشَرَ أَعْمَالَهَا فَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ ، وَخَدَمَ بِهَا دَوْلَةَ الْمُلَثَّمِينَ فِى آخِرِ عَهْدِهِمْ ، ثُمَّ خَدَمَ بِهَا دَوْلَةَ الْمُوَحِّدِينَ بَنِى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . وَمَاتَ فِى أَوَّلِ دَوْلَةِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمُعَالَجَةِ جَيِّدَ التَّدْبِيرِ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِى ذَلِكَ ، وَكَانَ صَحِيحَ الْبِنْيَةِ قَوِىَّ الْأَعْضَاءِ ، وَبَلَغَ الشَّيْخُوخَةَ وَلَمْ يَفْقِدْ قُوَّةَ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ إِلَّا ثِقَلًا فِى السَّمْعِ اعْتَرَاهُ فِى أَوَاخِرِ عُمُرِهِ .

حَكَى أَبُو مَرْوَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَاجِىُّ أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ زُهْرٍ كَانَ شَدِيدَ الْبَأْسِ يَجْذِبُ قَوْساً (٢) مِائَةً وَخَمْسِينَ رِطْلًا

---

(١) الموشحات : ضرب من الأسلوب الشعرى ابتدعه الأندلسيون وهو على وزان البحور الشعرية التى استنبطها الخليل إلا أنها تارة تكون من بحر البسيط ، وثانية من المجتث ، وثالثة من المتقارب وهكذا ، وكانت فى أول أمرها فى بلاد المغرب ثم استساغها المشارقة فجاروا فيها المغاربة بل ربما برزوا عليهم ، وكانت كلها فى أول أمرها مبنية على قواعد الاعراب حتى كثر تداول الناس لها فخرجوا عن قواعد الاعراب وخلفها الزجل وكثر وشاع حتى غلب على الاعراب فى الأزمنة المتتالية ، وكان بودى أن أبسط الكلام وآتى منها بنماذج ولكن المقام لايتسع لهذا ، ومن أراد زيادة فى تعرفها فليراجع مقدمة ابن خلدون فقد أشبع القول فيها . (٢) أى يرفعه ويدفعه « عبد الخالق »

بالإشبيلى وهو ست عشرة أوقية ، وكان يحسن اللعب بالشطرنج بارعاً فيه ، ولد سنة سبع وخمسمائة ، وتوفى بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وقيل فى أول سنة ست وتسعين ، ودفن بمقابر الشيخ وقد ناهز التسعين[1] .

ومن شعر الوزير أبى بكر بن زهر قوله :

إنى نظرت إلى المرآة إذ جليت[2]
فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا

رأيت فيها شييخاً لست أعرفه
وكنت أعهده من قبل ذاك فتى

فقلت أين الذى بالأمس كان هنا
متى ترحل عن هذا المكان متى ??

فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت
قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى

كان الغوانى[3] يقلن يا أخى ولقد
صار الغوانى يقلن اليوم يا أبتا

---

(١) أى داناها وقاربها (٢) أى صقلت . (٣) ويروى البيت كما يأتى :

كانت سليمى تنادى يا أخى وقد صارت سليمى تنادى اليوم يا أبتا

وروى صاحب طبقات الأطباء بعد :

هون عليك فهذا لا بقاء له أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا

وَقَالَ فِى كِتَابِ حِيلَةِ الْبُرْءِ لجالِينُوسَ وَأَجَادَ :

حِيلَةُ الْبُرْءِ صُنِّفَتْ لِعَلِيلٍ ... يَتَرَجَّى الْحَيَاةَ (١) أَوْ لِعَلِيلَهْ

فَإِذَا جَاءَتِ الْمَنِيَّةُ قَالَتْ ... حِيلَةُ الْبُرْءِ: لَيْسَ فِى الْبُرْءِ حِيلَهْ

وَمِنْ مُوَشَّحَاتِهِ قَوْلُهُ :

أَيُّهَا الشَّاكِى (٢) إِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ... قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعِ

وَنَدِيمٍ هِمْتُ فِى غُرَّتِهْ

وَشَرِبْتُ الرَّاحَ مِنْ رَاحَتِهْ

كُلَّمَا اسْتَيْقَظْتُ مِنْ سَكْرَتِهْ

جَذَبَ الزِّقَّ (٣) إِلَيْهِ وَاتَّكَا ... وَسَقَانِى أَرْبَعًا فِى أَرْبَعِ

غُصْنُ بَانٍ مَالَ (٤) مِنْ حَيْثُ اسْتَوَى

بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى

خَفِقَ (٥) الْأَحْشَاءِ مَوْهُونَ الْقُوَى

(١) صنفت : جمعت ، ويترجى : يتمنى . وفى نفح الطيب « صنعة لعليل » : ولعل ماهنا أوفق ، فان المذكور كتاب اسمه حيلة المرء (٢) فى طبقات الأطباء : « أيها الساق » ملاحظة : الموشحة من بحر الرمل . « عبد الخالق »

(٣) الزق بكسر الزاى : السقاء أو الجلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره ، وفى الكايات — الزق اسم عام للظرف ، فان كان فيه لبن : فهو وطب . وان كان فيه سمن : فهو نحى ، وإن كان فيه عسل : فهو عكة ، وإن كان فيه ماء : فهو شكوة ، والزق بضم الزاى : الخمر . (٤) البان : شجر سبط القوام لين ، منه ما يقارب الأثل فى ارتفاعه ، ومنه قصير دون شجر الرمان ، وورقه يشبه ورق الصفصاف شديد الخضرة له زهر ناعم ، ومال : لم تكن فى الأصل (٥) خفق الخ : أى مضطرب ، موهون الخ : أى منهوك القوى ضعيفها .

كُلَّمَا فَكَّرَ فِي الْبَيْنِ بَكَى ... مَا لَهُ يَبْكِي بِمَا لَمْ يَقَعِ

لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلَدُ

يَا لَقَوْمٍ (١) هَجَرُوا وَاجْتَهَدُوا

أَنْكَرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجِدُ

إِنَّ مِثْلِي حَقُّهُ أَنْ يَشْتَكِي ... كَمَدَ الْيَأْسِ وَذُلَّ الطَّمَعِ

مَا لِعَيْنِي عَشِيَتْ بِالنَّظَرِ (٢)

أَنْكَرَتْ بَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ

وَإِذَا مَا شِئْتَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

قَرِهَتْ (٣) عَيْنِي مِنْ طُولِ الْبُكَا ... وَبَكَا بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي

كَبِدٌ حَرَّى وَدَمْعٌ يَكِفُ (٤)

يَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلَا يَعْتَرِفُ

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَمَّا أَصِفُ

قَدْ نَمَا حُبُّكَ عِنْدِي وَزَكَا ... لَا يَظُنُّ الْحِبُّ أَنِّي مُدَّعِي

---

(١) فى طبقات الأطباء وفى الأصل : « يا لقومي هجروا واجتهدوا »

(٢) عشيت الخ : ساء بصرها بالليل والنهار ، أو عمى ، أو أبصر بالنهار ولم يبصر بالليل

(٣) فى الأصل « قرهت » بمعنى اسودت أو جدت ، وفى طبقات الأطباء « شقيت » ، ولو أن لى حق التصرف لجعلتها قرحت وهي أقرب إلى قرهت

(٤) حرى : مؤنث الحران ، أى عطشى عطشاً شديداً ، والحران : الشديد العطش قال الشاعر :

يقولون لا تشرب نسيئاً فانه ... وإن كنت حرانا عليك وخيم

والمراد أن كبده ملتهبة من شدة الوجد والحزن ، ودمع يكف : يسيل « عبد الخالق »

وَمِنْ مُوَشَّحَاتِهِ أَيْضاً :

شَابَ مِسْكَ اللَّيْلِ كَافُورُ الصَّبَاحْ

وَوَشَتْ بِالرَّوْضِ أَعْرَافُ الرِّيَاحْ (١)

فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ نُورِ الْفَلَقِ

وَغِنَاءِ الْوُرْقِ (٢) بَيْنَ الْوَرَقِ

كَاحْمِرَارِ الشَّمْسِ عِنْدَ الشَّفَقِ (٣)

نَسَجَ الْمَزْجُ (٤) عَلَيْهَا حِينَ لَاحْ

فَلَكَ اللَّهْوِ وَشَمْسَ الِاصْطِبَاحْ

وَغَزَالٍ سَامَنِي بِالْمَلَقِ

وَبَرَى جِسْمِي وَأَذْكَى حُرَقِي (٥)

أَهْيَفُ مُذْ سَلَّ سَيْفَ الْحَدَقِ

---

(١) شاب : خلط ، وكافور الصباح : ضوؤه الشبيه بالكافور ، وأعراف : جمع عرف بفتح العين : الرائحة ، فالرياح لما هبت كانت مخلوطة بالروائح الذكية التي حملتها من الرياض فكأنها لما شمها من شمها كانت واشية (٢) الورق جمع ورقاء : الحمام (٣) هذا البيت راجع إلى وصف الخمر في قوله : « فاسقنيها » وهو تشبيه لها بالشمس عند الشفق .

(٤) قال الشاعر يصف الخمرة الممزوجة :

« وحب بها مقتولة حين تقتل »

وهذا عكس قول الآخر :

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

وتراه قد جعل المزج كأنه ينسج عليها حين بدا فلك اللهو وشمس الاصطباح .

(٥) أذكى حرق بالذال : أشعل ما في من نيران « عبد الخالق »

قَصَّرَتْ عَنْهُ مَشَاهِيرُ الصِّفَاحْ
وَانْثَنَتْ بِالذُّعْرِ أَغْصَانُ الرِّمَاحْ (١)

صَارَ بِالذُّلِّ فُؤَادِى كَلِفَا
وَجُفُونِى سَاهِرَاتٍ وُطُفَا (٢)
كُلَّمَا قُلْتُ جَوَى الْحُبِّ انْطَفَا

أَمْرَضَ الْقَلْبَ بِأَجْفَانٍ صِحَاحْ وَسَبَى الْعَقْلَ بِجِدٍّ وَمِزَاحْ

يُوسُفِىُّ الْحُسْنِ عَذْبُ الْمُبْتَسَمْ
قَمَرِىُّ الْوَجْهِ لَيْلِىُّ اللِّمَمْ (٣)
عَنْتَرِىُّ الْبَأْسِ عَبْسِىُّ الْهِمَمْ

غُصُنِىُّ الْقَدِّ مَهْضُومُ الْوِشَاحْ مَادِرِىُّ الْوَصْلِ طَائِىُّ السَّمَاحْ (٤)

(١) أى لم تفعل الصفاح مايفعله حدقه ، وكذلك الرماح رجعت مذعورة لأن قده يفوقها . (٢) وطفا جمع وطفاء ، وأصل الوطفاء : السحابة الدائمة السح ، فهو يقول : إن فؤاده صار كلفا بالذل وصارت جفونه ساهرات دائما تساقط الدموع .

(٣) اللمم جمع لمة بكسر اللام : الشعر المجاور شحمة الأذن ، فهو يشبه شعره هذا بالليل كما أنه ذكر بعد : أنه يشبه فى شدته على محبه عنترة العبسى ، كما شبهه فى مضائه وهمته ببنى عبس فى اهتمامهم بأخذ ثأرهم ممن قتل مالك بن زهير الذى قال فيه الربيع بن زياد أحد الكملة من بنى عبس :

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه فى الليل قبل تبلج الأسحار

(٤) يشبهه بمادر فى الوصل وهو مشهور بالبخل ، يريد أنه بخيل بوصله ولكنه كريم كحاتم الطائى ، وقد جاء ذكر مادر وحاتم فى قول أبى العلاء :

إذا عير الطائى بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

« عبد الخالق »

قَدَّ بِالْقَدِّ (١) فُؤَادِي هَيَفَا
وَسَبَا عَقْلِيَ لَمَّا انْعَطَفَا
لَيْتَهُ بِالْوَصْلِ أَحْيَا دَنِفَا
مُسْتَطَارَ الْعَقْلِ مَقْصُوصَ الْجَنَاحْ
ما عَلَيْهِ فِي هَوَاهُ مِنْ جُنَاحْ
يَا عَلِيُّ أَنْتَ نُورُ الْمُقَلِ
جُدْ بِوَصْلٍ مِنْكَ لِي يَا أَمَلِي
كَمْ أُغَنِّيكَ إِذَا مَا لُحْتَ لِي
طَرَقَتْ (٢) وَاللَّيْلُ مَمْدُودُ الْجَنَاحْ
مَرْحَباً بِالشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ صَبَاحْ

وَقَالَ أَيْضاً:

لِلّٰهِ مَا صَنَعَ الْغَرَامُ بِقَلْبِهِ — أَوْدَى بِهِ لَمَّا أَلَمَّ بِلُبِّهِ
لَبَّاهُ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ وَهٰكَذَا — مَنْ يَدْعُهُ دَاعِي الْغَرَامِ يُلَبِّهِ
بِأَبِي الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ لِعُجْبِهِ
رَدَّ السَّلَامِ وَإِنْ شَكَكْتَ فَعُجْ بِهِ (٣).

---

(١) قد بالقد من لطائف الجناس المشتق ، فقد : قطع ؛ والقد : القوام .

(٢) الطروق : المجيء ليلا ؛ وقد جعل لليل جناحا ممدودا ؛ وجعل محبوبه شمسا ؛ والظريف في البيت أنها جاءت وليس الوقت صبحا ، وأعجب منه خيال المتنبي في قوله :

كبرت حول ديارهم لما بدت — منها الشموس وليس فيها المشرق

وطرقت الخ : مفعول ثان لأغنيك (٣) العجب : الكبر والخيلاء ؛ وعج به : أي عرج واعطف وقف به .

« عبد الخالق »

ظَبْىٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مَا تَرَكَ الضَّنَا (١)

فِى لَحْظِهِ مِنْ سَلْوَةٍ لِمُحِبِّهِ

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا جَنَى بِلِحَاظِهِ

فِى سَلْبِهِ يَوْمَ الْغُوَيْرِ فَسَلْ بِهِ (٢)

أَوْ شِئْتَ أَنْ تَلْقَى غَزَالًا أَغْيَدًا

فِى سِرْبِهِ أَسَدُ الْعَرِينِ فَسِرْ بِهِ (٣)

يَامَا أُمَيْلِحَهُ وَأَعْذَبَ رِيقَهُ وَأَعَزَّهُ وَأَذَلَّنِى فِى حُبِّهِ

بَلْ مَا أُلَيْطِفَ وَرْدَةً فِى خَدِّهِ وَأَرَقَّهَا وَأَشَدَّ قَسْوَةَ قَلْبِهِ

كَمْ مِنْ خُمَارٍ (٤) دُونَ خَمْرَةِ رِيقِهِ

وَعَذَابِ قَلْبٍ دُونَ رَائِقِ عَذْبِهِ

نَادَى بَنَفْسَجُ عَارِضَيْهِ وَقَدْ بَدَا

: يَا عَاشِقِينَ (٥) تَمَتَّعُوا مِنْ قُرْبِهِ

وَقَالَ أَيْضًا :

---

(١) الضنى : هنا مراد به فتور الجفون كأنها سقيمة وليست بذاك — وذلك ممدوح فى النساء (٢) الغوير : ماء لبنى كلب ، فسل به : اسأل عنه ، وهو مثل قوله تعالى : « فاسأل به خبيرا » . (٣) أى إن شئت أن ترى كيف يكون الغزال فى جماعته أسد العرين ، فسر معه تلقه غزالا فيما يحب من الغزال ، ولكنه الأسد إذا أريد منه ما لا يليق .

(٤) الخمار بضم الخاء : صداع الخمر وأذاها وبقية السكر (٥) هذا المنادى إن كان نكرة مقصودة فحقها ياعاشقون ، وإن كانت غير مقصودة فهى كما ذكرت ، ورأيى أن الأصل : « يا عاشقون » .

« عبد الخالق »

مَازِلْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ
حَتَّى سَكِرْتُ وَنَالَهُمْ مَا نَالَنِي
وَالْخَمْرُ تَعْلَمُ حِينَ تَأْخُذُ ثَارَهَا أَنِّي أَمَلْتُ إِنَاءَهَا فَأَمَالَنِي

وَقَالَ أَيْضاً وَأَوْصَى أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

تَأَمَّلْ بِحَقِّكَ يَا وَاقِفاً وَلَاحِظْ مَكَاناً دُفِعْتُ إِلَيْهْ
فَإِنِّي حَذِرْتُ مِنْهُ الْأَنَا مَ وَهَا أَنَا قَدْ صِرْتُ رَهْناً لَدَيْهْ

﴿ ٦٨ — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ﴾

محمد بن عبد الملك الكانوسي

أَبُو عَبْدِ اللهِ الْكَانُوسِيُّ النَّحْوِيُّ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْكُبَرَاءِ عَلَّامَةٌ فِي الْإِعْرَابِ وَاللُّغَةِ وَالْحِسَابِ وَمَعْرِفَةِ الْأَيَّامِ وَالْأَنْسَابِ وَالنُّجُومِ ، دَخَلَ خُوارِزْمَ مَعَ عِدَّةٍ مِنَ الْأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ حِينَ ضَاقَ بِهِمُ الْحَالُ بِخُرَاسَانَ وَأَنْشَدَ بِهَا :

تَقُولُ سُعَادُ مَا تَغَرَّدَ طَائِرٌ عَلَى فَنَنٍ إِلَّا وَأَنْتَ كَئِيبُ (١)
أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا
وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ (٢)

---

(١) ما تغرد الخ : أى مارفع صوته فى غنائه . والفنن : الغصن . والجمع أفنان . والكئيب : الحزين السيىء الحال (٢) أى أهل ، أقول : وهذا البيت منسوب إلى امرىء القيس قاله حال قدومه من سفره إلى ملك الروم وقد رأى قبرا فسأل عنه فأخبر عن صاحبته ، فلما قاربته الوفاة عند جبل عسيب قال البيت ، وقبله :

أجارتنا إن المزار قريب وإنى مقيم ما أقام عسيب

« عبد الخالق »

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ غَدَتْ
عَلَيْهِ غَوَادِى(١) الصَّالِحَاتِ غَرِيبُ
أَجَارَتَنَا مَنْ يَغْتَرِبْ يَلْقَ لِلأَذَى
نَوَائِبَ تُقْذِى عَيْنَهُ فَيَشِيبُ
يَحِنُّ إِلَى أَوْطَانِهِ وَفُؤَادُهُ
لَهُ بَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ وَجِيبُ(٢)
سَقَى اللهُ رَبْعاً بِالْعِرَاقِ فَإِنَّهُ إِلَيَّ وَإِنْ فَارَقْتُهُ لَحَبِيبُ
أَحِنُّ إِلَيْهِ مِنْ خُرَاسَانَ نَازِعاً وَهَيْهَاتَ لَوْ أَنَّ الْمَزَارَ قَرِيبُ
وَإِنَّ حَنِينًا مِنْ خُوَارِزْمَ يَنْتَهِى
إِلَى مُنْتَهَى أَرْضِ الْعِرَاقِ عَجِيبُ

﴿٦٩ – مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ﴾ (*)

محمد بن عبد الواحد الباوردى

أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ الْمُطَرِّزُ الْبَاوَرْدِيُّ غُلَامُ ثَعْلَبٍ اللُّغَوِيِّ، مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ وَأَكَابِرِ أَهْلِهَا وَأَحْفَظِهِمْ لَهَا. قَالَ أَبُو عَلِيِّ ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ عَنْ أَبِيهِ: وَمِنَ الرُّوَاةِ الَّذِينَ لَمْ يُرَ قَطُّ

(١) غدت: انطلقت، أو بكرت على الأصل، والبكرة: أول النهار، وغوادى جمع غادية وهى مؤنث الغادى: السحابة تنشأ غدوة، أو مطرة الغداة.

(٢) أحناء جمع حنو: كل مافيه اعوجاج من البدن كعظم الضلوع، ووجيب القلوب: اضطرابها وخفقانها.

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

أَحْفَظُ مِنْهُمْ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَعْرُوفُ بِغُلَامِ ثَعْلَبٍ ، أَمْلَى مِنْ حِفْظِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ فِي اللُّغَةِ فِيمَا بَلَغَنِي ، وَكَانَ لِسِعَةِ حِفْظِهِ يَطْعَنُ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ وَلَا يُوَثِّقُونَهُ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ ، حَتَّى قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ : لَوْ طَائِرٌ طَارَ فِي الْجَوِّ لَقَالَ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ : حَدَّثَنَا ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَيَذْكُرُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ شَيْئًا ، وَكَانَ الْمُحَدِّثُونَ يُوَثِّقُونَهُ .

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : رَأَيْتُ جَمِيعَ شُيُوخِنَا يُوَثِّقُونَهُ وَيُصَدِّقُونَهُ ، وَكَانَ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ فَيُجِيبُ عَنْهُ ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْهُ بَعْدَ سَنَةٍ فَيُجِيبُ بِذَلِكَ الْجَوَابِ (١) . وَيُرْوَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ اجْتَازُوا عَلَى قَنْطَرَةِ الصَّرَاةِ (٢) وَتَذَاكَرُوا مَا يُرْمَى بِهِ مِنَ الْكَذِبِ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أُصَحِّفُ (٣) لَهُ الْقَنْطَرَةَ وَأَسْأَلُهُ عَنْ مَعْنَاهَا فَنَنْظُرُ مَا يُجِيبُ .

---

(١) ومثل هذا أن المبرد كان يتهم بعدم المبالاة فاختبره قوم وقالوا ياسيدنا عند ماتقطع قول الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

يأتى قبعض فى التفاعيل ، فما القبعض ؟ فقال : القطن الأبيض ، قال الشاعر ؟

« كأن سنامها حشى القبعضا »

فقال القوم : ماندرى من أى حاله نعجب ، أمن قوله أو من أنه روى البيت على البديهة ؟ ورأيى أن هذه أخبار يقصد منها الطعن عليه لشىء فى النفس . (٢) الصراة : نهر بالعراق (٣) أصحف : أحرف وأغير . « عبد الخالق »

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، مَا الْهَرْطَنَقُ عِنْدَ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ كَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ شَيْئًا فَتَضَاحَكَ الْجَمَاعَةُ وَانْصَرَفُوا ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ شَخْصًا آخَرَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْهَرْطَنَقِ فَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سُئِلْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ قَالَ : هُوَ كَذَا وَكَذَا كَمَا أَجَابَ أَوَّلًا ، قَالَ الْقَوْمُ : فَمَا نَدْرِى مِنْ أَىِّ الْأَمْرَيْنِ نَعْجَبُ ، مِنْ حِفْظِهِ إِنْ كَانَ عِلْمًا ؟ أَمْ مِنْ ذَكَائِهِ إِنْ كَانَ كَذِبًا ؟ فَإِنْ كَانَ عِلْمًا فَهُوَ اتِّسَاعٌ عَجِيبٌ ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا فَكَيْفَ تَنَاوَلَ ذَكَاؤُهُ الْمَسْأَلَةَ وَتَذَكَّرَ الْوَقْتَ بَعْدَ أَنْ مَرَّ عَلَيْهِ زَمَانٌ فَأَجَابَ بِذَلِكَ الْجَوَابِ بِعَيْنِهِ . وَحُكِيَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ قَلَّدَ شُرْطَةَ بَغْدَادَ غُلَامًا تُرْكِيًّا مِنْ مَمَالِيكِهِ اسْمُهُ خَوَاجَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا عُمَرَ الزَّاهِدَ وَكَانَ يُمْلِى كِتَابَهُ الْيَوَاقِيتَ فِى اللُّغَةِ ، فَقَالَ لِلْجَمَاعَةِ فِى مَجْلِسِ الْإِمْلَاءِ : اُكْتُبُوا يَاقُوتَةَ خَوَاجَا ، الْخَوَاجُ فِى أَصْلِ اللُّغَةِ : الْجُوعُ ، ثُمَّ فَرَّعَ عَلَى هَذَا بَابًا وَأَمْلَاهُ عَلَيْهِمْ ، فَاسْتَعْظَمُوا كَذِبَهُ وَتَتَبَّعُوهُ ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَاتِمِيُّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ : أَخْرَجْنَا [1] فِى أَمَالِى الْحَامِضِ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِىِّ : الْخَوَاجُ : الْجُوعُ .

---

(١) أخرجنا : أظهرنا وقرأنا

وَحَكَى رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ عَمَّنْ حَدَّثَه : أَنَّ أَبَا عُمَرَ الزَّاهِدَ كَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَ الْقَاضِي أَبِي عُمَر مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ ، فَأَمْلَى عَلَى الْغُلَامِ نَحْواً مِنْ ثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً فِي النَّحْوِ ، وَذَكَرَ غَرِيبَهَا وَخَتَمَهَا بِبَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ ، وَحَضَرَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ مِقْسَمٍ الْعَطَّارُ الْمُقْرِئُ عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْمَسَائِلَ فَمَا عَرَفُوا مِنْهَا شَيْئاً وَأَنْكَرُوا الشِّعْرَ ، فَقَالَ لَهُمُ الْقَاضِي : مَا تَقُولُونَ فِيهَا ؟ فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : أَنَا مَشْغُولٌ بِتَصْنِيفِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ أَقُولُ شَيْئاً . وَقَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ مِثْلَ ذَلِكَ وَاعْتَذَرَ بِاشْتِغَالِهِ بِالْقِرَاءَاتِ .

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : هَذِهِ الْمَسَائِلُ مِنْ مَوْضُوعَاتِ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ وَلَا أَصْلَ لِشَيْءٍ مِنْهَا فِي اللُّغَةِ وَانْصَرَفُوا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا عُمَرَ فَاجْتَمَعَ بِالْقَاضِي وَسَأَلَهُ إِحْضَارَ دَوَاوِينَ جَمَاعَةٍ مِنْ قُدَمَاءِ الشُّعَرَاءِ عَيَّنَهُمْ ، فَفَتَحَ الْقَاضِي خِزَانَتَهُ وَأَخْرَجَ لَهُ تِلْكَ الدَّوَاوِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ يَعْمِدُ إِلَى كُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْهَا وَيُخْرِجُ لَهَا شَاهِداً مِنْ تِلْكَ الدَّوَاوِينِ وَيَعْرِضُهُ عَلَى الْقَاضِي حَتَّى اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْمَسَائِلِ ثُمَّ قَالَ : وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ أَنْشَدَهُمَا ثَعْلَبٌ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي وَكَتَبَهُمَا الْقَاضِي بِخَطِّهِ

عَلَى ظَهْرِ الْكِتَابِ كَمَا ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ وَانْتَهَتِ الْقِصَّةُ إِلَى ابْنِ دُرَيْدٍ، فَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا عُمَرَ الزَّاهِدَ بِلَفْظَةٍ إِلَى أَنْ مَاتَ. وَقَالَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَيْضاً: رَأَيْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِمَّا أُنْكِرَ عَلَى أَبِي عُمَرَ وَنُسِبَ فِيهَا إِلَى الْكَذِبِ فَوَجَدْتُهَا مُدَوَّنَةً فِي كُتُبِ اللُّغَةِ، وَخَاصَّةً فِي الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفِ لِأَبِي عُبَيْدٍ.

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بُرْهَانَ الْأَسَدِيُّ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي اللُّغَةِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِأَحْسَنَ مِنْ كَلَامِ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ[1]، أَخَذَ أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ وَصَحِبَهُ زَمَاناً طَوِيلاً فَنُسِبَ إِلَيْهِ وَعُرِفَ بِغُلَامِ ثَعْلَبٍ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَاتِمِيُّ الْأَدِيبُ الْكَاتِبُ اللُّغَوِيُّ، وَأَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ بُرْهَانٍ وَغَيْرُهُمَا.

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ رَزْقَوَيْهِ وَأَبُو عَلِيٍّ ابْنُ شَاذَانَ وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْزُبَانِيُّ: كَانَ

(١) ملاحظة: ها هي ذى الأقوال والروايات تؤيد صدق أبى عمر وتؤكد روايته بما قدمه للقاضى أبى عمر محمد بن يوسف وبما قاله الناس عنه، فلنعلم أن هذه الاشياء وما تقدمها من القول عن المبرد إنما هى اختلاق لاغير، يريدبها أعداء هؤلاء الضعة من قدرهم، ولكى يؤيدوا أن فى الرواة كذابين يمدون إلى مثل أبى عمرو بن العلاء فيحكون عنه أنه قال: ما كذبت إلا فى بيت نسبته إلى الأعشى:

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

« عبد الخالق »

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ مَاسِى يُنْفِذُ إِلَى أَبِى عُمَرَ الزَّاهِدِ كِفَايَتَهُ وَقْتًا بِوَقْتٍ فَقَطَعَ ذَلِكَ عَنْهُ مُدَّةً لِعُذْرٍ ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَيْهِ جُمْلَةَ مَا كَانَ انْقَطَعَ عَنْهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً يَعْتَذِرُ بِهَا مِنْ تَأْخِيرِ رَسْمِهِ فَرَدَّهُ ، وَأَمَرَ بَعْضَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ عَلَى ظَهْرِ رُقْعَتِهِ :

أَكْرَمْتَنَا فَمَلَكْتَنَا وَتَرَكْتَنَا فَأَرَحْتَنَا

وَكَانَتْ صِنَاعَةُ أَبِى عُمَرَ الزَّاهِدِ التَّطْرِيزَ فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْكُتَّابِ يَحْضُرُونَ مَجْلِسَهُ لِلسَّمَاعِ مِنْهُ وَكَانَ قَدْ جَمَعَ جُزْءًا فِى فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ ، فَكَانَ لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنَ السَّمَاعِ مِنْهُ حَتَّى يَبْتَدِئَ بِقِرَاءَةِ ذَلِكَ الْجُزْءِ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفُرَاتِ قَالَ : كَانَ مَوْلِدُ أَبِى عُمَرَ الزَّاهِدِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ ذِى الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَذَلِكَ فِى خِلَافَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ . وَدُفِنَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِى الصُّفَّةِ [1] الَّتِى تُقَابِلُ قَبْرَ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِىِّ وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ الطَّرِيقِ . وَعَنْ أَبِى الْحَسَنِ ابْنِ رَزْقَوَيْهِ : تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَالصَّحِيحُ

(١) الصفة : مكان أو مصطبة ضيقة مرتفعة .

الأَوَّلُ . وَلِأَبِي عُمَرَ مِنَ الْكُتُبِ: شَرْحُ الْفَصِيحِ لِثَعْلَبٍ، وَفَائِتُ الْفَصِيحِ جُزْءٌ لَطِيفٌ، وَالْيَوَاقِيتُ فِي اللُّغَةِ ، وَالْمَرْجَانُ فِي اللُّغَةِ ، وَالْكِتَابُ الْحَضْرِيُّ فِي الْكَلِمَاتِ، وَغَرِيبُ الْحَدِيثِ، صَنَّفَهُ عَلَى مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَكِتَابُ الْمَكْنُونِ وَالْمَكْتُومِ ، وَفَائِتُ الْمُسْتَحْسَنِ ، وَكِتَابُ مَا أَنْكَرَهُ الْأَعْرَابُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فِيمَا رَوَاهُ ، وَالْمُوَشَّحُ ، وَالسَّرِيعُ ، وَالتُّفَّاحَةُ ، وَفَائِتُ الْجَمْهَرَةِ ، وَفَائِتُ الْعَيْنِ ، وَتَفْسِيرُ أَسْمَاءِ الْقُرَّاءِ ، وَالْمَدَاخِلُ فِي اللُّغَةِ، وَحَلُّ الْمَدَاخِلِ ، وَالنَّوَادِرُ، وَكِتَابُ الْعَشَرَاتِ ، وَكِتَابُ الْبُيُوعِ ،وَكِتَابُ الشُّورَى ، وَالْمُسْتَحْسَنُ فِي اللُّغَةِ ، وَكِتَابُ الْقَبَائِلِ ، وَكِتَابُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَكِتَابُ السَّاعَاتِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَأَمْلَى فِي آخِرِ كِتَابِهِ الْيَوَاقِيتِ فِي اللُّغَةِ قَوْلَهُ :

لَمَّا فَرَغْنَا مِنْ نِظَامِ الْجَوْهَرَهْ
إِعْوَرَّتِ الْعَيْنُ وَفُضَّ الْجَمْهَرَهْ (١)
وَوَقَفَ الْفَصِيحُ عِنْدَ الْقَنْطَرَهْ

وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْحَاتِمِيِّ : أَنَّهُ اعْتَلَّ فَتَأَخَّرَ عَنْ مَجْلِسِ أَبِي عُمَرَ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ عَلِيلًا ، فَجَاءَهُ مِنَ الْغَدِ

---

(١) الجمهرة : خاصة الناس ، والجمهور : عامتهم .

يَعُودُهُ ، فَاتفقَ أنهُ كانَ قدْ خرجَ إلى الحَمَّامِ فكتبَ على بابِ دارِهِ بالإسفيداجِ :

وَأَعْجبُ شيْءٍ سَمِعْنَا بِهِ ... عَلِيلٌ يُعادُ فَلا يُوجَدُ

قالَ وَهُوَ منْ شِعْرِهِ . وَحدَّث عبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الكَلْوَذانيُّ قالَ : سَمِعْتُ أَبا عُمَرَ الزَّاهِدَ يقولُ : ترْكُ قضاءِ حُقُوقِ الإخْوانِ مَذَلَّةٌ ، وفي قضائِها رِفْعَةٌ ، فاحْمَدُوا اللهَ تعالَى عَلى ذلِكَ ، وَسارِعُوا فِي قضاءِ حَوائِجِهِمْ وَمَسارِّهِمْ تُكافَئُوا عليْهِ .

وَحكى أبو الفتحِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ النحْوِيُّ قالَ : أَنْشدَ أَبُو العبَّاسِ الْيَشْكُرِيُّ فِي مجْلِسِ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ يَمْدَحُهُ :

أَبُو عُمَرٍ يَسْمُو مِنَ العِلْمِ مُرْتَقًى ... يَزِلُّ مُسامِيهِ وَيَرْدَى مُطاوِلُهْ (١)

وَلَوْ أَنِّي أَقْسَمْتُ ما كُنْتُ حانِثًا ... بِأَنْ لَمْ يَرَ الرَّاءُونَ حَبْرًا يُعادِلُهْ

هُوَ الشَّخْتُ جِسْمًا وَالسَّمِينُ فَضِيلَةً (٢) ... فَأَعْجِبْ بِمَهْزُولٍ سِمانٍ فَضائِلُهْ

---

(١) وفي طبقات الأدباء : « أوفى من العلم مرتقى بدل يسمو » ، والمرتقى : المكان العالي والمنزلة الرفيعة ، ومساميه : مفاخره ومباريه ، ويردى : يهلك ، ومطاوله : مغالبه

(٢) الشخت بفتح الخاء وسكونها : الدقيق الضامر لا عن هزال ، والسمين : نقيض المهزول ، والفضيلة : المزية والدرجة الرفيعة في الفضل .

تَدَفَّقَ بَحْراً بِالْمَسَائِلِ زَاخِراً تَغِيبُ عَمَّنْ لَجَّ فِيهِ سَوَاحِلُهْ
إِذَا قُلْتَ شَارَفْنَا أَوَاخِرَ عِلْمِهِ
تَفَجَّرَ حَتَّى قُلْتَ هٰذِى أَوَائِلُهْ

﴿ ٧٠ — مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِاللهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ * ﴾

محمد بن عبيد الله البصرى

ابْنِ أَبِي الْبَقَاءِ الْبَصْرِيُّ، قَاضِي الْبَصْرَةِ أَبُو الْفَرَجِ النَّحْوِيُّ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَوَاسِطَ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي غَالِبِ بْنِ بُشْرَانَ وَغَيْرِهِ، وَالْفِقْهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ وَالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ وَالْمَاوَرْدِيِّ، وَسَمِعَ بِالْأَهْوَازِ مِنَ الْحُسَيْنِ الْخُوزِيِّ، وَبِالْبَصْرَةِ مِنَ الْفَضْلِ الْقَصَبَانِيِّ وَعُبَيْدِ اللهِ الرَّقِّيِّ وَالْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ وَابْنِ الدَّهَّانِ النَّحْوِيَّيْنِ، رَوَى عَنِ الْمَاوَرْدِيِّ كُتُبَهُ كُلَّهَا، وَكَانَ حَافِظًا لِلْفِقْهِ حَسَنَ الْمُذَاكَرَةِ كَثِيرَ الْقِرَاءَةِ، مُحْتَشِمًا عَنِ السَّلَاطِينِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ حِسَانٌ مِنْهَا: مُقَدِّمَةٌ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الْمُتَقَعِّرِينَ. تُوُفِّيَ فِي تَاسِعَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَسُمِعَ فِي مَرَضِهِ يَقُولُ: مَا أَخْشَى أَنَّ اللهَ يُحَاسِبُنِي أَنِّي أَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ وَقْفٍ أَوْ مَالِ يَتِيمٍ.

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

٧١ – مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ أَبُو الْفَتْحِ *

محمد بن عبيد الله بن التعاويذى

ابْنُ التَّعَاوِيذِيِّ ، وَيُعْرَفُ أَيضاً بِسِبْطِ ابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ ، وَكِلَاهُمَا نِسْبَةٌ لِجَدِّهِ لِأُمِّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُبَارَكِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ عَلِيٍّ السَّرَّاجِ الْجَوْهَرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ الزَّاهِدِ ، كَانَ شَاعِرَ الْعِرَاقِ فِي وَقْتِهِ ، وَكَانَ كَاتِباً بِدِيوَانِ الْأَقْطَاعِ (١) بِبَغْدَادَ ، وَاجْتَمَعَ بِهِ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ لَمَّا كَانَ بِالْعِرَاقِ وَصَحِبَهُ مُدَّةً ، فَلَمَّا انْتَقَلَ الْعِمَادُ إِلَى الشَّامِ وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ كَانَ ابْنُ التَّعَاوِيذِيِّ يُرَاسِلُهُ ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا مُرَاسَلَاتٌ ذَكَرَ بَعْضَهَا الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ ، وَعَمِيَ أَبُو الْفَتْحِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ يَنْدُبُ بِهَا بَصَرَهُ وَزَمَانَ شَبَابِهِ . وَمَدَحَ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ بِثَلَاثِ قَصَائِدَ أَنْفَذَهَا إِلَيْهِ مِنْ بَغْدَادَ ، إِحْدَاهَا عَارَضَ بِهَا قَصِيدَةَ أَبِي الْمَنْصُورِ عَلِيِّ ابْنِ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفِ « بِصُرَّ دُرَّ (٢) » الَّتِي أَوَّلُهَا :

---

(١) الأقطاع : مايقطع من أرض الخراج لأناس يرتزقون منها ، كما أقطع الملك المنصور أناساً من أعيان دولته مواضع فى بغداد ليعمروها ويسكنوها ، فسمى الديوان بذلك .

(٢) صر در لقب والد على بن الحسن ، وكان يلقب أولا صر بعر لشحه وبخله ، فلما نبغ على ابنه وبلغ من الشهرة ما بلغ قيل له صر در ، ويظهر لى ولم أقف على الضبط أنه تركيب إسنادى من صر ونائب فاعله ، أو أنه تركيب مزجى .

(*) ترجم له فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ثان ص ٢٥

« أَكَذَا يُجَازَى وُدُّ كُلِّ قَرِينِ ؟ »

فَقَالَ ابْنُ التَّعَاوِيذِيِّ وَأَحْسَنَ مَا شَاءَ :

إِنْ كَانَ دِينُكَ فِي الصَّبَابَةِ دِينِي
فَقِفِ الْمَطِيَّ بِرَمْلَتَيْ يَبْرِينِ (١)

وَالْثِمْ ثَرًى لَوْ شَارَفَتْ بِي هَضْبَهُ
أَيْدِي الْمَطِيِّ لَثَمْتُهُ بِجُفُونِي

وَانْشُدْ فُؤَادِيَ فِي الظِّبَاءِ مُعَرِّضًا
فَبِغَيْرِ غِزْلَانِ الصَّرِيمِ (٢) جُنُونِي

وَنَشِيدَتِي بَيْنَ الْخِيَامِ وَإِنَّمَا
غَالَطْتُ عَنْهَا بِالظِّبَاءِ الْعِينِ (٣)

لَوْلَا الْعِدَا لَمْ أَكْنِ عَنْ أَلْحَاظِهَا
وَقُدُودِهَا بِجَآذِرٍ وَغُصُونِ

---

(١) « رملتى يبرين » يبرين وأبرين لغة فيه: وهو رمل لاتدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة ، وقيل إنه من أصقاع البحرين ، روى ياقوت فى معجمه عن جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقنى — صوت الدجاج وضرب بالنواقيس
فقلت للركب إذجد الرحيل بنا — يابعد يبرين من باب الفراديس

(٢) معرضا من التعريض : وهوأن تقول القول وتريد ناحية أخرى كما عرض بالظباء عن حبيبته ، والصريم : موضع بعينه أو واد باليمن (٣) نشيدتى : منشودتى فعيلة بمعنى مفعولة : يريد التى أطلبها ، من نشد الضالة : طلبها . والعين جمع عيناء : البقرة الوحشية وهى الجآذر جمع جؤذر ، تشبه به المرأة لسعة العين .

« عبد الخالق »

لِلّهِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قِبَابُهُمْ
يَوْمَ النَّوَى مِنْ لُؤْلُؤٍ مَكْنُونِ (١)

مِنْ كُلِّ تَائِهَةٍ عَلَى أَتْرَابِهَا (٢) فِى الْحُسْنِ غَانِيَةٍ عَنِ التَّحْسِينِ

خَوْدٍ تَرَى قَمَرَ السَّمَاءِ إِذَا بَدَتْ
مَا بَيْنَ سَالِفَةٍ لَهَا وَجَبِينِ (٣)

غَادِينَ (٤) مَا لَمَعَتْ بُرُوقُ ثُغُورِهِمْ
إِلَّا اسْتَهَلَّتْ بِالدُّمُوعِ شُئُونِى

إِنْ تُنْكِرُوا نَفَسَ الصَّبَا فَلِأَنَّهَا
مَرَّتْ بِزَفْرَةِ قَلْبِىَ الْمَحْزُونِ

وَإِذَا الرَّكَائِبُ فِى الْمَسِيرِ تَلَفَّتَتْ فَحَنِينُهَا لِتَلَفُّتِى وَحَنِينِى

يَا سَلْمُ إِنْ ضَاعَتْ عُهُودِى عِنْدَكُمْ
فَأَنَا الَّذِى اسْتَوْدَعْتُ غَيْرَ أَمِينِ

أَوْ عُدْتُ مَغْبُونًا فَمَا أَنَا فِى الْهَوَى
لَكُمُ بِأَوَّلِ عَاشِقٍ مَغْبُونِ

(١) من لؤلؤ مكنون : بيان لما فى قوله ما اشتملت ، ومكنون : مصون فى الصدف . لأنه رطبا أحسن وأصفى وأغلى قيمة (٢) التائهة : المتكبرة ، والأتراب جمع ترب : وهن من كن فى سنها (٣) الخود : المرأة الشابة ؛ والسالفة : صفحة العنق ، وقيل ناحية مقدمها من لدن معلق القرط « الحلق » ، والجبين : ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها . (٤) أى وقت الغدو

رِفقًا فقدْ عسفَ الفِراقُ بِمُطْلَقِ الـ
ـعَبَرَاتِ فِي أَسْرِ الغَرامِ رَهِينِ

مَالِي وَوَصْلَ الغَانِيَاتِ أَرُومُهُ
وَلَقَدْ بَخِلْنَ عَلَيَّ بِالمَاعُونِ (١)

وَعَلامَ أَشْكُو وَالعُهُودُ نَقَضْنَها
بِلِحَاظِهِنَّ إِذَا لَوَيْنَ دُيُونِي (٢)

هَيْهَاتَ مَا لِلْغِيدِ فِي حُبِّ امْرِئٍ
أَرَبٌ وَقَدْ أَرْبَى (٣) عَلَى الخَمْسِينِ

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ تَكُونَ مَطَالِبِي
جَدْوَى بَخِيلٍ أَوْ وَفَاءَ خَئُونِ (٤)

لَيْتَ الضَّنِينَ عَلَى المُحِبِّ بِوَصْلِهِ
أَلِفَ السَّمَاحَةَ عَنْ صَلاحِ الدِّينِ

مَلِكٌ إِذَا عَلِقَتْ يَدٌ بِذِمَامِهِ
عَلِقَتْ بِحَبْلٍ فِي الوَفَاءِ مَتِينِ (٥)

---

(١) نصب وصل مفعولا معه، ويجوز جره عطفا على الضمير إلا أنه مرجوح، إذ كان الأفصح إعادة حرف الجر مع المعطوف (٢) باللحاظهن بفتح اللام: مؤخر العين مما يلى الصدغ، أوسمة تحت العين، وبكسر اللام: باطن العين، ولوين: مطلن، وديونى: عهودى ومودتى (٣) أربى: زاد (٤) وهذا من أحسن مايتخلص به من الغزل إلى المدح. (٥) الذمام: الحرمة والجاه، والمتين: القوى « عبد الخالق »

قَادَ الْجِيَادَ مَعَاقِلًا[1] وَإِنِ اكْتَفَى
بِمَعَاقِلٍ مِنْ رَأْيِهِ وَحُصُونِ
سَهِرَتْ جُفُونُ عِدَاهُ خِيفَةَ فَاتِحٍ
خُلِقَتْ صَوَارِمُهُ بِغَيْرِ جُفُونِ
لَوْ أَنَّ لِلَّيْثِ الْهِزَبْرِ سُطَاهُ[2] لَمْ
يَلْجَأْ إِلَى غَابٍ لَهُ وَعَرِينِ
أَضْحَتْ دِمَشْقُ وَقَدْ حَلَلْتَ بِجَوِّهَا
مَأْوَى الضَّعِيفِ وَمَوْئِلَ الْمِسْكِينِ
لَكَ عِفَّةٌ فِي قُدْرَةٍ وَتَوَاضُعٌ فِي عِزَّةٍ وَصَرَامَةٌ فِي لِينِ
وَأَرَيْتَنَا بِجَمِيلِ صُنْعِكَ مَا رَوَى الرْ
رَاوُونَ عَنْ أُمَمٍ خَلَتْ وَقُرُونِ
وَضَمِنْتَ أَنْ تُحْيِي لَنَا أَيَّامَهُمْ
بِالْمَكْرُمَاتِ فَكُنْتَ خَيْرَ ضَمِينِ
كَادَ الْأَعَادِي أَنْ يُصِيبَكَ كَيْدُهَا
لَوْ لَمْ تَكِدْكَ بِرَأْيِهَا الْمَأْفُونِ[3]
تُخْفِي عَدَاوَتَهَا وَرَاءَ بَشَاشَةٍ فَتَشِفُّ عَنْ نَظَرٍ لَهَا مَشْفُونِ[4]

(١) المعاقل جمع معقل : وهو الجبل المرتفع ، أى سيرها فى الجبال المرتفعة ، فمعاقلا منصوب على نزع الخافض ، أو المعقل : الحصن (٢) جمع سطوة .

(٣) المأفون من الرأى : الضعيف (٤) فتشف : تبين وتكشف ، ومشفون : من شفنه : إذا نظر إليه بمؤخر عينه بغضاً

دَفَنَتْ حبائلَ مكرِها فرددتها
تبلَى بغيظِ صدورِها المدفونِ (١)
وَعلِمتَ ما أخفوْا كأنَّ قلوبَهمْ
أفضتْ إليكَ بسِرِّها المخزونِ (٢)
فهوتْ نجومُ سعودِهمْ وقضى لهمْ
بالنَّحسِ طائرُ جدِّكَ الميمونِ

وأمَّا قصيدته الثانية فهى (٣):

حتَّامَ أرضى فِى هواكَ وتغضبُ
وإلَى متى تجنِى علَىَّ وتعتبُ ؟؟
ما كانَ لِى لَوْلا ملالُكَ زلَّةٌ لمَّا مللتَ زعمتَ أنِّى مذنبُ
خُذْ فى أفانينِ الصدودِ فإنَّ لِى
قلباً علَى العِلاتِ لا يتقلَّبُ
أتظنُّنِى أضمرْتُ يوماً سلوةً
هيهاتَ عطفكَ مِنْ سلُوِّى أقربُ
لِى فيكَ نارُ جوانحٍ لا تنطفِى
شوْقاً وماءُ مدامعٍ لا ينضبُ

(١) الحبائل جمع حبالة : وهى المصيدة . وتبلى فى الديوان : « تدوى » ، والمدفون : المستور . (٢) أفضت إليك الخ : أى أعلمتك . والمخزون : المكتوم

(٣) راجع ص ٢٢ من الديوان .

أَنَسِيتَ أَيَّاماً لَنَا وَلَيَالِياً لِلَّهْوِ فِيهَا وَالْخَلَاعَةِ مَلْعَبُ
أَيَّامَ لَا الْوَاشِي يَشِي بِتَوَلُّهِي
بِكَ لِلرَّقِيبِ وَلَا الْعَذُولُ يُؤَنِّبُ
قَدْ كُنْتَ تُصْفِينِي الْمَوَدَّةَ رَاكِباً
فِي الْحُبِّ مِنْ أَخْطَارِهِ مَا أَرْكَبُ
وَالْيَوْمَ أَقْنَعُ أَنْ يَمُرَّ بِمَضْجَعِي
فِي النَّوْمِ طَيْفُ خَيَالِكِ الْمُتَأَوِّبِ (١)
قَالَتْ وَرِيعَتْ مِنْ بَيَاضِ مَفَارِقِي
وَنُحُولِ جِسْمِي بَانَ عَنْكَ الْأَطْيَبُ (٢)
إِنْ تَنْقِمِي سُقْمِي فَخَصْرُكِ نَاحِلٌ
أَوْ تُنْكِرِي شَيْبِي فَثَغْرُكِ أَشْنَبُ (٣)
يَا طَالِباً بَعْدَ الْمَشِيبِ غَضَارَةً
مِنْ عَيْشِهِ ذَهَبَ الزَّمَانُ الْمُذْهَبُ (٤)
أَتَرُومُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ تَعُدُّهَا
وَصْلَ الدُّمَى (٥) ؟ هَيْهَاتَ عَزَّ الْمَطْلَبُ

---

(١) أى الآتى ليلا (٢) بان : انقطع وفارق ، والمراد أن الشباب فارقه
(٣) أشنب : أبيض ، ويزيد ذلك فى حسنها (٤) الغضارة : النعمة وطيب العيش ، أو السعة والخصب ، والمذهب : المطلى بالذهب (٥) أتروم : أتطلب وترجو ، والدمى : الصورة من العاج تضرب مثلا فى الحسن ، يقال : هو « أحسن من الدمية » ويكنى بذلك عن النساء ، كما قال الحريرى فى مقامته الرملية :

—

لَوْلَا الْهوَى الْعُذْرِىُّ يَا دَارَ الْهوَى
مَا هَاجَ لِى ذِكْرَاكِ بَرْقٌ خُلَّبُ (١)

كَلَّا وَلَا اُسْتَسْقَيْتُ لِلطَّلَلِ الْحَيَا
وَنَدَا صَلَاحِ الدِّينِ هَامٍ صَيِّبُ

ثُمَّ مَضَى فِى الْمَدْحِ فَأَجَادَ وَأَحْسَنَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَنَكْتَفِى بِإِيرَادِ أَبْيَاتٍ مِنْ مَدِيحِهَا قَالَ :

فَلَا يُضْجِرَنْكَ ازْدِحَامُ الْوُفُودِ عَلَيْكَ وَكَثْرَةُ مَا تَبْذُلُ
فَإِنَّكَ فِى زَمَنٍ لَيْسَ فِيهِ جَوَادٌ سِوَاكَ وَلَا مُفْضِلُ
وَقَدْ قَلَّ فِى أَهْلِهِ الْمُنْعِمُونَ وَقَدْ كَثُرَ الْبَائِسُ الْمُرْمِلُ
وَمَا فِيهِ غَيْرُكَ مَنْ يُسْتَمَاحُ وَمَا فِيهِ إِلَّاكَ مَنْ يُسْأَلُ

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَنْدُبُ بَصَرَهُ :

لَقَدْ رَمَتْنِي رُمِيتْ بِالْأَذَى بِنَكْبَةٍ قَاصِمَةِ الظَّهْرِ (٢)

— قد نبا الدهر هجرت الدمي هجران عف آخذ خدره

وتركيب البيت هكذا :

أتروم وصل الدمي بعـــــد أربعين حال كونك تعدها

(١) الهوى العذرى : ما كان على عفاف ، نسبة إلى بنى عذرة ، قبيلة عرف فيها العفاف فى الحب ، وضرب بها المثل فى العفة ، والبرق الخلب : الذى يكون فى سحاب خلب ، وهو الذى لا مطر فيه فكأنه يخدع . (٢) رمتنى الخ : أصابتنى والضمير للأيام ، وقوله رميت بالأذى : جملة دعائية ، أى رماها الله بكل مكروه ، وقوله بنكبة الخ : متعلق بقوله رمتنى ، والنكبة : المصيبة ، وقاصمة الظهر : كاسرته ، كناية عن إهلاكها له .

« عبد الخالق »

وَأَوْتَرَتْ فِي مُقْلَتِي قَلَّمَا ... عَلِمْتُهَا بَاتَتْ عَلَى وِتْرِ
جَوْهَرَةٌ كُنْتُ ضَنِينًا بِهَا ... نَفِيسَةَ الْقِيمَةِ وَالْقَدْرِ
إِنْ أَنَا لَمْ أَبْكِ عَلَيْهَا دَمًا ... فَضْلًا عَنِ الدَّمْعِ فَمَا عُذْرِى ؟
مَالِىَ لَا أَبْكِى عَلَى فَقْدِهَا ... بُكَاءَ خَنْسَاءَ عَلَى صَخْرِ (١)

وَقَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ مِنْ أَبْيَاتٍ :

حَالَانِ مَسَّنِي الْحَوَا ... دِثُ مِنْهُمَا بِفَجِيعَتَيْنِ
إِظْلَامُ عَيْنٍ فِي ضِيَا ... ءِ مِنْ مَشِيبٍ سَرْمَدَيْنِ (٢)
صُبْحٌ وَإِمْسَاءٌ مَعًا ... لَا خِلْفَةٌ فَاعْجَبْ لِذَيْنِ
قَدْ رُحْتُ فِي الدُّنْيَا مِنَ السْـ ... ـسَرَّاءِ صِفْرَ الرَّاحَتَيْنِ
أَسْوَانَ لَا حَيٌّ وَلَا ... مَيْتٌ كَهَمْزَةِ بَيْنَ بَيْنِ (٣)

وَقَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ مِنْ أَبْيَاتٍ :

فَهَا أَنَا كَالْمَقْبُورِ فِي كِسْرِ مَنْزِلِي
سَوَاءٌ صَبَاحِي عِنْدَهُ وَمَسَائِي

---

(١) الخنساء : أخت صخر بن عمرو بن الشريد السلمى ، أغار على بنى أسد بن خزيمة فأصيب بنبلة مسمومة اعتل منها ثم مات ، فلزمت قبره تبكى عليه وترثيه حتى ماتت ، ومن مراثيها فيه قولها :

يذكرنى طلوع الشمس صخراً ... وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى

إلى آخر ما قالت .

(٢) سرمدين : دائمين ، ثم شبهها بقوله : صبح وإمساء الخ ، فشبه ظلام عينه بالامساء بجامع الظلمة ، وشبه الشيب بالصباح بجامع البياض ، ولا خلفة فى البيت بعده : أى لا يتعاقبان ، على حد قوله تعالى : « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة » أى متعاقبين

(٣) كان القياس بين بين بفتحتين لأنه ظرف مركب ، وإنما كسر الثانى للشعر .

يَرِقُّ وَيَبْكِى حَاسِدِى لِىَ رَحْمَةً
وَبُعْداً لَهَا مِنْ رِقَّةٍ وَبُكَاءِ

وَقَالَ فِى الشَّيْخُوخَةِ :

مَنْ شَبَّهَ الْعُمْرَ بِالْكَاسِ يَرْسُو قَذَاهُ وَيَرْسُبُ فِى أَسْفَلِهْ
فَإِنِّى رَأَيْتُ الْقَذَى طَافِياً عَلَى صَفْحَةِ الْكَاسِ مِنْ أَوَّلِهْ

وَقَالَ فِى الْهَرَمِ أَيْضاً :

وَعُلُوُّ السِّنِّ قَدْ كَسْـ ـسَرَ بِالشَّيْبِ نَشَاطِى
كَيْفَ سَمَوْهُ عُلُوّاً وَهُوَ أَخْذٌ فِى انْحِطَاطِ

وَقَالَ فِى ذَلِكَ أَيْضاً :

أَسِفْتُ وَقَدْ نَفَتْ عَنِّى اللَّيَالِى جَدِيداً مِنْ شَبَابٍ مُسْتَعَارِ
وَكَانَ يُقِيمُ عُذْرِى فِى زَمَانِ الصْـ
ـصِبَا لَوْنُ الشَّبِيبَةِ فِى عِذَارِى
وَلَمْ أَكْرَهْ بَيَاضَ الشَّيْبِ إِلَّا
لِأَنَّ الْعَيْبَ يَظْهَرُ فِى النَّهَارِ

وَقَالَ أَيْضاً :

سَقَاكِ سَارٍ مِنَ الْوَسْمِىِّ هَتَّانُ
وَلَا رَقَتْ (١) لِلْغَوَادِى فِيكِ أَجْفَانُ

---

(١) رقت أصلها رقأت ، من رقأ الدمع : سكن ، وكذلك المطر .

يَا دَارَ لَهْوِى وَإِطْرَابِى وَمَعْهَدَ أَتْـ
ـرَابِى وَلِلَّهْوِ أَوْطَارٌ وَأَوْطَانُ

أَعَائِدٌ لِىَ مَاضٍ مِنْ جَدِيدِ هَوًى
أَبْلَيْتُهُ وَشَبَابٌ فِيكِ فَيْنَانُ (١) ؟

إِذِ الرَّقِيبُ لَنَا عَيْنٌ مُسَاعِدَةٌ
وَالْـكَاشِحُونَ لَنَا فِى الْحُبِّ أَعْوَانُ

وَإِذْ جَمِيلَةُ تُولِينِى الْجَمِيلَ وَعِنْـ
ـدَ الْغَانِيَاتِ وَرَاءَ الْحُسْنِ إِحْسَانُ

وَلِى إِلَى الْبَانِ مِنْ رَمْلِ الْحِمَى طَرَبٌ
فَالْيَوْمَ لَا الرَّمْلُ يُصْبِينِى وَلَا الْبَانُ

وَمَا عَسَى يُدْرِكُ الْمُشْتَاقُ مِنْ وَطَرٍ
إِذَا بَكَى الرَّبْعَ ، وَالْأَحْبَابُ قَدْ بَانُوا

إِنَّ الْمَغَانِى مَعَانٍ وَالْمَنَازِلَ أَمْـ
ـوَاتٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ سُكَّانُ

لِلَّهِ كَمْ قَمَرَتْ لُبِّى (٢) بِجَوِّكِ أَقْـ
ـمَارٌ وَكَمْ غَازَلَتْنِى فِيكِ غِزْلَانُ

وَلَيْلَةٍ بَاتَ يَجْلُو الرَّاحَ مِنْ يَدِهِ
فِيهَا أَغَنُّ خَفِيفُ الرُّوحِ جَذْلَانُ

(١) أى غض ناعم (٢) قمرت لبي : غلبته من المقامرة ، تقول : قامرته فقمرته .

خَالٍ مِنَ الْهَمِّ فِى خَلْخَالِهِ حَرَجٌ
فَقَلْبُهُ فَارِغٌ وَالْقَلْبُ مَلْآنُ
يُذْكِى الْجَوَى بَارِدٌ مِنْ رِيقِهِ شَبِمٌ
وَيُوقِدُ الظَّرْفَ طَرْفٌ مِنْهُ وَسْنَانُ (١)
إِنْ يُمْسِ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ فَلِى
قَلْبٌ إِلَى رِيقِهِ الْمَعْسُولِ ظَمْآنُ
بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةٌ
مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لِلْأَغْمَادِ أَجْفَانُ
فَكَيْفَ أَصْحُو غَرَامًا أَوْ أُفِيقُ جَوًى
وَقَدُّهُ ثَمِلٌ بِالتِّيهِ نَشْوَانُ ؟ ؟
أَفْدِيهِ مِنْ غَادِرٍ بِالْعَهْدِ غَادَرَنِى
صُدُودُهُ وَدُمُوعِى فِيهِ غُدْرَانُ (٢)
فِى خَدِّهِ وَثَنَايَاهُ وَمُقْلَتِهِ وَفِى عِذَارَيْهِ لِلْعُشَّاقِ بُسْتَانُ
شَقَائِقٌ وَأَقَاحٍ نَبْتُهُ خَضِلٌ (٣)
وَنَرْجِسٌ أَنَا مِنْهُ الدَّهْرَ سَكْرَانُ

---

(١) شبم : شديد البرودة ، ووسنان : نعسان ، إن من بلاغة القول أن يجمل الاذكاء وهو اشتعال النار من برودة الريق ، وفى الديوان : « الوجد بدل الظرف » .

(٢) غدران جمع غدير : وهو ماء كثير فيه حشائش (٣) شقائق ويقال لها شقائق النعمان : نبت بستانى أحمر ، والأقاحى : جمع أقحوان : وهو زهر البابونج ، والخضل : المبلل بالماء . « عبد الخالق »

وَكَانَ لَهُ رَاتِبٌ فِي الدِّيوَانِ فَلَمَّا عَمِيَ طَلَبَ أَنْ يُجْعَلَ بِاسْمِ أَوْلَادِهِ، ثُمَّ كَتَبَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَرَفَعَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ الْتَمَسَ بِهَا تَجْدِيدَ رَاتِبٍ مُدَّةَ حَيَاتِهِ :

خَلِيفَةَ اللهِ أَنْتَ بِالدِّينِ وَالدْ ... دُنْيَا وَأَمْرِ الْإِسْلَامِ مُضْطَلِعُ(١)

أَنْتَ لِمَا سَنَّهُ الْأَئِمَّةُ أَعْـ ... ـلَامُ الْهُدَى مُقْتَفٍ وَمُتَّبِعُ

قَدْ عَدِمَ الْعُدْمُ فِي زَمَانِكَ وَالْجَوْ ... رُ مَعًا وَالْخِلَافُ وَالْبِدَعُ

فَالنَّاسُ فِي الشَّرْعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْ ... إِحْسَانِ وَالْعَدْلِ كُلُّهُمْ شَرَعُ(٢)

يَا مَلِكًا يَرْدَعُ الْحَوَادِثَ وَالْ ... أَيَّامَ عَنْ ظُلْمِهَا فَتَرْتَدِعُ

وَمَنْ لَهُ أَنْعُمٌ مُكَرَّرَةٌ ... لَنَا مَصِيفٌ مِنْهَا وَمُرْتَبَعُ

أَرْضِي قَدْ أَجْدَبَتْ وَلَيْسَ لِمَنْ ... أَجْدَبَ يَوْمًا سِوَاكَ مُنْتَجَعُ(٣)

وَلِي عِيَالٌ لَا دَرَّ دَرُّهُمُ ... قَدْ أَكَلُوا دَهْرَهُمْ وَمَا شَبِعُوا

إِذَا رَأَوْنِي ذَا ثَرْوَةٍ جَلَسُوا ... حَوْلِي وَمَالُوا إِلَيَّ وَاجْتَمَعُوا

وَطَالَمَا قَطَّعُوا حِبَالِيَ إِعْـ ... ـرَاضًا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعِي قِطَعُ

يَمْشُونَ حَوْلِيَ شَتَّى كَأَنَّهُمُ ... عَقَارِبٌ كُلَّمَا سَعَوْا لَسَعُوا

فَمِنْهُمُ الطِّفْلُ وَالْمُرَاهِقُ وَالرْ ... رَضِيعُ يَحْبُو وَالْكَهْلُ وَالْيَفَعُ

(١) مضطلع من اضطلع بالأمر : قام به عن جدارة وقوة احتمال . (٢) أى سواء .
(٣) أى مرتاد للمرعى .

لَا قَارِحٌ مِنْهُمْ أُؤَمِّلُ أَنْ يَنَالَنِي خَيْرُهُ وَلَا جَذَعُ
لَهُمْ حُلُوقٌ تُفْضِي إِلَى مِعَدٍ تَحْمِلُ فِي الْأَكْلِ فَوْقَ مَا تَسَعُ
مِنْ كُلِّ رَحْبِ الْمِعَاءِ أَجْوَفَ نَا رِيِّ الْحَشَا لَا يَمَسُّهُ الشِّبَعُ
لَا يُحْسِنُ الْمَضْغَ فَهْوَ يَطْرَحُ فِي فِيهِ بِلَا كُلْفَةٍ وَيَبْتَلِعُ
وَلِي حَدِيثٌ يُلْهِي وَيُعْجِبُ مَنْ يُوسِعُ لِي خُلْقَهُ وَيَسْتَمِعُ
نَقَلْتُ رَسْمِي (١) جَهْلًا إِلَى وَلَدٍ لَسْتُ بِهِمْ مَا حَيِيتُ أَنْتَفِعُ
نَظَرْتُ فِي نَفْعِهِمْ وَمَا أَنَا فِي اجْـ ـتِلَابِ نَفْعِ الْأَوْلَادِ مُبْتَدِعُ
وَقُلْتُ هَذَا بَعْدِي يَكُونُ لَكُمْ فَمَا أَطَاعُوا أَمْرِي وَلَا سَمِعُوا
وَاخْتَلَسُوهُ مِنِّي فَمَا تَرَكُوا عَيْنِي عَلَيْهِ وَلَا يَدِي تَقَعُ
فَبِئْسَ وَاللهِ مَا صَنَعْتُ فَأَضْـ ـرَرْتُ بِنَفْسِي وَبِئْسَ مَا صَنَعُوا
فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَمْرًا يَزُولُ بِهِ الْـ ـخِصَامُ مِنْ بَيْنِنَا وَيَرْتَفِعُ
فَاسْتَأْنِفُوا لِي رَسْمًا أَعُودُ عَلَى ضَنْكِ مَعَاشِي بِهِ فَيَتَّسِعُ
وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَتَيْتُ بِهَا خَدِيعَةً فَالْكَرِيمُ يَنْخَدِعُ
حَاشَا لِرَسْمِ الْكَرِيمِ يُنْسَخُ مِنْ نَسْخِ دَوَاوِينِكُمْ فَيَنْقَطِعُ

---

(١) أى راتبي المعين لى

فَوَقِّعُوا لِي بِمَا سَأَلْتُ فَقَدْ
أَطْمَعْتُ نَفْسِي وَاسْتَحْكَمَ الطَّمَعُ
وَلَا تُطِيلُوا مَعِي فَلَسْتُ وَلَوْ دَفَعْتُمُونِي بِالرَّاحِ (١) أَنْدَفِعُ
وَحَالِفُونِي أَلَّا تَعُودَ يَدِي تَرْفَعُ فِي ثِقْلِهِ وَلَا تَضَعُ

وَكُلُّ شِعْرِ أَبِي الْفَتْحِ غُرَرٌ وَدِيوَانُهُ كَبِيرٌ يَدْخُلُ فِي مُجَلَّدَيْنِ ، جَمَعَهُ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يُضَرَّ وَافْتَتَحَهُ بِخُطْبَةٍ لَطِيفَةٍ وَرَتَّبَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ ، وَمَا حَدَثَ مِنْ شِعْرِهِ بَعْدَ الْعَمَى سَمَّاهُ الزِّيَادَاتِ ، وَهِيَ مُلْحَقَةٌ بِبَعْضِ نُسَخِ دِيوَانِهِ الْمُتَدَاوَلَةِ ، وَبَعْضُ النُّسَخِ خِلْوٌ مِنْهَا .

وَلَهُ كِتَابٌ سَمَّاهُ الْحَجَبَةَ وَالْحُجَّابَ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ وَنُسَخُهُ قَلِيلَةٌ . وُلِدَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ التَّعَاوِيذِيِّ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي ثَانِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ أَبْرَز .

﴿ ٧٢ – مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ بُلْبُلٍ * ﴾

أَبُو عَبْدِ اللهِ . لُغَوِيٌّ نَحْوِيٌّ ، صَحِبَ السِّيرَافِيَّ وَالْفَارِسِيَّ وَرَوَى عَنْهُ كِتَابَهُ الْحُجَّةَ فِي الْقِرَاءَاتِ ، وَسَمِعَهُ ابْنُ بِشْرَانَ — محمد بن عثمان ابن بلبل

(١) الراح جمع راحة ، مثل حاجة وحاج : الأكف

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة

النَّحْوِىُّ ، وَقَرَأَ عَلَى ابْنِ خَالَوَيْهِ وَبَرَعَ فِى الشِّعْرِ وَالْأَدَبِ ، وَتُوُفِّىَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ الْوَزِيرَ سَابُورَ

أَضْحَى الرَّجَاءُ لِبَرْقِ جُودِكَ شَائِمًا
وَارْتَادَ رَوْضَ الْحَمْدِ وَهْفًا نَاعِمًا
سَمَّيْتُ نَفْسِى إِذْ رَجَوْتُكَ وَاثِقًا
وَدَعَوْتُهَا لَكَ ـ مُذْ خَدَمْتُكَ ـ خَادِمًا
فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ الَّتِى
عَقَدَتْ عَلَىَّ مِنَ الْخُطُوبِ تَمَائِمًا
لَا زَالَ جَدُّكَ لِلْعَدُوِّ مُزَاحِمًا يَعْلُو وَآنَافُ الْبُغَاةِ رَوَاغِمًا[1]

٧٣ — مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَسِيحٍ *

محمد بن عثمان الشيبانى

أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِالْجَعْدِ ، الشَّيْبَانِىُّ النَّحْوِىُّ ، أَحَدُ أَصْحَابِ أَبِى الْحَسَنِ بْنِ كَيْسَانَ ، كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُضَلَاءِ مُقَدَّمًا فِى النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْأَلِفَاتِ ، وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ ، كِتَابُ مَعَانِى الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ ، الْمُخْتَصَرُ فِى النَّحْوِ ، كِتَابُ الْهِجَاءِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ

(١) البغاة : هم الخارجون عن طاعة الامام ، والرواغم : الأذلاء ، يقال رغم أنفه : كان فى الرغام وهو التراب . «عبد الخالق»

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الْمذكَّرِ وَالْمؤَنَّثِ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ ، كِتَابُ خلْقِ الْإِنْسَانِ ، كِتَابُ الفرقِ ، مَاتَ سَنَةَ نيفٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمائةٍ .

﴿ ٧٤ – مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَبْرَجٍ * ﴾

محمد بن على العتابى

أَبُو مَنْصُورِ بْنُ أَبِي الْبَقَاءِ الْعَتَّابِيُّ الْبَغْدَادِيُّ ، قَرَأَ النَّحْوَ عَلَى أَبِي السَّعَادَاتِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الشَّجَرِيِّ ، وَاللُّغَةَ عَلَى أَبِي مَنْصُورٍ مَوْهُوبِ بْنِ أَحْمَدَ الْجَوَالِيقِيِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ جَدِّهِ لِأُمِّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ قُرَيْشٍ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ هِبَةِ اللهِ ابْنِ الْحُصَيْنِ ، وَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الْأَنْصَارِيِّ ، سَمِعَ مِنْهُ الْقَاضِي أَبُو الْمَحَاسِنِ عُمَرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْخَضِرِ الْقُرَشِيُّ ، وَأَبُو الْمَفَاخِرِ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْفُوظٍ الْجَرْبَاذَقَانِيُّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَعِيشَ بْنِ سَعْدَانَ الْقَوَارِيرِيُّ ، كَانَ إِمَامًا فِي النَّحْوِ وَالْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَصَدَّرَ لِلْقُرَّاءِ (١) ، وَكَتَبَ الْخَطَّ الْمَلِيحَ مَعَ الصِّحَّةِ وَالضَّبْطِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ الْبَغْدَادِيِّ النَّحْوِيِّ مُنَافَرَاتٌ وَمُنَاظَرَاتٌ ، وُلِدَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَمَاتَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ خَامِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمائَةٍ .

---

(١) تصدر للقراء : كان صدراً لهم ، أى رئيسا ، أقول ولعلها تصدر للقراءة : أى ليقرىء الناس « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

٧٥ – مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ *

محمد بن على الحلى

أَبُو عُبَيْدِ اللهِ الْحِلِّيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حُمَيْدَةَ النَّحْوِيُّ، كَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، قَرَأَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ الْبَغْدَادِيِّ وَلَازَمَهُ حَتَّى بَرَعَ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا: شَرْحُ أَبْيَاتِ الْجُمَلِ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ، شَرْحُ اللُّمَعِ لِابْنِ جِنِّيٍّ، وَشَرْحُ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ، وَكِتَابُ التَّصْرِيفِ، وَالرَّوْضَةُ فِي النَّحْوِ، وَالْأَدَوَاتُ فِي النَّحْوِ أَيْضًا، وَكِتَابُ الْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ هَارُونَ الْحِلِّيُّ قَالَ: أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُمَيْدَةَ الْحِلِّيُّ لِنَفْسِهِ:

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ وَالرُّبَا ... وَأَهْلًا بِأَرْبَابِ الْقِبَابِ وَمَرْحَبَا
وَسَقْيًا لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ وَأَهْلِهَا ... وَرَعْيًا لِأَرْبَابِ الْخُدُورِ بِيَثْرِبَا
أَحِنُّ لِتَيَّاكَ الْحِجَالِ وَإِنْ غَدَتْ ... رَبَائِبُهَا تُبْدِي إِلَيَّ التَّجَنُّبَا
وَأَصْبُو لِرَبْعِ الْعَامِرِيَّةِ كُلَّمَا ... تَذَكَّرْتُ مِنْ جَرْعَائِهَا(١) لِي مَلْعَبَا

(١) الجرعاء: رملة يقال لها جرعاء مالك وقد تقدم ذكرها فى بيت سبق لذى الرمة:

وما استجلب العينين إلا منازل ... بجمهور حزوى أو بجرعاء مالك

وأصل اشتقاقها من الجرعة بالتحريك أو بالسكون: مكان قرب الكوفة فيه سهولة ورمل.

فَلاَ هَمَّ إِلاَّ دُونَ هَمِّى غُدْوَةً
إِذَا جَرَتِ النَّكْبَاءُ أَوْ هَبَّتِ الصَّبَا (١)

٧٦ — مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى سَارَّةَ عَلِىٍّ (*)

محمد بن على الرؤاسى

أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِىُّ ابْنُ أَخِى مُعَاذٍ الْهَرَّاءِ ، سُمِّىَ الرُّؤَاسِىَّ لِعِظَمِ رَأْسِهِ ، كَانَ إِمَاماً فِى النَّحْوِ بَارِعًا فِى الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ أُسْتَاذُ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِىِّ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ دَرَسْتَوَيْهِ : زَعَمَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ : أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ كِتَابًا فِى النَّحْوِ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِىُّ وَكَانَ يَقُولُ : كَانَ الرُّؤَاسِىُّ أُسْتَاذَ الْكِسَائِىِّ وَالْفَرَّاءِ ، وَقَالَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الْفَرَّاءُ : لَمَّا خَرَجَ الْكِسَائِىُّ إِلَى بَغْدَادَ قَالَ لِى الرُّؤَاسِىُّ : قَدْ خَرَجَ الْكِسَائِىُّ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْتَ أَمْيَزُ مِنْهُ ، فَجِئْتُ إِلَى بَغْدَادَ فَرَأَيْتُ الْكِسَائِىَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسَائِلِ الرُّؤَاسِىِّ فَأَجَابَنِى بِخِلاَفِ مَا عِنْدِى ، فَغَمَزْتُ قَوْماً مِنْ عُلَمَاءِ الْكُوفِيِّينَ كَانُوا

---

(١) النكباء مؤنث الأنكب : ريح انحرفت عن مهب الرياح القوم ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال ، والصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش مؤنثة ، وتهب من الجهة الشرقية ويقابلها الدبور ؛ وهى التى تهب من الجهة الغربية

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، وترجم له فى كتاب نزهة الألباء بما يكاد يكون نص الترجمة هاهنا .

معِي فقالَ الكِسائِيُّ : مالكَ قدْ أنكرْتَ ؟ لعلَّكَ مِنْ أهلِ الكوفةِ فقلتُ نعمْ ، فقالَ : الرُّؤاسِىُّ يقولُ كذا وكذا وليسَ صوابًا ، فقدْ سمعْتُ العربَ تقولُ كذا وكذا حتَّى أتى علَى مسائِلِ الرُّؤاسِىِّ (١) فلزمتُهُ .

وحُكِيَ عنِ الرُّؤاسِىِّ أنَّهُ قالَ : أرسلَ إلَى الخليلُ بنُ أحمدَ يطلُبُ كِتابِي فبعثتُهُ إليهِ فقرأهُ ووضعَ كِتابَهُ ، وكانَ أبُو جعفرٍ الرُّؤاسِىُّ رجُلًا صالحًا ورعًا ، ولهُ تصانيفُ كثيرةٌ منْها : كِتابُ معانِى القرْآنِ ، كِتابُ الوقفِ والابتِداءِ الكبيرِ ، كِتابُ الوقفِ والابتِداءِ الصغيرُ ، والفيْصلُ فِى العربِيَّةِ ، وكِتابُ التَّصغيرِ وغيْرُ ذلِكَ .

﴿ ٧٧ — مُحمَّدُ بْنُ علِىِّ بْنِ إسْماعيلَ العَسْكرِىُّ * ﴾

محمد بن على العسكرى أبُو بكرٍ المعْرُوفُ بِمبْرمانٍ (٢) النَّحْوِىُّ ، أخذَ عنِ المُبرِّدِ

(١) لم تكن هذه الكلمة فى الاصل (٢) قال فى القاموس : مبرمان أبو بكر الأزمي نسبة إلى أزم كجبل ، قال ياقوت فى معجم البلدان : منزل بين سوق الأهواز ورامهرمز ، منه محمد بن على المبرمان النحوى وفيه يقول :

من كان يأثر عن آبائه شرفا فأصلنا أزم أصطمه (١) الخوز

(١) الأصطم بالصاد والسين : مجتمع الشيء أو وسطه ، وهو بضم الهمزة وسكون الصاد وضم الطاء وشد الميم ، والخوز بضم أوله وسكون ثانيه : الجيل من الناس يوصفون بالخسة والدناءة ، واسم لجميع بلاد خوزستان . « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الزَّجَّاجِ وَأَكْثَرَ عَنْهُ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ السِّيرَافِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي النَّحْوِ قَيِّمًا بِهِ ، وَكَانَ مَعَ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ سَخِيفًا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَمْضِيَ لِمَصْلَحَةٍ طَرَحَ نَفْسَهُ فِي طَبَقِ حَمَّالٍ[1] وَشَدَّهُ بِحَبْلٍ ، وَرُبَّمَا كَانَ مَعَهُ مَا يَتَنَقَّلُ بِهِ نَحْوَ نَبْقٍ وَغَيْرِهِ فَيَأْكُلُ وَيَرْمِي النَّاسَ بِالنَّوَى يَتَعَمَّدُ رُءُوسَهُمْ ، وَرُبَّمَا بَالَ عَلَى رَأْسِ الْحَمَّالِ فَإِذَا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ اعْتَذَرَ ، وَقَالَ بَعْضُ مُعَاصِرِيهِ يَهْجُوهُ :

صُدَاعٌ مِنْ كَلَامِكَ يَعْتَرِينَا[2] ... وَمَا فِيهِ لِمُسْتَمِعٍ بَيَانُ
مُكَابَرَةٌ وَمَخْرَقَةٌ وَبُهْتٌ ... لَقَدْ أَبْرَمْتَنَا[3] يَا مَبْرَمَانُ

وَكَانَ الْمُبَرِّدُ يَقُولُ : تَلَامِيذُ أَبِي رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا التَّكْلَابَاذِيُّ يَقْرَأُ عَلَى أَبِي ثُمَّ يَقُولُ : قَالَ الْمَازِنِيُّ فَيَعْلُو ، وَالْآخَرُ مَبْرَمَانُ يَقْرَأُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ : قَالَ الزَّجَّاجُ فَيَسْفُلُ . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَبْرَمَانُ ضَنِينًا بِالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، لَا يُقْرِئُ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ إِلَّا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقَصَدَهُ أَبُو هَاشِمٍ الْجُبَّائِيُّ[4]

---

(١) أى غطاء كما فى الاثفة يلفه فيه ثم يحمله بعد أن يشد عليه الحبل

(٢) يعترينا : يغطينا ويغشانا (٣) مخرقة مصدر ميمى بمعنى الخرق بضم الخاء : ضعف الرأى ، والبهت : الكذب ، وأبرمتنا : أضجرتنا . (٤) أبو هاشم هذا هو ابن محمد بن على الجبائى المتكلم المعتزلى ، وابنه هذا عبدالسلام المكنى أبا هاشم مثل أبيه فى التكلم والاعتزال ينسبان إلى جبى : بلد أو كورة وهى من عمل خوزستان ، ولكن أباهاشم هذا كان بارعا فى العربية ففضل على أبيه بعلم الأدب ، وكان القياس أن يقال فيها عند النسب جبوى أو جباوى أو جبي إلا أنهم قالوا : جبائى بالمد شذوذا « عبد الخالق »

لِقراءةِ الكِتابِ عليهِ فقالَ لهُ مبرمان : قد عرفت الرَّسْمَ ؟ فقالَ أبو هاشمٍ نعمْ ، ولكنْ أسألكَ النظِرَةَ (١) وأحملُ إليكَ شيئاً يُساوِى أضعافَ الرَّسْمِ فأُودِعهُ عِندكَ إلى أنْ يَصِلَ إِلَىَّ مالٌ لى فى بغدادَ فأحملهُ إليكَ وأستردُّ الوديعةَ ، فتمنعَ قليلاً ثُمَّ أجابهُ ، فعمدَ أبو هاشمٍ إلى زِنفيلجةٍ حسنةٍ مُغشاةٍ بالأدمِ (٢) مُحلاةٍ ، فملأها حِجارةً وقفلها وختمها وحملها إلى مبرمانٍ فوضعها بينَ يديْهِ ، فلمَّا رأى منظرها وثِقلها لمْ يشكَّ فى حقيقةِ ما ذكرهُ ، فوضعها عِندهُ وأخذَ عنهُ ، فلمَّا ختمَ الكِتابَ قالَ لهُ المبرمانُ : احملْ إلَىَّ مالى قِبلكَ . فقالَ : أنفذْ معِى غُلامكَ حتَّى أدفعَ إليهِ الرَّسْمَ فأنفذهُ (٣) معهُ إلى منزلِهِ ، فلمَّا جاءَ أبو هاشمٍ إلى بيتِهِ كتبَ إلى مبرمانٍ رُقعةً يقولُ فيها : قدْ تأخرَ حضورُ المالِ وأرهقنِى السفرُ ، وقدْ أبحتُ لكَ التصرُّفَ فى الزِّنفيلجةِ وهذا خطِّى لكَ حُجةً بذلِكَ . وخرجَ أبو هاشمٍ لوقتِهِ إلى البصرةِ ومنها إلى بغدادَ ، فلمَّا وصلتِ الرُّقعةُ إلى مبرمانٍ استدعى

---

(١) أى الامهال ، قال تعالى : « فنظرة إلى ميسرة » (٢) الزنفلجة ، والزنفالجة ، والزنفليجة : وعاء أدوات الراعى ، فارسى معرب ، ومغشاة : مغطاة ، والأدم : الجلد .

(٣) كانت هذه الكلمة فى الأصل « فأنفذ » « عبد الخالق »

بالزَّنْفِيلجَةِ وفتحها فإذا فيها حِجارَةٌ فقالَ : سَخِرَ مِنَّا أَبُو هاشِمٍ — لا حيَّاهُ اللهُ — واحْتالَ علىَّ بما لَمْ يتِمّ لِغيرِهِ .

ولِابْنِ زمانٍ مِنَ الكُتُبِ : شَرْحُ كِتابِ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَتِمَّ ، وشَرْحُ شَواهِدِ سِيبَوَيْهِ ، كِتابُ المَجْمُوعِ عَلَى العِلَلِ ، والتَّلْقِينُ فِي النَّحْوِ ، والمَجارِى ، كِتابُ صِفَةِ شُكْرِ المُنْعِمِ ، وشَرْحُ كِتابِ الأَخْفَشِ وغَيْرُ ذلِكَ ، تُوُفِّىَ سَنَةَ خَمْسٍ وأَرْبَعِينَ وثَلاثِمائَةٍ .

٧٨ — مُحَمَّدُ بْنُ علِىِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ *

محمد بن على الواسطى

أَبُو الحَسَنِ بْنُ أَبِى الصَّقْرِ الواسِطِىُّ ، كانَ فَقِيهاً أَدِيباً شاعِراً ، تَفَقَّهَ فِى بَغْدادَ عَلَى أَبِى إِسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وعَلَّقَ عَنْهُ تَعْلِيقاتٍ وسَمِعَ مِنْهُ ومِنْ أَبِى بَكْرٍ الخَطِيبِ وأَبِى سَعْدٍ المُتَوَلِّى ، ورَوَى عَنْهُ أَبُو غالِبٍ الذُّهْلِىُّ والحافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ ناصِرِ الدِّينِ ، وأَبُو مَنْصُورٍ مَوْهُوبٌ الجَوالِيقِىُّ وغَيْرُهُمْ ، وكانَ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِمَذْهَبِ الإِمامِ الشّافِعِىِّ ، وظَهَرَ ذلِكَ فِى قَصائِدِهِ المَعْرُوفَةِ بِالشّافِعِيَّةِ ، وغَلَبَ عَلَيْهِ الأَدَبُ والشِّعْرُ فَبَرَعَ فِيهِما ، وجَوَّدَ الخَطَّ فَبَلَغَ فِيهِ الغايَةَ وجَمَعَ دِيوانَهُ فِى مُجَلَّدٍ ، ومِنْ شِعْرِهِ :

مَنْ عارَضَ اللهَ فِى مَشِيئَتِهِ فَما لَدَيْهِ مِنْ بَطْشِهِ خَبَرُ
لا يَقْدِرُ الخَلْقُ بِاجْتِهادِهِمُ إِلّا عَلَى ما جَرَى بِهِ القَدَرُ

(*) ترجم له كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج ثان .

وَقَالَ أَيْضاً :

كُلُّ رِزْقٍ تَرْجُوهُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَعْتَرِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّعْوِيقِ
وَأَنَا قَائِلٌ وَأَسْتَغْفِرُ الـ ـلَهَ مَقَالَ الْمَجَازِ لَا التَّحْقِيقِ
لَسْتُ أَرْضَى مِنْ فِعْلِ إِبْلِيسَ شَيْئاً
غَيْرَ تَرْكِ السُّجُودِ لِلْمَخْلُوقِ

وَقَالَ :

مَنْ قَالَ لِي جَاهٌ وَلِي حِشْمَةٌ وَلِي قَبُولٌ عِنْدَ مَوْلَانَا
وَلَمْ يَعُدْ ذَاكَ بِنَفْعٍ عَلَى صَدِيقِهِ لَا كَانَ مَنْ كَانَا [1]

وَقَالَ وَقَدْ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَعَجَزَ عَنِ الْمَشْيِ :

كُلُّ أَمْرٍ [2] إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ أَوْ تَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفاً
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيّاً
صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفاً [3]

وَحَضَرَ عَزَاءَ طِفْلٍ وَهُوَ يَرْتَعِشُ مِنَ الْكِبَرِ، فَتَغَامَزَ عَلَيْهِ الْحَاضِرُونَ يُشِيرُونَ إِلَى مَوْتِ الطِّفْلِ وَطُولِ حَيَاتِهِ مَعَ هَذِهِ السِّنِّ، فَفَطِنَ لَهُمْ وَقَالَ :

---

(١) من بمعنى إنسان ، يريد أي إنسان كان ، فهي حال وكان تامة ، سواء الأولى أم الثانية . (٢) في الأصل « كل مرء » ولكن في وفيات الأعيان كما أصلحنا .

(٣) يريد رجليه والعصا

إِذَا دَخَلَ الشَّيْخُ بَيْنَ الشَّبَابْ عَزَاءً[1] وَقَدْ مَاتَ طِفْلٌ صَغِيرْ
رَأَيْتَ اُعْتِرَاضًا عَلَى اللّٰهِ إِذْ تُوُفِّى الصَّغِيرُ وَعَاشَ الْكَبِيرْ
فَقُلْ لِابْنِ شَهْرٍ وَقُلْ لِابْنِ دَهْرٍ
وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ : هَذَا الْمَصِيرُ[2]

وَقَالَ أَيْضًا :

عِلَّةٌ سُمِّيَتْ ثَمَانِينَ عَامًا مَنَعَتْنِى لِلْأَصْدِقَاءِ الْقِيَامَا[3]
فَإِذَا عُمِّرُوا[4] تَمَهَّدَ عُذْرِى عِنْدَهُمْ بِالَّذِى ذَكَرْتُ وَقَامَا

وَقَالَ :

إِبْنُ أَبِى الصَّقْرِ اُفْتَكَرْ وَقَالَ فِى حَالِ الْكِبَرْ
وَاللّٰهِ لَوْلَا بَوْلَةٌ تَحْرِقُنِى وَقْتَ السَّحَرْ
لَمَا ذَكَرْتُ أَنَّ لِى مَا بَيْنَ فَخْذَىَّ ذَكَرْ

وَقَالَ :

وَحُرْمَةِ الْوُدِّ مَالِى عِنْدَكُمْ عِوَضٌ
لِأَنَّنِى لَيْسَ لِى فِى غَيْرِكُمْ غَرَضُ
أَشْتَاقُكُمْ وَبِوُدِّى لَوْ يُوَاصِلُنِى
لَكُمْ خَيَالٌ وَلَكِنْ لَسْتُ أَغْتَمِضُ

(١) العزاء بفتح العين مفعول لأجله : أى لأجل العزاء (٢) هذا المصير، يريد القصر أى لاغيره، لأنها جملة معرفة الطرفين فتفيد القصر (٣) يجعل العيش ثمانين عاما علة ، فهو يسميها علة والناس يسمونها عمراً وحياة (٤) أى عاشوا طويلا .

« عبد الخالق »

وَقَدْ شَرَطْتُ عَلَى صَحْبٍ صَحِبْتُهُمُ
بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَرَضُوا[١]
وَمِنْ حَدِيثِي بِكُمْ قَالُوا : بِهِ مَرَضٌ
فَقُلْتُ : لَا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ

وَقَالَ :

وَلَمَّا إِلَى عَشْرِ تِسْعِينَ صِرْتُ ... وَمَالِي إِلَيْهَا أَبٌ قَبْلُ صَارَا[٢]
تَيَقَّنْتُ أَنِّي مُسْتَبْدِلٌ ... بِدَارِى دَاراً وَبِالْجَارِ جَارَا
فَتُبْتُ إِلَى اللهِ مِمَّا مَضَى ... وَلَنْ يُدْخِلَ اللهُ مَنْ تَابَ نَارَا

وَكَانَ مَوْلِدُ ابْنِ أَبِي الصَّقْرِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

٧٩ - مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ *

محمد بن على ابن الجبان

أَبُو مَنْصُورِ بْنُ الْجَبَّانِ، أَحَدُ حَسَنَاتِ الرَّيِّ[٣] وَعُلَمَائِهَا الْأَعْيَانِ، جَيِّدُ الْمَعْرِفَةِ بِاللُّغَةِ، بَاقِعَةُ الْوَقْتِ[٤] وَفَرْدُ الدَّهْرِ،

(١) فرضوا : الفاء عاطفة ، ورضوا هو رضى مسند للواو (٢) يعنى العشرة الأخيرة المكملة للتسعين ، فهو قد وصل إلى هذا السن وأبوه لم يصل إليه .

(٣) الرى : مدينة فى بلاد الفرس، وقد تكلم عليها ياقوت فى معجم البلدان كثيرا وذكر لها مزايا ونقائص مما اقتبسه من قول الشعراء ، وذكر أن من حسناتها العلم بجميع أنواعه .

(٤) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شىء « عبد الخالق »

(٥) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَبحْرُ العِلْمِ وَرَوْضَةُ الْأَدَبِ ، تصَانِيفهُ سَائِرَةٌ فِى الآفَاقِ ، كَانَ مِنْ نُدَمَاءِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ثُمَّ اسْتَوْحَشَ مِنْهُ ، وَصَنَّفَ أَبْنِيَةَ الْأَفْعَالِ ، وَشَرْحَ الْفَصِيحِ وَالشَّامِلَ فِى اللُّغَةِ ، قُرِئَ عَلَيْهِ فِى سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمائَةٍ .

قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ : قَدِمَ أَصْبَهَانَ فَتَكَلَّمَ فِيهِ مِنْ قِبَلِ مَذْهَبِهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُسْنَدَ الرُّويَانِىِّ بِسَمَاعِهِ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ فَنَاكِى ، وَابْتُلِىَ بِحُبِّ غُلَامٍ يُقَالُ لَهُ الْبَرَكَانِىُّ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الْغُلَامَ حَجَّ فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ مُرَافَقَتِهِ ، فَلَمَّا أَحْرَمَ قَالَ : اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، وَالْبَرَكَانِىُّ سَاقِنِى إِلَيْكَ ، وَابْتُلِىَ بِفِرَاقِهِ وَبَرَّحَ بِهِ[1] فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

يَا وَحْشَتِى لِفِرَاقِكُمْ ... أَتُرَى يَدُومُ عَلَىَّ هَذَا ؟
أَلْمَوْتُ وَالْأَجَلُ الْمُتَا ... حُ وَكُلٌّ[2] مُعْضِلَةٍ وَلَاذَا

وَمِنْ كَلَامِهِ : قِيَاسَاتُ النَّحْوِ تَتَوَقَّفُ وَلَا تَطَّرِدُ كَقَمِيصٍ لَهُ جُرُبَّانَاتٌ[3] ، فَصَاحِبُهُ كُلَّ سَاعَةٍ يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِنْ جُرُبَّانَةٍ ، وَمِنْ تَصَانِيفِهِ أَيْضًا : كِتَابٌ سَمَّاهُ انْتِهَازَ الْفُرَصِ فِى تَفْسِيرِ الْمَقْلُوبِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، قَرَأَهُ عَلَيْهِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ بُرْهَانٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ :

---

(١) برح به بتشديد الراء : أجهده وآذاه أذى شديدا . (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل « وكان » (٣) جربانات القميص : جيوبه

لِيَهْنِكَ الأَهْنَآنِ المُلْكُ وَالعُمُرُ
مَا سَيَّرَ الأَسْيَرَانِ الشِّعْرُ وَالسَّمَرُ
وَطَالَ عُمْرُ سَنَاكَ المُسْتَضَاء بِهِ
مَا عُمِّرَ الأَبْقَيَانِ الكُتْبُ وَالسِّيَرُ
يَفْدِي الوَرَى كُلُّهُمْ كَافِي الكُفَاةِ فَقَدْ
صَفَا بِهِ الأَفْضَلَانِ العَدْلُ وَالنَّظَرُ
لَهُ مَكَارِمُ لَا تُحْصَى مَحَاسِنُهَا
أَيُحْسَبُ الأَكْثَرَانِ الرَّمْلُ وَالشَّجَرُ (١)؟
لِكَيْدِهِ النَّصْرُ مِنْ دُونِ الحُسَامِ وَإِنْ
تَمَرَّدَ الأَشْجَعَانِ التُّرْكُ وَالخَزَرُ
مَا سَارَ مَوْكِبُهُ إِلَّا وَيَخْدُمُهُ
فِي سَيْرِهِ الأَسْعَيَانِ الفَتْحُ وَالظَّفَرُ
وَإِنْ أَمَرَّ عَلَى طِرْسٍ أَنَامِلَهُ
أَغْضَى لَهُ الأَبْهَجَانِ الوَشْيُ وَالزَّهَرُ
دَامَتْ تُقَبِّلُهَا صِيدُ المُلُوكِ (٢) كَمَا
يُقَبَّلُ الأَكْرَمَانِ الرُّكْنُ وَالحَجَرُ

(١) همزة الاستفهام للنفي، أى لا قيمة لكثرة الرمل والشجر بجانب مكارمه التى لا تحصى . (٢) صيد بكسر الصاد جمع الأصيد : وهو الملك «عبد الخالق»

٨٠ — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ *

محمد بن على الهروى

أَبُو سَهْلٍ الْهَرَوِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، وُلِدَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَخَذَ عَنْ صَاحِبِ الْغَرِيبَيْنِ أَبِي عُبَيْدٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَرَوِيِّ ، وَرَوَى عَنْهُ وَعَنْ أَبِي يَعْقُوبَ النَّجِيْرَمِيِّ وَأَبِي أُسَامَةَ جُنَادَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّحْوِيِّ رَئِيسِ الْمُؤَذِّنِينَ بِجَامِعِ عَمْرٍو ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : شَرْحُ الْفَصِيحِ وَمُخْتَصَرُهُ ، وَكِتَابُ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ ، كِتَابُ أَسْمَاءِ السَّيْفِ . مَاتَ بِمِصْرَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَالِثَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

٨١ — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ *

محمد بن على المراغى

أَبُو بَكْرٍ الْمَرَاغِيُّ النَّحْوِيُّ ، قَرَأَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الزَّجَّاجِ ، وَكَانَ عَالِماً أَدِيباً أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ زَمَناً طَوِيلًا ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : الْمُخْتَصَرُ فِي النَّحْوِ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْكِتَابِ « كِتَابِ سِيبَوَيْهِ » .

٨٢ — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ *

محمد بن على الدقيقى

أَبُو الْحَسَنِ الدَّقِيقِيُّ النَّحْوِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَثلاثمائةٍ، أخذ عن أبى الحسن الرُّمَّانىّ وغيره. وصنف المرشد فى النحو، وكتاب المسموع من كلام العرب وغير ذلك.

٨٣ — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ أَبِى مَرْوَانَ الأُمَوِىّ *

محمد بن على الأموى

ابن أخى المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الخليفة المروانى بالأندلس، كان أديباً فاضلاً شاعراً ومن شعره:

كَمْ تَصَابٍ أَرْدَفْتُهُ بِتَصَابٍ
وَاصْطِبَاحٍ وَصَلْتُهُ بِاغْتِبَاقِ (١)
وَكُئُوسٍ أَعْطَيْتُهَا بَدْرَ تِمٍّ
جَلَّ أَنْ يَعْتَرِيهِ نَقْصُ الْمِحَاقِ (٢)
وَغُصُونٍ جَنَيْتُ مِنْهَا ثِمَاراً لَمْ يَشِنْهَا تَسَاقُطُ الأَوْرَاقِ
زَمَنٌ لَوْ بَكَيْتُهُ حَسْبَ وَجْدِى
كُنْتُ أَبْكِيهِ مِنْ دَمِ الأَحْدَاقِ

وَقَالَ:

قَدْ رَضِيتُ الْهَوَى لِنَفْسِى خِلاًّ
وَرَأَيْتُ الْمَمَاتَ فِى الْحُبِّ سَهْلاً

(١) التصابى: الصبوة واللهو واللعب، ووصلته الخ: أى بشرب خمر العشى.

(٢) المحاق مثلثة الميم: آخر الشهر. وقيل: ثلاث ليال من آخره، وقيل: أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية، سمى به لأنه طلع مع الشمس فمحقته.

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج ثان.

وَتَذَلَّلْتُ لِلْحَبِيبِ وَعِزُّ الصَّبْـ ـبِّ فِى سُنَّةِ الْهَوَى أَنْ يَذِلَّا
بِأَبِى مَنْ أَحَلَّ قَتْلِى عَمْدًا وَمُبَاحٌ لِسَيِّدِى مَا اسْتَحَلَّا
سَوْفَ أَجْزِى الْحَبِيبَ بِالصَّدِّ وُدًّا
مُسْتَجَدًّا وَبِالْقَطِيعَةِ وَصْلَا
وَإِذَا مَا اسْتَزَادَ تِيهًا وَعُجْبًا زِدْتُ طَوْعًا لَهُ خُضُوعًا وَذُلَّا

وَقَالَ :

تَبَدَّتْ (١) بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ دِيَارُهَا
فَأَوْقَدَ نَارَ الْوَجْدِ فِى الْقَلْبِ نَارُهَا
كَأَنِّى بِأَنْفَاسِى اسْتَمَدَّتْ ضِرَامَهَا
وَعَنْ كَبِدِى الْحَرَّى تَلَظَّى اسْتِعَارُهَا (٢)
يَحِنُّ إِلَيْهَا الْقَلْبُ حَتَّى كَأَنَّمَا
إِلَيْهِ تَنَاهِيهَا وَمِنْهُ انْتِشَارُهَا

وَقَالَ

لَئِنْ وَعَدَتْنِى وَصْلَهَا وَصْلَ عَاتِبٍ
يُجَاحِدُنِى وَعْدِى وَيُنْكِرُنِى حَقِّى
فَأَفْضَلُ صَوْبِ الْغَيْثِ فِى الْأَرْضِ دَافِقٌ
وَأَبْلَغُهُ مَا جَاءَ بِالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ

(١) تبدت : ظهرت (٢) يريد أن نارها استمدت الاشتعال من أنفاسه ، وأنها زادت اشتعالا من كبده الحرى . « عبد الخالق »

فَإِنْ مَانَعَتْنِي فَضْلَ إِنْجَازِ مَوْعِدٍ
فَإِنَّ الْحَيَا الْمَمْنُوعَ أَشْهَى إِلَى الْخَلْقِ
فَلَا كَانَ لِي فِي الْأَرْضِ رِزْقٌ أَنَالُهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي نَيْلِ مَوْعِدِهَا رِزْقِي (١)

وَقَالَ :

وَمُخْتَطِفٍ لِلْعَيْنِ بِتُّ أَشِيمُهُ (٢)
مُخَالَسَةً وَاللَّيْلُ حَيْرَانُ مُطْرِقُ
سَرَى يَخْبِطُ الظَّلْمَاءَ حَتَّى كَأَنَّهُ
بِوَجْدِيَ يَسْرِي أَوْ بِقَلْبِيَ يَخْفِقُ

وَقَالَ :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ هُمُولُ دُمُوعِي
فِي التَّصَابِي وَغَيْرُ بِدْعٍ خُشُوعِي
لَيْسَ عِزِّي إِلَّا فَنَاءَ اعْتِزَازِي
وَارْتِقَائِي (٣) إِلَّا بَقَاءَ خُضُوعِي
وَبِحَسْبِي أَنِّي أُلَاقِي عَذُولِي
بِاصْطِبَارٍ عَاصٍ وَدَمْعٍ مُطِيعِ

(١) يريد لا أرضى برزق ، وأسأل الله أن يمنعه عنى إن لم يكن الرزق إنجاز موعدها ، إذ يرى أن رزقه فى نيل موعدها (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « أشيعه » بالعين لا بالميم . (٣) يريد لا عز إلا فى فناء عزته ، ولا رق إلا فى خضوعه لمن يحب . « عبد الخالق »

وَقَالَ :

وَلَمَّا حَمَى الشَّوْقُ الْمُبَرِّحُ نَاظِرِى
كَرَاهُ (١) حِذَاراً أَنْ يُرِينِى مِثَالَهُ
شَرِبْتُ عُقَاراً ذَكَّرَتْنِى بِرِيقِهِ (٢)
وَنَشْوَتُهَا أَهْدَتْ إِلَىَّ خَيَالَهُ
فَيَا نَشْوَةً كَانَتْ عَلَى الصَّبِّ نِعْمَةً
أَنَالَتْ يَدِى مَا لَمْ أُؤَمِّلْ نَوَالَهُ

وَقَالَ :

رَاجَعَهُ شَوْقُهُ فَحَنَّا وَشَفَّهُ شَجْوُهُ فَأَنَّا (٣)
وَسَالَ مِنْ دَمْعِهِ مَصُونٌ أَظْهَرَ مَا كَانَ مُسْتَكِنَّا
فَعَادَ فِيهِ الْهَوَى يَقِينًا وَكَانَ عِنْدَ الرَّقِيبِ ظَنَّا
لَوْ كَانَ يَلْقَى الَّذِى أُلَاقِى أَوْسَعَنِى رَحْمَةً وَحَنَّا

وَقَالَ :

بَيْنَ أَجْفَانِهَا وَبَيْنَ ضُلُوعِى نَازَعَتْنِى الْحَيَاةَ أَيْدِى الْمَنُونِ
لَسْتُ أَدْرِى أَعَنْ مَدَى طَرْفِهَا الْفَا
تِنِ مَوْتِى أَمْ طَرْفِيَ الْمَفْتُونِ ؟؟

(١) كراه : نومه ، وكراه مفعول حمى الثانى ، والمفعول الأول : ناظرى

(٢) فى الأصل « أنكرتنى بريقه » ولعل ماذكر أوفق (٣) الحنين : الشوق وشدة البكاء ، والأنين : التأوه من شدة الألم .

وَقَالَ :

يَا رَبِيعِى مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ جُدْ
تَ عَلَيْنَا كَمَا يَجُودُ الرَّبِيعُ
وَرْدُهُ ذَاهِبٌ وَوَرْدُكَ بَاقٍ
وَهُوَ سَمْحٌ بِهِ وَأَنْتَ مَنُوعُ
كُنْ شَفِيعِى (١) إِلَيْكَ يَا جَنَّةَ الْخُلْـ
ـدِ فَمَالِى غَيْرُ الْخُضُوعِ شَفِيعُ

« ٨٤ – مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى بْنِ سَعِيدٍ * »

محمد بن عمران المرزبانى

ابْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِىُّ . أَبُو عَبْدِ اللهِ الرَّاوِيَةُ الْأَخْبَارِىُّ الْكَاتِبُ ، كَانَ رَاوِيَةً صَادِقَ اللَّهْجَةِ ، وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ بِالرِّوَايَاتِ كَثِيرَ السَّمَاعِ ، رَوَى عَنِ الْبَغَوِىِّ وَطَبَقَتِهِ ، وَأَكْثَرُ رِوَايَتِهِ بِالْإِجَازَةِ لَكِنَّهُ يَقُولُ فِيهَا أَخْبَرَنَا ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا مِنْ خِيَارِ الْمُعْتَزِلَةِ .

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِىُّ : كَانَ الْمَرْزُبَانِىُّ يَضَعُ الْمِحْبَرَةَ وَقِنِّينَةَ النَّبِيذِ فَلَا يَزَالُ يَكْتُبُ وَيَشْرَبُ . وَقَالَ الْقَاضِى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِىٍّ الصَّيْمَرِىُّ : سَمِعْتُ الْمَرْزُبَانِىَّ يَقُولُ : كَانَ فِى

---

(١) فى الأصل : « كل شفيعى »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

دارى خمسون ما بين لحاف ودُواج (١) مُعدّة لأهل العلم الذين يبيتون عندى، وصنف كتباً كثيرة فى أخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر، وكان حسن الترتيب لما يصنفه، يقال إنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ، وُلد فى جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، وتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. وقال الخطيب: سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وله من التصانيف: أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز عشرة آلاف ورقة، أخبار أبى تمام نحو مائة ورقة، أخبار أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة أكثر من مائة ورقة، أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم نحو مائتى ورقة، أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً نحو خمسمائة ورقة، أخبار عبد الصمد بن المعذل الشاعر، أخبار محمد بن حمزة العلاف نحو مائة ورقة، أشعار النساء نحو ستمائة ورقة، أشعار الجن المتمثلين فيمن تمثل منهم بشعر أكثر من مائة ورقة، الأنوار والثمار فيما قيل فى الورد

(١) الدواج: بتخفيف الواو وتشديدها: اللحاف الذى يلبس.

وَالنَّرْجِسِ وَجَمِيعِ الْأَنْوَارِ مِنَ الْأَشْعَارِ وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ ، ثُمَّ ذِكْرُ الثِّمَارِ وَجَمِيعِ الْفَوَاكِهِ وَمَا جَاءَ فِيهَا ، مُسْتَحْسَنُ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، تَلْقِيحُ الْعُقُولِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ بَابٍ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ ، الرِّيَاضُ فِى أَخْبَارِ الْمُتَيَّمِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْمُخَضْرَمِينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ وَالْمُحْدَثِينَ ، شِعْرُ حَاتِمٍ الطَّائِىِّ ، كِتَابُ الْأَزْمِنَةِ أَلْفُ وَرَقَةٍ ، ذَكَرَ فِيهِ أَحْوَالَ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ وَالْحَرِّ وَالْغُيُومِ وَالْبُرُوقِ وَالرِّيَاحِ وَالْأَمْطَارِ ، وَأَوْصَافَ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ وَطَرَفًا مِنَ الْفَلَكِ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَسِنِينِهِمْ وَمَا يَلْحَقُ بِذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ ، كِتَابُ الْأَوَائِلِ فِى أَخْبَارِ الْفُرْسِ الْقُدَمَاءِ وَأَهْلِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ وَشَىْءٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ نَحْوُ أَلْفِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ الدُّعَاءِ نَحْوُ مِائَتَىْ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ ذَمِّ الْحُجَّابِ نَحْوُ مِائَتَىْ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ ذَمِّ الدُّنْيَا نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَأَخْبَارِ الزُّهَّادِ ، كِتَابُ الشِّعْرِ وَهُوَ جَامِعٌ لِفَضَائِلِهِ وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِ وَأَوْزَانِهِ وَعُيُوبِهِ ، وَأَجْنَاسِهِ وَضُرُوبِهِ وَمُخْتَارِهِ وَأَدَبِ قَائِلِيهِ وَمُنْشِدِيهِ ، وَبَيَانِ مَنْحُولِهِ وَمَسْرُوقِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كِتَابُ الْفَرَجِ نَحْوُ مِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ الْعِبَادَةِ

نَحْوُ أَرْبعمائةِ ورقةٍ ، كِتَابُ الْمُخْتَصَرِينَ نحْوُ مائةِ ورقةٍ ، كِتَابُ الْمَرَانِى نَحْوُ خمسمائةِ وَرقةٍ . كِتَابُ المَغَازِى ثلاثمائةِ وَرَقةٍ ، كِتَابُ نسخ الْعُهُودِ إِلَى الْقُضَاةِ نَحْوُ مائتَىْ ورقةٍ ، كِتَابُ الْهَدَايَا نحْوُ ثلاثمائةِ ورقةٍ ، كِتَابُ الْمَدِيحِ فِى الْوَلَائِمِ والدَّعَواتِ نحْوُ خمسمائةِ وَرقةٍ ، الْمُتَوَّجُ فى العَدْلِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ وَرَقةٍ ، الْمُرْشِدُ فى أَخْبَارِ الْمُتَكَلِّمِينَ نحْوُ مِائَةِ وَرَقةٍ ، الْمُسْتَطْرَفُ فى الْحُمْقِ وَالنَّوَادِرِ نحْوُ ثلاثمائةِ ورقةٍ ، الْمُشَرَّفُ فِى حِكَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآدَابِهِ وَمَوَاعِظِهِ وَوَصَايَاهُ ، الْمُفَصَّلُ فى الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ نحْوُ ثلاثمائةِ ورقةٍ ، الْمُزَخْرَفُ فى الإِخْوَانِ وَالأَصْحَابِ أَكْثَرُ مِنْ ثلاثمائةِ ورقةٍ ، الْمُعْجَمُ ذَكَرَ فِيهِ الشُّعَرَاءَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِيهِ نحْوُ خمسةِ آلافِ اسْمٍ أَلْفُ ورقةٍ ، المُقْتَبَسُ فى أَخْبَارِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ وَأَوَّلِ مَنْ تَكَلَّمَ فى النَّحْوِ وَأَخْبَارِ الْقُرَّاءِ وَالرُّوَاةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ نَحْوُ ثمانِينَ ورقة ، الْمُوَشَّحُ فِيمَا أَنْكَرَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى بَعْضِ الشُّعَرَاءِ مِنْ كَسْرٍ وَلَحْنٍ وَعُيُوبِ الشِّعْرِ ثلاثمائةِ وَرَقةٍ ، الْمُنِيرُ فى التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ نحْوُ أَرْبعمائةِ وَرَقةٍ ، الْمُفِيدُ فى أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ وَأَحْوَالِهِمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ وَدِيَانَاتِهِمْ وَنِحَلِهِمْ نَيِّفٌ وَخَمْسَةُ آلافِ وَرَقةٍ ،

الْمُوَثَّقُ فِى أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْمُخَضْرَمِينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَيِّفٌ وَخَمْسَةُ آلَافِ وَرَقَةٍ ، الْوَاثِقُ فِى وَصْفِ أَحْوَالِ الْغِنَاءِ وَأَخْبَارِ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ الْإِمَاءِ وَالْأَحْرَارِ وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ .

٨٥ — مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ *

محمد بن عمران الكوفى

أَبُو جَعْفَرٍ الْكُوفِىُّ النَّحْوِىُّ ، كَانَ يُؤَدِّبُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُعْتَزِّ وَكَانَ نَحْوِيًّا عَارِفًا بِالْقِرَاءَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ بَعِيدَ النَّظَرِ فِى الْبَوَادِرِ ، رُوِىَ أَنَّهُ حِينَ كَانَ يُؤَدِّبُ ابْنَ الْمُعْتَزِّ أَقْرَأَهُ يَوْمًا سُورَةَ وَالنَّازِعَاتِ وَقَالَ لَهُ : إِذَا سَأَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِى أَىِّ سُورَةٍ أَنْتَ ؟ فَقُلْ لَهُ : أَنَا فِى السُّورَةِ الَّتِى تَلِى سُورَةَ عَبَسَ ، فَلَمَّا سَأَلَهُ أَبُوهُ الْمُعْتَزُّ عَنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَنَا فِى السُّورَةِ الَّتِى تَلِى عَبَسَ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا ؟ فَقَالَ : مُؤَدِّبِى أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، وَثَّقَهُ الْحَافِظُ عَلِىُّ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ .

٨٦ — مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ *

محمد بن عمر

ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِيسَى بْنِ مُزَاحِمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقُوطِيَّةِ (١)

---

(١) القوطية اسم ابنة أحد ملوك القوط الذين كانوا بالأندلس ، وفدت على هشام بن —

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ج ثالث

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الإشبيليُّ الأَصلِ القُرْطبيُّ أَبُو بكرٍ اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ الأَدِيبُ الشَّاعِرُ ، كانَ أَعلمَ أَهلِ زمانِهِ باللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ إِماماً مُقَدَّماً فِيهِمَا ، وأَرْوَى أَهلِ عَصْرِهِ لِلأَشعارِ وَالْأَخبارِ لا يُشَقُّ فِي ذَلِكَ غُبارُهُ ، وَلا يُلحَقُ شَأْوُهُ [1] ، وَكانَ مَعَ ذَلِكَ فَقِيهاً مُتَمَكِّناً حافِظاً لِلْحَدِيثِ وَالآثارِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ أُصُولٌ يُرْجَعُ إِلَيْهَا فَلَمْ يَكُنْ ضابِطاً لِلرِّوايَةِ ، وَكانَ مَا يُسْمَعُ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ ، وَكانَ كَثِيراً مَا يُقْرَأُ عَلَيْهِ مَا لا رِوايَةَ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الضَّبْطِ وَالتَّصْحِيحِ ، وَكانَ مُضْطَلِعاً بِأَخْبارِ الأَنْدَلُسِ رَاوِيَةً لِسِيَرِ مُلُوكِهَا وَأُمَرائِهَا وَعُلَمائِهَا وَشُعَرائِهَا ، حافِظاً لِأَخْبارِهِمْ يُمْلِي ذَلِكَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ [2] ، وَكانَ أَكْثَرُ مَا يُؤْخَذُ عَنْهُ وَيُقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبُ اللُّغَةِ .

وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِيُّ الأَنْدَلُسَ اجْتَمَعَ بِهِ ، وَكانَ يُبالِغُ فِي تَقْدِيمِهِ وَتَعْظِيمِهِ حَتَّى قالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ الْحَكَمُ بْنُ

—— عبد الملك تشكو إليه ظلم عمها فى ميراثها فتزوجها عيسى بن مزاحم فولدت له إبراهيم جد صاحب الترجمة ، وكان عيسى من موالى عمر بن عبد العزيز وسافر معها إلى الأندلس ومعها كتاب من الخليفة إلى الخطاب الكلبي عامله بالأندلس فأنصفها من عمها وأقامت بالأندلس وغلب اسمها على ذريتها (١) أى لا يعارض ، وهو مثل يضرب للسابق المبرز ولمن لا قرن له يجاريه ، ويراد أنه بينه وبين من وراءه مسافة طويلة (٢) هذا كناية عن شدة حفظه وقوة ذاكرته . « عبد الخالق »

عَبْدِ الرَّحْمنِ : مَنْ أَنْبَلُ مَنْ رَأَيْتَهُ بِبَلَدِنَا فِي اللُّغَةِ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ ، وَمِمَّا كَانَ يَزِيدُ عِلْمَهُ وَفَضْلَهُ اتِّصَافُهُ بِالزُّهْدِ وَالتَّقْوَى وَالنُّسُكِ ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَنْظِمُ الشِّعْرَ بَالِغًا فِيهِ حَدَّ الإِجَادَةِ مَعَ الْإِحْسَانِ فِي الْمَطَالِعِ وَالْمَقَاطِعِ وَتَخَيُّرِ الْأَلْفَاظِ الرَّشِيقَةِ وَالْمَعَانِي الشَّرِيفَةِ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى النُّسُكِ وَالِانْفِرَادِ .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَعِيدِ بْنُ دُوسْتَ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْوَلِيدُ بْنُ بَكْرٍ الْفَقِيهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَحْيَى بْنَ هُذَيْلٍ الشَّاعِرَ زَارَ يَوْمًا ابْنَ الْقُوطِيَّةِ فِي ضَيْعَةٍ لَهُ بِسَفْحِ جَبَلِ قُرْطُبَةَ وَكَانَ مُنْفَرِدًا فِيهَا عَنِ النَّاسِ فَأَلْفَاهُ خَارِجًا مِنْهَا فَلَمَّا رَآهُ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ اسْتَبْشَرَ بِهِ ، فَبَادَرَهُ يَحْيَى بْنُ هُذَيْلٍ بِبَيْتٍ حَضَرَهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ فَقَالَ :

مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ
وَمَنْ هُوَ الشَّمْسُ وَالدُّنْيَا لَهُ فَلَكُ

فَتَبَسَّمَ وَأَجَابَهُ مُسْرِعًا بِقَوْلِهِ :

مِنْ مَنْزِلٍ يُعْجِبُ النُّسَّاكَ خَلْوَتُهُ
وَفِيهِ سَتْرٌ عَلَى الْفُتَّاكِ[1] إِنْ فَتَكُوا

(١) الفتاك : الفجار .

قَالَ ٱبْنُ هُذَيْلٍ : فَمَا تَمَالَكْتُ أَنْ قَبَلْتُ يَدَهُ إِذْ كَانَ شَيْخِي وَأُسْتَاذِي ، وَكَانَ الشِّعْرُ أَقَلَّ صَنَائِعِهِ لِكَثْرَةِ عُلُومِهِ وَغَرَائِبِهِ . سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ ٱبْنُ الْقُوطِيَّةِ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ وَٱبْنِ الْأَغْبَشِ وَأَبِي الْوَلِيدِ الْأَعْرَجِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ٱبْنِ مُغِيثٍ ، وَسَمِعَ بِقُرْطُبَةَ مِنْ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَسَمِعَ بِإِشْبِيلِيَةَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَرْقِ وَسَعِيدِ بْنِ جَابِرٍ وَحَسَنِ ٱبْنِ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَقِيَ أَكْثَرَ مَشَايِخِ عَصْرِهِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَأَكْثَرَ النَّقْلَ مِنْ فَوَائِدِهِمْ ، وَرَوَى عَنْهُ الشُّيُوخُ وَالْكُهُولُ وَطَالَ عُمُرُهُ ، فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْهُ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ ، وَمِنْ تَصَانِيفِهِ : كِتَابُ تَصَارِيفِ الْأَفْعَالِ وَهُوَ أَوَّلُ مُصَنَّفٍ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبِعَهُ ٱبْنُ الْقَطَّاعِ السَّعْدِيُّ فَوَضَعَ كِتَابَهُ عَلَى مِنْوَالِهِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ جَمَعَ فِيهِ فَأَوْعَى فَأَعْجَزَ مَنْ بَعْدَهُ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، وَفَاقَ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، وَلَهُ شَرْحُ أَدَبِ الْكُتَّابِ ، وَتَارِيخُ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ

مَاتَ ٱبْنُ الْقُوطِيَّةِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَقْتَ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِمَقْبَرَةِ قُرَيْشٍ ، وَالْقُوطِيَّةُ نِسْبَةٌ إِلَى الْقُوطِ ، وَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قُوطِ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ ،

كَانُوا بِالأَنْدَلُسِ مِنْ أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمِنْ شِعْرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْقُوطِيَّةِ :

ضُحَى أَنَاخُوا بِوَادِي الطَّلْحِ عِيسَهُمُ
فَأَوْرَدُوهَا عِشَاءً أَيَّ إِيرَادِ

أَكْرِمْ بِهِ وَادِيًا حَلَّ الْحَبِيبُ بِهِ
مَا بَيْنَ رَنْدٍ (١) وَخَابُورٍ وَفِرْصَادِ

يَا وَادِيًا سَارَ عَنْهُ الرَّكْبُ مُرْتَحِلًا
بِاللهِ قُلْ أَيْنَ سَارَ الرَّكْبُ يَا وَادِي؟

أَبِالْغَضَا نَزَلُوا أَمْ لِلِّوَى عَدَلُوا
أَمْ عَنْكَ قَدْ رَحَلُوا خُلْفًا لِمِيعَادِي؟؟

بَانُوا وَقَدْ أَوْرَثُوا جِسْمِي الضَّنَا وَكَأَنْ
كَانَ النَّوَى لَهُمُ أَوْلَى بِمِرْصَادِ

وَقَالَ :

ضَحِكَ الثَّرَى وَبَدَا لَكَ اسْتِبْشَارُهُ
وَاخْضَرَّ شَارِبُهُ وَطَرَّ عِذَارُهُ (٢)

وَرَنَتْ حَدَائِقُهُ وَآزَرَ نَبْتُهُ (٣)
وَتَبَسَّمَتْ أَنْوَارُهُ وَثِمَارُهُ

---

(١) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية ، والعود والآس والخابور كذلك شجر بالبادية ، والفرصاد : شجر التوت ، وقيل حمله . (٢) طر : طلع ، والعذار : جانب اللحية ، أي الشعر الذي يحاذي الأذن وبينه وبين الأذن بياض .

(٣) رنت : أدامت النظر إليه على التشبيه ، وآزر نبته : التف واشتد .

وَاهْتَزَّ قَدُّ الغُصْنِ لَمَّا أَنْ كُسِي وَرَقًا كَدِيبَاجٍ يَرُوقُ إِزَارُهُ
وَتَعَمَّمَتْ صُلْعُ الرُّبَى (١) بِنَبَاتِهَا وَتَرَنَّمَتْ فِي لَحْنِهَا أَطْيَارُهُ

﴿ ٨٧ – مُحَمَّدُ بْنُ وَاقِدٍ ﴾

محمد بن واقد الواقدي

الْوَاقِدِيُّ الْمَدَنِيُّ مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ ، أَحَدُ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ ، سَمِعَ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَالثَّوْرِيِّ وَمَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ بْنِ أَبِي ذُؤَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَكَاتِبُهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ ، وَكَانَ عَارِفًا بِرَأْيَيْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الْحَافِظُ : بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ الْمَدِينِيِّ قَالَ : كَانَ الْوَاقِدِيُّ يَرْوِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ غَرِيبٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ إِلَى حِفْظِهِ الْمُنْتَهَى فِي الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ وَالْوَقَائِعِ وَالْفِقْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَقِيَ الْوَاقِدِيُّ ابْنَ جُرَيْجٍ وَابْنَ عَجْلَانَ وَمَعْمَرًا وَثَوْرَ بْنَ يَزِيدَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : الْوَاقِدِيُّ أَمِينُ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : سَكَتُوا عَنْهُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّهُ عِنْدِي ثِقَةٌ مَا حَدَّثْتُ عَنْهُ . وَقَالَ

(١) صلع جمع أصلع : الذي ذهب شعر رأسه ، ويريد الربا التي صارت جرداء لا نبات فيها أو يبس نباتها .

مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ : وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ الْوَاقِدِيِّ ، وَقَالَ أَيْضاً : الْوَاقِدِيُّ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ .

وَقَالَ الْإِمَامُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : مَنْ قَالَ إِنَّ مَسَائِلَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي ذُؤَيْبٍ تُؤْخَذُ مِنْ أَوْثَقَ مِنَ الْوَاقِدِيِّ فَلَا تُصَدِّقْهُ . وَقَالَ الْحَافِظُ الدَّرَاوَرْدِيُّ[1] : الْوَاقِدِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ الْجُمَحِيُّ : الْوَاقِدِيُّ عَالِمُ دَهْرِهِ . وَقَالَ جَابِرُ ابْنُ كُرْدِيٍّ : سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ يَقُولُ : الْوَاقِدِيُّ ثِقَةٌ ، وَوَثَّقَهُ أَيْضاً أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ .

وَقَالَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ : قَدِمَ الْوَاقِدِيُّ بَغْدَادَ وَوُلِّيَ قَضَاءَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا ، وَهُوَ مِمَّنْ طَبَّقَ الْأَرْضَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا ذِكْرُهُ ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَى أَحَدٍ عَرَفَ الْأَخْبَارَ أَمْرُهُ ، وَسَارَتِ الرُّكْبَانُ بِكُتُبِهِ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ وَالطَّبَقَاتِ وَأَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَحْدَاثِ[2] الْكَائِنَةِ فِي وَقْتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ[3] ، وَكُتُبِ الْفِقْهِ وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ جَوَاداً مَشْهُوراً بِالسَّخَاءِ « انْتَهَى » . وَسُئِلَ مَعْنٌ الْقَزَّازُ عَنِ الْوَاقِدِيِّ فَقَالَ : أَنَا أُسْأَلُ عَنِ الْوَاقِدِيِّ ؟ وَالْوَاقِدِيُّ يَسْأَلُ عَنِّي ، يَعْنِي تَحَرِّيَ الْوَاقِدِيِّ فِي مَعْرِفَةِ الرِّجَالِ .

(١) نسبة إلى دراورد : قيل إنها قرية بخراسان ، وقيل موضع بفارس

(٢) أي الحوادث (٣) الضمير للمصطفى عليه الصلاة والسلام .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَعَّفَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ كَابْنِ مَعِينٍ وَأَبِي حَاتِمٍ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ عَدِيٍّ وَابْنِ رَاهَوَيْهِ وَالدَّارَقُطْنِيِّ ، أَمَّا فِي أَخْبَارِ النَّاسِ وَالسِّيَرِ وَالْفِقْهِ وَسَائِرِ الْفُنُونِ فَهُوَ ثِقَةٌ بِإِجْمَاعٍ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ وَلَّاهُ الْقَضَاءَ بِشَرْقِيِّ بَغْدَادَ ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْمَأْمُونُ الْقَضَاءَ بِعَسْكَرِ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ يُكْرِمُ جَانِبَهُ وَيُبَالِغُ فِي رِعَايَتِهِ ، وَكَتَبَ الْوَاقِدِيُّ إِلَى الْمَأْمُونِ مَرَّةً يَشْكُو ضَائِقَةً رَكِبَهُ بِسَبَبِهَا دَيْنٌ وَعَيَّنَ مِقْدَارَهُ ، فَوَقَّعَ الْمَأْمُونُ عَلَى قِصَّتِهِ بِخَطِّهِ : فِيكَ خَلَّتَانِ : سَخَاءٌ وَحَيَاءٌ ، فَالسَّخَاءُ أَطْلَقَ يَدَيْكَ بِتَبْذِيرِ مَا مَلَكْتَ ، وَالْحَيَاءُ حَمَلَكَ عَلَى أَنْ ذَكَرْتَ لَنَا بَعْضَ دَيْنِكَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِضِعْفِ مَا سَأَلْتَ ، وَإِنْ كُنَّا قَصَّرْنَا عَنْ بُلُوغِ حَاجَتِكَ فَبِجِنَايَتِكَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَإِنْ كُنَّا بَلَغْنَا بُغْيَتَكَ فَزِدْ فِي بَسْطَةِ يَدِكَ ، فَإِنَّ خَزَائِنَ اللهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَيَدَهُ بِالْخَيْرِ مَبْسُوطَةٌ ، وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي حِينَ كُنْتَ عَلَى قَضَاءِ الرَّشِيدِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزُّبَيْرِ : يَا زُبَيْرُ ، إِنَّ مَفَاتِيحَ الرِّزْقِ بِإِزَاءِ الْعَرْشِ ، يُنْزِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْعِبَادِ أَرْزَاقَهُمْ عَلَى قَدْرِ نَفَقَاتِهِمْ ، فَمَنْ كَثَّرَ كُثِّرَ لَهُ ، وَمَنْ قَلَّلَ قُلِّلَ عَلَيْهِ » . قَالَ الْوَاقِدِيُّ : نَسِيتُ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ تَذْكِيرُهُ لِي بِهِ أَعْجَبَ مِنْ صِلَتِهِ .

وعَنِ ابْنِ أَبِي الأَزْهَرِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ الدَّارِيُّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ: كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِمِيٌّ وَكُنَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَنَالَتْنِي ضِيقَةٌ شَدِيدَةٌ وَحَضَرَ الْعِيدُ فَقَالَتِ امْرَأَتِي: أَمَّا نَحْنُ فِي أَنْفُسِنَا فَنَصْبِرُ عَلَى الْبُؤْسِ وَالشِّدَّةِ، وَأَمَّا صِبْيَانُنَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قَطَعُوا قَلْبِي رَحْمَةً لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ صِبْيَانَ الْجِيرَانِ قَدْ تَزَيَّنُوا فِي عِيدِهِمْ وَأَصْلَحُوا ثِيَابَهُمْ وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الثِّيَابِ الرَّثَّةِ، فَلَوِ احْتَلْتَ بِشَيْءٍ نَصْرِفُهُ فِي كُسْوَتِهِمْ قَالَ: فَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ التَّوْسِعَةَ عَلَيَّ بِمَا حَضَرَ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ كِيسًا مَخْتُومًا ذَكَرَ أَنَّ فِيهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارِي إِذْ كَتَبَ إِلَيَّ الصَّدِيقُ الْآخَرُ يَشْكُو مِثْلَ مَا شَكَوْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ الْكِيسَ بِحَالِهِ، وَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَقَمْتُ فِيهِ لَيْلِي مُسْتَحْيِيًا مِنَ امْرَأَتِي، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَأَخْبَرْتُهَا بِمَا فَعَلْتُ اسْتَحْسَنَتْ مَا كَانَ مِنِّي وَلَمْ تُعَنِّفْنِي عَلَيْهِ. فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ وَافَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيُّ وَمَعَهُ الْكِيسُ كَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لِي: أَصْدِقْنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ فِيمَا وَجَّهْتُ إِلَيْكَ، فَعَرَّفْتُهُ الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّكَ وَجَّهْتَ إِلَيَّ وَمَا أَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ، وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ الْمُوَاسَاةَ فَوَجَّهَ

إِلَى كِيسِى بِخَاتَمِي ، قَالَ الْوَاقِدِيُّ : فَتَقَاسَمْنَا الْكِيسَ أَثْلَاثًا وَنَمَى الْخَبَرُ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَدَعَانِي فَشَرَحْتُ لَهُ الْخَبَرَ ، فَأَمَرَ لَنَا بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَلْفَا دِينَارٍ ، وَلِلْمَرْأَةِ أَلْفُ دِينَارٍ .

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكُتُبُهُ أَكْثَرُ مِنْ حِفْظِهِ ، وَحِفْظِي أَكْثَرُ مِنْ كُتُبِي . وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ : لَمَّا تَحَوَّلَ الْوَاقِدِيُّ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ يُقَالُ : إِنَّهُ حَمَلَ كُتُبَهُ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةِ وِقْرٍ [1] ، وَقِيلَ كَانَ لَهُ سِتُّمِائَةِ قِمَطْرٍ [2] كُتُبٍ ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ عَنْ سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ عَامًا وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الْخَيْزُرَانِ . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الِاخْتِلَافِ يَحْتَوِي عَلَى اخْتِلَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ فِي الشُّفْعَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعُمْرَى [3] وَالرُّقْبَى [4] وَالْوَدِيعَةِ

---

(١) الوقر بالكسر : الحمل الثقيل ، وقيل هو عام وأكثر مايستعمل الوقر : فى الحمل الثقيل (٢) القمطر : ما يصان فيه الكتب يذكر ويؤنث ، وتشديد ميمه شاذ .

(٣) العمرى بالقصر : ما يجعل لك طول عمرك أو عمره ، وهي اسم من أعمره ، يقال « أعمرته الدار العمرى » أى جعلتها له يسكنها مدة عمرى أو عمره . ومنه قولهم : « ما الدنيا إلا عمرى ، ولا خلود إلا فى الأخرى . (٤) الرقبى : أن يعطى الرجل إنسانا ملكا فأيهما مات رجع الملك إلى ورثته . وهي اسم من المراقبة ، لأن كل واحد منهما يرقب موت صاحبه . وقيل فى التعريفات : الرقبى أن يقول : إن مت قبلك فهى لك ، وإن مت قبلى رجعت إلى .

وَعلى كُتُبِ الفِقْهِ البَاقِيَةِ ، كِتَابُ غلطِ الحَدِيثِ ، كِتَابُ السُّنَّةِ وَالجمَاعَةِ وذمِّ الهوَى ، كِتَابُ ذِكْرِ القُرْآنِ ، كِتَابُ الآدَابِ ، كِتَابُ التَّرْغِيبِ فِى عِلْمِ القُرْآنِ ، التَّارِيخُ الكَبِيرُ ، كِتَابُ التَّارِيخِ وَالمَغَازِى وَالبَعْثِ ، أَخْبَارُ مَكَّةَ ، كِتَابُ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ وَفَاةِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ السَّقِيفَةِ وَبَيْعَةِ أَبِى بَكْرٍ ، كِتَابُ سِيرَةِ أَبِى بَكْرٍ وَوَفَاتِهِ ، كِتَابُ الرِّدَّةِ وَالدَّارِ ، كِتَابُ السِّيرَةِ ، كِتَابُ أَمْرِ الحَبَشَةِ وَالفِيلِ ، كِتَابُ حَرْبِ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، كِتَابُ المَنَاكِحِ ، كِتَابُ يَوْمِ الجَمَلِ ، كِتَابُ صِفِّينَ ، كِتَابُ مَوْلِدِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ ، كِتَابُ مَقْتَلِ الحُسَيْنِ ، كِتَابُ فُتُوحِ الشَّامِ ، كِتَابُ فُتُوحِ العِرَاقِ ، كِتَابُ ضَرْبِ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ ، كِتَابُ مَرَاعِى قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِى القَطَائِعِ وَوَضْعِ عُمَرَ الدَّوَاوِينَ ، كِتَابُ الطَّبَقَاتِ ، تَارِيخُ الفُقَهَاءِ .

٨٨ — مُحَمَّدُ بْنُ فُتُوحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُمَيْدٍ *

محمد بن فتوح الأزدى

أَبُو عَبْدِ اللهِ الأَزْدِىُّ الحُمَيْدِىُّ (١) الحَافِظُ المُؤَرِّخُ الأَدِيبُ أَصْلُهُ مِنْ قُرْطُبَةَ ، وَوُلِدَ بِمَيُورْقَةَ جَزِيرَةٍ بِالأَنْدَلُسِ قَبْلَ

(١) يقال إنه قيل له الحميدى لأنه فى أجداده من اسمه حميد بالتصغير ، وقيل نسبة إلى حميد من ذرية عبد الرحمن بن عوف ، ولكن هذا القول مزيف لم يثبت « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ج ٢

العِشْرِينَ وَأَرْبعمِائَةٍ ، وَكَانَ يُحْمَلُ عَلَى الْكَتِفِ لِلسَّمَاعِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبعمِائَةٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ أَصْبَغُ ، وَتَفَقَّهَ بِابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ ، وَرَوَى عَنْهُ رِسَالَتَهُ وَمُخْتَصَرَ الْمُدَوَّنَةِ ، وَرَحَلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبعمِائَةٍ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ وَسَمِعَ بِمَكَّةَ ، وَقَدِمَ مِصْرَ فَسَمِعَ بِهَا مِنَ الضَّرَّابِ وَالْقُرَاعِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ سَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ وَلَازَمَهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مُصَنَّفَاتِهِ وَأَكْثَرَ مِنَ الْأَخْذِ عَنْهُ ، وَشُهِرَ بِصُحْبَتِهِ وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَظَاهَرْ بِذَلِكَ ، وَسَمِعَ بِإِفْرِيقِيَةَ وَدِمَشْقَ ، وَأَقَامَ بِوَاسِطَ مُدَّةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ وَاسْتَوْطَنَهَا ، وَرَوَى عَنِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ وَكَتَبَ عَنْهُ أَكْثَرَ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَمِيرُ الْحَافِظُ الْأَدِيبُ أَبُو نَصْرٍ عَلِيُّ بْنُ مَاكُولَا وَقَالَ : أَخْبَرَنَا صَدِيقُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيُّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّيَقُّظِ : لَمْ أَرَ مِثْلَهُ فِي عِفَّتِهِ وَنَزَاهَتِهِ وَوَرَعِهِ وَتَشَاغُلِهِ بِالْعِلْمِ . وَقَالَ بَعْضُ أَكَابِرِ عَصْرِهِ مِمَّنْ لَقِيَ الْأَئِمَّةَ : لَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِثْلَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيِّ فِي فَضْلِهِ وَنُبْلِهِ وَنَزَاهَتِهِ وَغَزَارَةِ عِلْمِهِ ، وَحِرْصِهِ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ فِي أَهْلِهِ ، وَكَانَ وَرِعًا ثِقَةً إِمَامًا فِي عِلْمِ

الْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ ، وَمَعْرِفَةِ مُتُونِهِ وَرُوَاتِهِ ، مُحَقِّقاً فِي عِلْمِ الْأُصُولِ عَلَى مَذْهَبِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، مُتَبَحِّراً فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ يَقُولُ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ يَجِبُ تَقْدِيمُ الاِهْتِمَامِ بِهَا : الْعِلَلُ وَأَحْسَنُ كِتَابٍ صُنِّفَ فِيهَا كِتَابُ الدَّارَقُطْنِيِّ، وَمَعْرِفَةُ الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ، وَأَحْسَنُ كِتَابٍ وُضِعَ فِيهِ كِتَابُ الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرِ بْنِ مَا كُولَا ، وَوَفَيَاتُ الشُّيُوخِ وَلَيْسَ فِيهَا كِتَابٌ . وَقَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ فِي ذَلِكَ كِتَاباً فَقَالَ لِي الْأَمِيرُ ابْنُ مَا كُولَا : رَتِّبْهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بَعْدَ أَنْ رَتِّبْهُ عَلَى السِّنِينَ .

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَرْخَانَ : فَشَغَلَهُ عَنْهُ الصَّحِيحَانِ إِلَى أَنْ مَاتَ، تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَكَانَ أَوْصَى مُظَفَّرَ بْنَ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ أَنْ يَدْفِنَهُ عِنْدَ قَبْرِ بِشْرٍ الْحَافِي ، فَخَالَفَ وَصِيَّتَهُ وَدَفَنَهُ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ الْبَرْزِ ، فَلَمَّا مَضَتْ مُدَّةٌ رَآهُ مُظَفَّرٌ فِي النَّوْمِ يُعَاتِبُهُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، فَنُقِلَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ إِلَى مَقْبَرَةِ بَابِ حَرْبٍ وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ بِشْرٍ ، وَوُجِدَ كَفَنُهُ حِينَ نُقِلَ وَبَدَنُهُ طَرِيًّا تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الطِّيبِ .

صَنَّفَ الْحُمَيْدِيُّ جَذْوَةَ الْمُقْتَبِسِ فِي أَخْبَارِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ

أَلَّفَهُ فِي بَغْدَادَ وَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ أَنَّهُ كَتَبَهُ مِنْ حِفْظِهِ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ، وَالْأَمَانِيُّ الصَّادِقَةُ، وَتَسْهِيلُ السَّبِيلِ إِلَى عِلْمِ التَّرْسِيلِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ لِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَكِتَابُ ذَمِّ النَّمِيمَةِ، وَالذَّهَبُ الْمَسْبُوكُ فِي وَعْظِ الْمُلُوكِ، وَكِتَابُ مَا جَاءَ مِنَ النُّصُوصِ وَالْأَخْبَارِ فِي حِفْظِ الْجَارِ، وَمُخَاطَبَاتُ الْأَصْدِقَاءِ فِي الْمُكَاتَبَاتِ وَاللِّقَاءِ، وَكِتَابُ مَنِ ادَّعَى الْأَمَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلِي[1] وَمَا صَحَّتْ بِهِ الْآثَارُ دِينِي
وَمَا اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَيْهِ بَدْءًا وَعَوْدًا فَهُوَ عَنْ حَقٍّ مُبِينِ
فَدَعْ مَا صَدَّ عَنْ هَذَا وَهَذَا تَكُنْ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ

وَقَالَ:

أَلِفْتُ النَّوَى حَتَّى أَنِسْتُ بِوَحْشَتِي
وَصِرْتُ بِهَا لَا بِالصَّبَابَةِ مُولَعَا
فَلَمْ أُحْصِ كَمْ رَافَقْتُ فِيهَا مُرَافِقًا
وَلَمْ أُحْصِ كَمْ يَمَّمْتُ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَا
وَمِنْ بَعْدِ جَوْبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُوَافِيَ مَصْرَعَا

(١) أى الذى أقول به وأهتدى بهديه

وَقَالَ :

لِقَاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا سِوَى الْهَذَيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالْ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالْ

﴿ ٨٩ – مُحَمَّدُ بْنُ فَرَجٍ * ﴾

محمد بن فرج الغسانى

أَبُو جَعْفَرٍ الْغَسَّانِيُّ الْكُوفِيُّ النَّحْوِيُّ، أَخَذَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ صَاحِبِ الْفَرَّاءِ. وَقَالَ الدَّانِيُّ: أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الدَّوْرِيِّ وَلَهُ عَنْهُ نُسْخَةٌ، وَرَوَى عَنْهُ الْحُرُوفَ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ الْمُنَادِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّقَّاشُ، وَأَبُو مُزَاحِمٍ الْخَاقَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

﴿ ٩٠ – مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ * ﴾

محمد بن القاسم الهاشمى

وَقِيلَ ابْنُ خَلَّادِ بْنِ يَاسِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ بِالْوَلَاءِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْعَيْنَاءِ، الْأَخْبَارِيُّ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ، رَوَى عَنِ ابْنِ عَاصِمٍ النَّبِيلِ، وَسَمِعَ مِنَ الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَالْعُتْبِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَحَدَّثَ عَنْهُ الصُّولِيُّ وَابْنُ نُجَيْحٍ وَأَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ وَآخَرُونَ، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا مِنْ ظُرَفَاءِ الْعَالَمِ آيَةً فِي الذَّكَاءِ وَاللَّسَنِ وَسُرْعَةِ الْجَوَابِ،

(*) ترجم له فى طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة .

فَمِنْ لَطَائِفِهِ: أَنَّهُ شَكَا تَأَخُّرَ أَرْزَاقِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ نَكُنْ كَتَبْنَا لَكَ إِلَى ابْنِ الْمُدَبِّرِ فَمَا فَعَلَ فِي أَمْرِكَ؟ قَالَ جَرَّنِي عَلَى شَوْكِ الْمَطْلِ [1]، وَحَرَمَنِي ثَمَرَةَ الْوَعْدِ، فَقَالَ: أَنْتَ اخْتَرْتَهُ. فَقَالَ: وَمَا عَلَيَّ وَقَدِ «اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا» فَمَا كَانَ مِنْهُمْ رَشِيدٌ «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» [2]، وَاخْتَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ كَاتِبًا فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ مُرْتَدًّا، وَاخْتَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ حَكَمًا فَحَكَمَ عَلَيْهِ. وَحَجَبَهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ مِنْهُ فَقَالَ: تُجَبِّهُنِي [3] مُشَافَهَةً وَتَعْتَذِرُ إِلَيَّ مُكَاتَبَةً؟. وَقَالَ: أَخْجَلَنِي ابْنٌ صَغِيرٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَاقَانَ قُلْتُ لَهُ: وَدِدْتُ أَنَّ لِي ابْنًا مِثْلَكَ قَالَ: هَذَا بِيَدِكَ، قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَحْمِلُ أَبِي عَلَى امْرَأَتِكَ فَتَلِدُ لَكَ ابْنًا مِثْلِي. وَبَلَغَهُ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ قَالَ: لَوْلَا أَنَّهُ ضَرِيرٌ لَنَادَمْنَاهُ [4]، فَقَالَ: إِنْ أَعْفَانِي مِنْ رُؤْيَةِ الْأَهِلَّةِ وَقِرَاءَةِ نَقْشِ الْفُصُوصِ صَلَحْتُ لِلْمُنَادَمَةِ. وَدَخَلَ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي قَصْرِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْجَعْفَرِيِّ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ

---

(١) المطل: التسويف بوعد الوفاء مرة بعد الأخرى (٢) الرجفة: مؤنث الراجف: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية، أو الرجفة: الزلزلة.

(٣) تجبهني: تؤنبني حتى أنكس رأسي (٤) لنادمناه: أي لاتخذناه نديماً لنا.

فى دَارِنَا هَذِهِ ؟ فقالَ : إِنَّ النَّاسَ بنَوا الدُّورَ فى الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ بَنَيْتَ الدُّنْيَا فى دَارِكَ ، فَاستحْسَنَ كَلَامَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ شُرْبُكَ لِلْخَمْرِ ؟ قَالَ : أَعْجِزُ عَنْ قَلِيلِهِ ، وَأَفْتَضِحُ عِنْدَ كَثِيرِهِ . فَقَالَ لَهُ : دَعْ هَذَا عَنْكَ وَنَادِمْنَا فقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مَكْفُوفٌ وَكُلُّ مَنْ فِى مَجْلِسِكَ يَخْدُمُكَ وَأَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أُخْدَمَ ، وَلَسْتُ آمَنُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىَّ بِعَيْنِ رَاضٍ وَقَلْبُكَ عَلَىَّ غَضْبَانُ ، أَوْ بِعَيْنِ غَضْبَانَ وَقَلْبُكَ رَاضٍ ، وَمَتَى لَمْ أُمَيِّزْ بَيْنَ هَذَيْنِ هَلَكْتُ ، فَأَخْتَارُ الْعَافِيَةَ عَلَى التَّعَرُّضِ لِلْبَلَاءِ . فَقَالَ : بَلَغَنِى عَنْكَ بَذَاءٌ [1] فِى لِسَانِكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ مَدَحَ اللهُ تَعَالَى وَذَمَّ فَقَالَ : « نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ « هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أُثْنِ صَادِقًا
وَلَمْ أَشْتُمِ النِّكْسَ [2] اللَّئِيمَ الْمُذَمَّمَا

فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ ؟
وَشَقَّ لِىَ اللهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا ؟

قَالَ : فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنَ الْبَصْرَةِ : قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : مَاؤُهَا أُجَاجٌ ، وَحَرُّهَا عَذَابٌ ، وَتَعَايِبُ فِى

(١) أى فحش فى لسانك (٢) النكس بكسر النون مشددة : الرجل الضعيف الدنىء الذى لاخير فيه .

الْوَقْتِ الَّذِي تَطِيبُ فِيهِ جَهَنَّمُ. قَرَأْتُ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى زَاهِرِ بْنِ طَاهِرٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْبَيْهَقِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّحْوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَيْنَاءِ يَقُولُ: أَنَا وَالْحَافِظُ وَضَعْنَا حَدِيثَ فَدَكَ [1] وَأَدْخَلْنَاهُ عَلَى الشُّيُوخِ فِي بَغْدَادَ فَقَبِلُوهُ إِلَّا ابْنَ شَيْبَةَ الْعَلَوِيَّ قَالَ: لَا يُشْبِهُ آخِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَوَّلَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، وَكَانَ أَبُو الْعَيْنَاءِ يُحَدِّثُ بِهَذَا بَعْدَ مَا كَانَ، وَكَانَ جَدُّ أَبِي الْعَيْنَاءِ الْأَكْبَرُ يَلْقَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَسَاءَ الْمُخَاطَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ بِالْعَمَى لَهُ وَلِوَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَكُلُّ مَنْ عَمِيَ مِنْ وَلَدِ أَبِي الْعَيْنَاءِ فَهُوَ صَحِيحُ النَّسَبِ فِيهِمْ.

وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: إِنَّمَا صَارَ أَبُو الْعَيْنَاءِ أَعْمَى بَعْدَ أَنْ نَيَّفَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ، وَخَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَاعْتَلَّتْ عَيْنَاهُ فَرُمِيَ فِيهِمَا بِمَا رُمِيَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْبَصِيرِ:

قَدْ كُنْتُ خِفْتُ يَدَ الزَّمَا ... نِ عَلَيْكَ إِذْ ذَهَبَ الْبَصَرْ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّكَ بِالْعَمَى ... تَغْنَى وَيَفْتَقِرُ الْبَشَرْ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ لِأَبِي الْعَيْنَاءِ: مَا أَشَدَّ مَا أَصَابَكَ

---

(١) فدك: اسم قرية بخيبر.

فى ذهابِ بصرِكَ؟ قال أُبْدأُ بالسّلامِ، وكُنتُ أُحِبُّ أنْ أكونَ أنا المُبْتدِىء، وأُحدِّثُ مَنْ لا يُقبِلُ على حديثى ولو رأيتُه لم أُقبِلْ عليهِ. فقالَ له ابنُ أبى دُؤادٍ: أمّا مَنْ بدأكَ بالسّلامِ فقدْ كافأتَه بجميلِ نيّتِكَ له، ومَنْ أعرضَ عنْ حديثِكَ إنّما أكسبَ نفسَهُ مِنْ سوءِ الأدبِ أكثرَ ممّا نالكَ منْ سوءِ الإعراضِ. وقالَ محمّدُ بنُ خلفِ بنِ المرزُبانِ: قالَ لى أبو العيناء: أتعرِفُ فى شعراءِ المُحْدَثينَ رشيداً الرّياحىَّ؟ قالَ: فقلتُ لا. قالَ: بلْ هوَ القائلُ فىَّ:

نَسَبٌ لابْنِ قاسمٍ ما تَراثٌ ... فهوَ للخيرِ صاحبٌ وقرينُ
أحْوَلُ العينِ والخلائقُ زيْنٌ ... لا احْوِلالٌ بها ولا تلوينُ
ليسَ للمرءِ شائناً حوَلُ العيْـ ... ـنِ إذا كانَ فعلُهُ لا يَشينُ

فقلتُ لهُ: وكُنتَ قبلَ العمى أحوَلَ؟ أمِنَ السّقمِ إلى البِلى؟ فقالَ: هذا[1] أظرفُ خبرٍ تعرُجُ بهِ الملائكةُ إلى السّماءِ اليومَ. وقالَ: أيّما أصلحُ، منَ السّقمِ إلى البِلى؟ أوْ حالُ العجوزِ أصلحَها اللهُ منَ القِيادةِ إلى الزّناءِ؟. وحمَلَه بعضُ الوُزراءِ على دابّةٍ فانتظرَ علفَها فلمّا أبطأَ عليهِ قالَ: أيُّها الوزيرُ، هذهِ الدّابّةُ حملتْنى عليها أوْ حملتُها علىَّ. وقالَ له المتوكِّلُ: هلْ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل: «هنا».

رَأَيْتَ طَالِبِيًّا حَسَنَ الْوَجْهِ ؟ قَالَ نعم : رَأَيْتُ بِبَغْدَادَ — مُنْذُ ثَلَاثِينَ — وَاحِداً قَالَ : نَجِدُهُ كَانَ مُؤَاجِراً (١) وَكُنْتَ أَنْتَ تَقُودُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَوَ يَبْلُغُ هَذَا مِنْ فَرَاغِي أَدَعُ مَوَالِيَّ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَأَقُودُ عَلَى الغُرَبَاءِ ؟ فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِلْفَتْحِ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَفِيَ مِنْهُمْ فَاشْتَفَى لَهُمْ مِنِّي . وَقَالَ لَهُ يَوْماً : إِنَّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَضْحَكُ مِنْكَ فَقَالَ : «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» . وَقَالَ لَهُ ابْنُ ثَوَابَةَ يَوْماً : كَتَمْتَ أَنْفَاسَ الرِّجَالِ (٢) فَقَالَ : حَيْثُ كَانُوا وَرَاءَ ظَهْرِكَ . وَقَالَ لَهُ جَنَاحُ بْنُ سَلَمَةَ يَوْماً : مَا ظُهُورُكَ وَقَدْ خَرَجَ تَوْقِيعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الزَّنَادِقَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَسْتَدْفِعُ اللهَ عَنْكَ وَعَنْ أَصْهَارِكَ . وَدَخَلَ يَوْماً عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالشِّطْرَنْجِ فَقَالَ : فِي أَيِّ الْحَيِّزَيْنِ أَنْتَ ؟ فَقَالَ فِي حَيِّزِ الْأَمِيرِ — أَيَّدَهُ اللهُ — وَغَلَبَ عُبَيْدُ اللهِ فَقَالَ : يَا أَبَا الْعَيْنَاءِ ، قَدْ غُلِبْنَا وَقَدْ أَصَابَكَ خَمْسُونَ رِطْلَ ثَلْجٍ فَقَامَ وَمَضَى إِلَى ابْنِ ثَوَابَةَ وَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ يَدْعُوكَ ، فَلَمَّا دَخَلَا قَالَ : أَيَّدَ اللهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ جِئْتُكَ بِجَبَلِ هَمَذَانَ وَمَاسَبَذَانَ ثَلْجاً تَأْخُذُ مِنْهُ مَاشِئْتَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ مُدَاعَبَةٌ فَسَمِعَ

(١) أي يؤجر نفسه (٢) يريد أن الرجال بحضرته لا يكادون تخرج أنفاسهم من الهيبة فكان الجواب ما ترى «عبد الخالق»

ابْنُ مُكْرَمٍ أَبَا الْعَيْنَاء يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : يَا رَبُّ سَائِلُكَ ، فَقَالَ يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ : وَمَنْ لَيْسَ سَائِلَهُ ؟ ! وَقَالَ لَهُ ابْنُ مُكْرَمٍ يَوْمًا يُعَرِّضُ بِهِ : كَمْ عَدَدُ الْمُكْدِينَ [1] بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : مِثْلُ عَدَدِ الْبَغَّائِينَ [2] بِبَغْدَادَ ، وَقَالَ لَهُ ابْنُ مُكْرَمٍ ذَاتَ يَوْمٍ : هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ غُلَامِي أَنْ يَدُوسَ بَطْنَكَ فَقَالَ : الَّذِي تُخَلِّفُهُ عَلَى عِيَالِكَ إِذَا رَكِبْتَ ، أَوِ الَّذِي تَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِكَ إِذَا نَزَلْتَ [3] ؟؟. وَقَالَ ابْنُ مُكْرَمٍ يَوْمًا : مَذْهَبِي الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِالتَّرْكِ . وَقِيلَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ وَالْعَبَّاسِ بْنِ رُسْتُمٍ ؟ فَقَالَ : هُمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ، إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا . وَقَالَ ابْنُ مُكْرَمٍ لَهُ يَوْمًا : أَحْسَبُكَ لَا تَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ ، فَقَالَ لَهُ وَيْلَكَ ، وَتَدَعُنِي امْرَأَتُكَ أَصُومُ [4] ؟ وَبَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ ابْنِ مُكْرَمٍ فَجَعَلَ ابْنُ مُكْرَمٍ يَفْسُو عَلَيْهِ فَقَامَ أَبُو الْعَيْنَاء وَصَعِدَ السَّرِيرَ فَارْتَفَعَ إِلَيْهِ فُسَاؤُهُ ، فَصَعِدَ إِلَى السَّطْحِ فَبَلَغَتْهُ رَائِحَتُهُ فَقَالَ : يَابْنَ الْفَاعِلَةِ ، مَا فُسَاؤُكَ إِلَّا دَعْوَةُ مَظْلُومٍ . وَقَدَّمَ إِلَيْهِ ابْنُ مُكْرَمٍ

---

(١) أي البخلاء في العطاء (٢) أي ذووا البغاء ، قال الله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا » هذا فالبغاء من هذا المعنى وهو يعرض بابن مكرم أنه من هذا النوع . (٣) هذا شديد فقد جعله « دبوتا أو مأبونا »

(٤) هذه أسوأ من سابقتها «عبد الخالق»

يَوْمًا جنبَ شِوَاء فلمَّا جسَّهُ قَالَ : لَيْسَ هَذَا جنبًا ، هَـذَا شَرِيحَةُ (١) قصب .

وَمَرَّ يَوْمًا عَلَى دَارِ عَدُوٍّ لَهُ فقَالَ : مَا خَبَرُ أَبِى مُحَمَّدٍ ؟ فقَالُوا كَمَا تُحِبُّ . قَالَ : فَمَالِى لَا أَسْمَعُ الرَّنَّةَ وَالصِّيَاحَ (٢) ؟ . وَوَعَدَهُ ابْنُ الْمُدَبِّرِ بِدَابَّةٍ فَلَمَّا طَالَبَهُ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أَحْمِلَكَ عَلَيْهَا فَتَقْطَعَنِى وَلَا أَرَاكَ ، فقَالَ : عِدْنِى أَنْ تَضُمَّ إِلَيْهَا حِمَارًا لِأُوَاظِبَ مُقْتَضِيًا ، وَوَعَدَهُ يَوْمًا أَنْ يُعْطِيَهُ بَغْلًا فَلَقِيَهُ فِى الطَّرِيقِ فقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْعَيْنَاء ؟ فقَالَ : أَصْبَحْتُ بِلَا بَغْلٍ فَضَحِكَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ . وَقَالَتْ لَهُ قَيْنَةٌ : هَبْ لِى خَاتَمَكَ وَأَذْكُرُكَ بِهِ ، فقَالَ لَهَا : اذْكُرِى أَنَّكِ طَلَبْتِهِ مِنِّى وَمَنَعْتُكِ .

وَلَمَّا اسْتُوزِرَ صَاعِدٌ عَقِبَ إِسْلَامِهِ صَارَ أَبُو الْعَيْنَاء إِلَى بَابِهِ فَقِيلَ لَهُ يُصَلِّى ، فَعَادَ فَقِيلَ يُصَلِّى فقَالَ : مَعْذُورٌ ، لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ . وَحَضَرَهُ يَوْمًا ابْنُ مُكْرَمٍ وَأَخَذَ يُؤْذِيهِ ثُمَّ قَالَ : السَّاعَةَ وَاللهِ أَنْصَرِفُ ، فقَالَ أَبُو الْعَيْنَاء : مَا رَأَيْتُ مَنْ يَتَهَدَّدُ بِالْعَافِيَةِ غَيْرَكَ . وَقَالَ لَهُ ابْنُ الْجَمَّازِ الْمُغَنِّى : هَلْ تَذْكُرُ سَالِفَ مُعَاشَرَتِنَا ؟ فقَالَ : إِذْ تُغَنِّينَا وَنَحْنُ نَسْتَعْفِيكَ . وَدَخَلَ عَلَى أَبِى الصَّقْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بُلْبُلٍ الْوَزِيرِ فقَالَ لَهُ : مَا الَّذِى أَخَّرَكَ عَنَّا

---

(١) أى جديلة من قصب يحمى بها الحمام (٢) يريد موته

يا أَبا العَيْناء؟ فقالَ: سُرِقَ حِمارِى، فقالَ وكيفَ سُرِقَ؟ قالَ: لَمْ أَكُنْ مَعَ اللِّصِّ فأُخبِرَكَ. قالَ: فَهَلَّا أَتيتَنا على غيرِهِ؟ قالَ: قعدَ بِي عَنِ الشِّراءِ قِلَّةُ يَسارِى، وكَرِهْتُ ذُلَّ المُكارِى[1] ومِنَّةَ العَوارِى[2]. وقيلَ لَهُ إِلى مَتَى تَمْدَحُ النّاسَ وتَهْجُوهُمْ؟ فقالَ: ما دامَ المُحْسِنُ يُحْسِنُ، والمُسِيءُ يُسِيءُ، وأَعُوذُ باللهِ أَنْ أَكُونَ كالعَقْرَبِ تَلْسِبُ[3] النَّبِيَّ والذِّمِّيَّ. ودَخَلَ على ابْنِ ثَوابَةَ عَقِبَ كَلامٍ جَرَى بَيْنَهُ وبَيْنَ الوَزيرِ أَبِي الصَّقْرِ بْنِ بُلْبُلٍ وكانَ ابْنُ ثَوابَةَ تَطاوَلَ على الوَزيرِ فقالَ لَهُ أَبو العَيْناءِ: بَلَغَنِي ما جَرَى بَيْنَكَ وبَيْنَ الوَزيرِ، وما مَنَعَهُ مِنِ اسْتِقْصاءِ الجَوابِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ فيكَ عِزًّا فَيَضَعَهُ، ولا مَجْدًا فَيَنْقُصَهُ، وبَعْدُ: فَإِنَّهُ عافَ لَحْمَكَ أَنْ يَأْكُلَهُ[4]، واسْتَقَلَّ دَمَكَ أَنْ يَسْفِكَهُ. فقالَ ابْنُ ثَوابَةَ: وما أَنتَ والدُّخُولُ بَيْنِي وبَيْنَ هؤُلاءِ يا مُكْدِى؟ فقالَ: لا تُنْكِرْ على ابْنِ ثَمانِينَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ وجَفاهُ سُلْطانُهُ أَنْ يُعَوِّلَ على إِخْوانِهِ فيأْخُذَ مِنْ أَمْوالِهِمْ، ولكِنْ أَشَدُّ مِنْ هذا مَنْ يَسْتَنْزِلُ الماءَ مِنْ أَصْلابِ الرِّجالِ فيَسْتَفْرِغُهُ فِي جَوْفِهِ، فيَقْطَعُ نَسْلَهُمْ ويُعَظِّمُ أَوْزارَهُمْ. فقالَ ابْنُ ثَوابَةَ: ما تَسابَّ اثْنانِ إِلَّا غَلَبَ أَلْأَمُهُما. فقالَ أَبو العَيْناءِ: وبِذا غَلَبْتَ أَبا الصَّقْرِ

---

(١) المكارى: المؤجر (٢) والعوارى جمع عارية (٣) تلسب: تلدغ

(٤) أى كرهه

بِالْأَمسِ فأَفْحَمَه. وخاصم يوماً علوياً فقال له العلوى: تخاصمني وقد أُمِرْتَ أَنْ تقولَ: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ فقال: لكنّي أقولُ الطيّبين الطاهرين فتخرجُ أنت. وقال له ابنُ الجهمِ يوماً: يا مخنثُ. فقال: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه».

ولمّا وكّل موسى بنُ عبدِ الملكِ الأصبهانيُّ بنجاحِ بنِ سلمةَ ليستأديَه ما عليه من الأموالِ عاقبه موسى فهلك ابنُ سلمةَ في المطالبةِ والعقابِ، فلقي بعضُ الرؤساءِ أبا العيناء وقال له: ما عندك من خبرِ نجاحِ بنِ سلمةَ؟ فقال أبو العيناء: «فوكزه موسى فقضى عليه» فبلغت كلمتُه موسى فلقيه وقال له: أبي تولعُ؟ واللهِ لأقوّمنّك، فقال له أبو العيناء: «أتريدُ أنْ تقتلني كما قتلتَ نفساً بالأمسِ»؟.

وقال له العباسُ بنُ رستم يوماً: أنا أكفرُ منك فقال له: لأنك تكفرُ ومعك خفيرٌ مثلُ عبيدِ اللهِ بنِ يحيى وابنِ أبي دؤادٍ، وأنا أكفرُ بلا خفارةٍ.

وقال أبو العيناء: مررتُ يوماً في دربٍ بسرَّ من رأى، فقال لي غلامٌ: يا مولاي، في الدربِ حملٌ سمينٌ والدربُ خالٍ، فأمرته أن يأخذه وغطّيته بطيلساني وصرتُ به إلى منزلي،

فلمّا كانَ مِنَ الغَدِ جاءَتني رُقعةٌ مِنْ بَعْضِ رُؤساءِ ذلكَ الدَّربِ مكتوبٌ فيها : جُعلتُ فِداكَ ، ضاعَ لنا بالأمسِ حَمَلٌ فأَخبرَني صِبيانُ دربِنا أنّكَ أنتَ أخذتَه فأْمُرْ بِرَدِّهِ متفضّلاً ، فكتبتُ إليهِ : يا سبحانَ اللهِ ! ما أعجبَ هذا الأمرَ ، مشايخُ دربِنا يزعُمونَ أنّكَ بغّاءٌ وأُكذّبُهم أنا ولا أُصدّقُهم ، وتُصدّقُ أنتَ صِبيانَ دربِكَ أنّي أخذتُ الحَمَلَ ؟ قالَ : فسكتَ ولم يُعاوِدْني .

وقالَ لهُ رجلٌ مِنْ بَني هاشِمٍ : بلَغَني أنّكَ بغّاءٌ فقالَ : وما أنكرتَ مِنْ ذلكَ معَ قولِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ : « مَوْلَى القومِ مِنهُمْ » فقالَ الهاشميُّ : إنّكَ دَعِيٌّ فِينا . قالَ : بغائِي صحّحَ نَسَبِي فيكُمْ . ولَقِيَهُ بعضُ الكُتّابِ في السَّحَرِ فقالَ مُتعجّباً مِنْ بُكورِهِ : يا أبا عبدِ اللهِ ، أتُبَكِّرُ في مِثلِ هذا الوقتِ ؟ فقالَ لهُ أبو العيناءِ : أتُشاركُني في الفِعلِ وتَنفرِدُ بالتَّعجُّبِ ؟ ودَعا أبو العَيْناءِ سائلاً لِيُعَشِّيَهُ فلَمْ يَدَعْ شيئاً إلّا أكَلَهُ فقالَ لهُ : يا هذا ، دعوتُكَ رحمةً فاترُكْني رحمةً . ووقفَ عليهِ رجلٌ مِنَ العامّةِ فلمّا أحسَّ بهِ قالَ : مَنْ هذا ؟ قالَ : رجلٌ مِنْ بَني آدمَ ، قالَ أبو العَيْناءِ : مرحباً بكَ — أطالَ اللهُ بقاءَكَ — ، كُنتُ أظنُّ أنَّ هذا النَّسلَ قدِ انقطعَ .

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَقَدْ وَعَدَهُ بِشَيْءٍ فَلَمْ يُنْجِزْهُ: ثِقَتِي بِكَ تَمْنَعُنِي مِنَ ٱسْتِبْطَائِكَ، وَعِلْمِي بِشُغْلِكَ يَدْعُونِي إِلَى تَذْكِيرِكَ، وَلَسْتُ آمَنُ – مَعَ ٱسْتِحْكَامِ ثِقَتِي بِطَوْلِكَ (١) وَالْمَعْرِفَةِ بِعُلُوِّ هِمَّتِكَ – ٱخْتِرَامَ (٢) الْأَجَلِ، فَإِنَّ الْآجَالَ آفَاتُ الْآمَالِ – فَسَحَ اللَّهُ فِي أَجَلِكَ – وَبَلَّغَكَ مُنْتَهَى أَمَلِكَ، وَالسَّلَامُ. وَغَدَّاهُ ٱبْنُ مُكْرَمٍ يَوْمًا فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عِرَاقًا (٣) فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ: قِدْرُكُمْ هَذِهِ طُبِخَتْ بِالشِّطْرَنْجِ. وَقَدَّمَ يَوْمًا إِلَيْهِ قِدْرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ قِدْرٌ أَمْ قَبْرٌ؟ وَأَكَلَ عِنْدَهُ يَوْمًا فَسُقِيَ عَلَى الْمَائِدَةِ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ثُمَّ ٱسْتَقَى فَسُقِيَ شَرْبَةً حَارَّةً فَقَالَ: لَعَلَّ مُزَمَّلَتَكُمْ (٤) تَعْتَرِيهَا حُمَّى الرِّبْعِ (٥).

وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَغَمَسَ أَبُو الْعَيْنَاءِ لُقْمَتَهُ فِي خَلٍّ كَانَ حَاضِرًا وَأَكَلَهَا فَتَأَذَّى بِالْحُمُوضَةِ وَفَطِنَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ فَجَعَلَ يَضْحَكُ، فَقَالَ لَا تَلُمْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ مَحَتْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مِنْ قَلْبِي.

---

(١) الطول بفتح الطاء: القدرة. (٢) اخترام الأجل: انقطاعه وانفصاله.

(٣) العراق: العظم أكل لحمه، فشبه ما قدم إليه لتفاهة ما أحاط باللحم من العظم مراقا، وكأنه قدم بعد أن عمل له حساب فشبه القدر بالشطرنج لما فيه من تدبر وتفكر

(٤) المزملة كمعظمة: مايبرد فيها الماء (٥) حمى الربع بكسر الراء مشددة: التي تأخذ المريض يوما وتتركه يومين، ثم تأتيه في اليوم الرابع « عبد الخالق »

وَأَكَلَ يَوْماً عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ طَعَاماً وَغَسَلَ يَدَهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ فَلَمْ تَنْقَ فَقَالَ: كَادَتْ هَذِهِ الْقِدْرُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا نَسَباً وَصِهْراً (١).

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ: إِنَّ أَبِي يُبْغِضُكَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لِي أُسْوَةٌ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

وَاعْتَرَضَهُ يَوْماً أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ. فَقَالَ: إِنِّي بِكَ لَعَارِفٌ، وَلَكِنْ عَهْدِي بِصَوْتِكَ يَرْتَفِعُ إِلَيَّ مِنْ أَسْفَلَ، فَمَا لَهُ يَنْحَدِرُ عَلَيَّ مِنْ عُلْوٍ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَاكِبٌ فَقَالَ: عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ فِي طِمْرَيْنِ (٣) لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللهِ فِي رَغِيفٍ لَأَعَضَّكَ بِمَا تَكْرَهُ.

وَدَقَّ إِنْسَانٌ عَلَيْهِ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ أَنَا، فَقَالَ أَنَا وَالدَّقُّ سَوَاءٌ (٤).

وَذَكَرَ يَوْماً وَلَدَ مُوسَى بْنِ عِيسَى فَقَالَ: كَأَنَّ أُنُوفَهُمْ قُبُورٌ نُصِبَتْ عَلَى غَيْرِ قِبْلَةٍ. وَقِيلَ لَهُ: لِمَ اتَّخَذْتَ خَادِمَيْنِ أَسْوَدَيْنِ؟ قَالَ: أَمَّا أَسْوَدَانِ فَلِئَلَّا أُتَّهَمَ بِهِمَا، وَأَمَّا خَادِمَانِ (٥) فَلِئَلَّا يُتَّهَمَا بِي.

---

(١) يريد أنه لا يزال بيده أثر الطعام فصار بينه وبين القدر نسب وصهر.

(٢) يريد أن أباه يبغض الرسول (٣) تثنية طمر بالكسر: الثوب الخلق، يريد فكيف أنت الآن على مركب (٤) يريد أن الدق والمتكلم لا فرق بينهما لأنه لم يعرف نفسه. (٥) كانت هذه الكلمة في الأصل: « خادمين ». « عبد الخالق »

وَقَالَ يَوْمًا لِابْنِ ثَوَابَةَ : إِذَا شَهِدَتْ عَلَى النَّاسِ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، شَهِدَ عَلَيْكَ أَنْتَنُ عُضْوٍ فِيكَ .

وَقَالَ لَهُ ابْنُ ثَوَابَةَ يَوْمًا : أَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ بِكُلِّ جَوَارِحِي ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : إِلَّا بِعُضْوٍ وَاحِدٍ — أَيَّدَكَ اللهُ — ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أَبِي دُؤَادٍ فَقَالَ : قَدْ وُفِّقَ فِي التَّحْدِيدِ عَلَيْهِ . وَسُئِلَ يَوْمًا عَنْ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ فَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ نَزَلَتْ آيَةُ الْبَقَرَةِ مَا ذَبَحُوا غَيْرَهُ .

وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعُقُوقَ بِالْبَصْرَةِ قَالَ لِي أَبِي يَا بُنَيَّ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِي فَقَالَ : « اُشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ » فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَتِ ، إِنَّ اللهَ ائْتَمَنَنِي عَلَيْكَ وَلَمْ يَأْتَمِنْكَ عَلَيَّ ، فَقَالَ تَعَالَى : « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ » . وَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ : اُعْذُرْنِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ عَنْكَ فَقَالَ لَهُ : إِذَا فَرَغْتَ لَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكَ ، يَعْنِي إِذَا عُزِلَ . وَوَضَعَ أَبُو الْعَيْنَاءِ كِتَابًا فِي ذَمِّ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ حَكَى فِيهِ : أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْفُضَلَاءِ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَكْرَهُ ابْنَ الْخَصِيبِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْفَدَامَةِ (١) وَالْجَهَالَةِ

(١) الفدم : العى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والغليظ الأحمق الجافى ، وفعله فدم ككرم فدامة وفدومة .

وَالتَّغَفُّلِ ، فَتَجَاذَبُوا أَطْرَافَ الْمُلَحِ فِي ذَمِّهِ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : كَانَ جَهْلُهُ غَامِراً لِعَقْلِهِ ، وَسَفَهُهُ قَاهِراً لِحِلْمِهِ . وَقَالَ آخَرُ : لَوْ كَانَ دَابَّةً لَتَقَاعَسَ [١] فِي عِنَانِهِ ، وَحَرَنَ فِي مَيْدَانِهِ . وَقَالَ آخَرُ : كُنْتُ إِذَا وَقَعَ لَفْظُهُ فِي سَمْعِي أَحْسَسْتُ النُّقْصَانَ فِي عَقْلِي .

وَقَالَ بَعْضُ كُتَّابِهِ : كُنْتُ أَرَى قَلَمَ ابْنِ الْخَصِيبِ يَكْتُبُ بِمَا لَا يُصِيبُ ، وَلَوْ نَطَقَ لَنَطَقَ بِنُوكٍ [٢] عَجِيبٍ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الْمُدَبِّرِ : كُنْتُ يَوْماً عِنْدَهُ فَقُدِّمَ الطَّعَامُ وَفِيهِ هِلْيَوْنٌ [٣] فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : أَرَاكَ رَاغِباً فِي الْهِلْيَوْنِ فَقَالَ : إِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْبَاهِ . وَقَالَ آخَرُ : لَوْ غَابَتْ عَنْهُ الْعَافِيَةُ لَنَسِيَهَا . وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ فِي آخِرِ هَذَا التَّصْنِيفِ : كَانَ ابْنُ الْخَصِيبِ إِذَا نَاظَرَ شَغَبَ ، وَرُبَّمَا رَفَسَ مَنْ نَاظَرَهُ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ ، وَخَفِيَ عَلَيْهِ الصَّوَابُ ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الْبَلَادَةُ ، وَعَرِيَ كَلَامُهُ عَنِ الْإِفَادَةِ ، وَكَانَ إِذَا دَنَوْتَ مِنْهُ غَرَّكَ ، وَإِنْ بَعُدْتَ عَنْهُ ضَرَّكَ ، لَحَيَاتُهُ لَا تَنْفَعُ ، وَمَوْتُهُ لَا يَضُرُّ .

وَقَالَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ : أَخْبَرَنَا الْأَزْهَرِيُّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا الصُّولِيُّ عَنْ أَبِي الْعَيْنَاءِ قَالَ :

---

(١) تقاعس : عثر وتأخر (٢) النوك : الحمق (٣) الهليون : نبات له قضبان رخصة فيها لبن وورق وزهره يميل إلى البياض قد يخلف بذرا دون القرطم صلبا ، الواحدة هليونة . « عبد الخالق »

سَبَبُ تَحَوُّلِي مِنَ الْبَصْرَةِ أَنِّي رَأَيْتُ غُلَامًا يُنَادَى عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا يُسَاوِي ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ، فَاشْتَرَيْتُهُ وَكُنْتُ أَبْنِي دَارًا فَأَعْطَيْتُهُ عِشْرِينَ دِينَارًا لِيُنْفِقَهَا عَلَى الصُّنَّاعِ، فَأَنْفَقَ عَشَرَةً وَاشْتَرَى بِعَشَرَةٍ مَلْبُوسًا لَهُ فَقُلْتُ مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَرْبَابَ الْمُرُوءَاتِ لَا يَعْتِبُونَ عَلَى غِلْمَانِهِمْ هَذَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَنَا اشْتَرَيْتُ الْأَصْمَعِيَّ وَلَمْ أَدْرِ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً سِرًّا مِنْ بِنْتِ عَمِّي فَاسْتَكْتَمْتُهُ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ دِينَارًا يَشْتَرِي بِهِ حَوَائِجَ وَسَمَكًا هَازَبَا (١) فَاشْتَرَى غَيْرَهُ فَغَاظَنِي فَقَالَ : رَأَيْتُ بُقْرَاطَ يَذُمُّ الْهَازَبَا فَقُلْتُ : يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ، لَمْ أَعْلَمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ جَالِينُوسَ، فَضَرَبْتُهُ عَشْرَ مَقَارِعَ فَأَخَذَنِي وَضَرَبَنِي سَبْعًا وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ، الْأَدَبُ ثَلَاثٌ، وَإِنَّمَا ضَرَبْتُكَ سَبْعًا قِصَاصًا . قَالَ : فَرَمَيْتُهُ فَشَجَجْتُهُ (٢) فَذَهَبَ إِلَى بِنْتِ عَمِّي وَقَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » وَمَنْ « غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » . إِنَّ مَوْلَايَ قَدْ تَزَوَّجَ وَاسْتَكْتَمَنِي فَقُلْتُ : لَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفِ مَوْلَاتِي الْخَبَرَ فَضَرَبَنِي وَشَجَّنِي . فَمَنَعَتْنِي بِنْتُ عَمِّي دُخُولَ الدَّارِ وَحَالَتْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مَا فِيهَا، وَمَا زَالَتْ كَذَلِكَ حَتَّى

---

(١) يقال سمك هازبا، وهازباه : نوع من السمك، وأضافة لفظ سمك إليه من إضافة الجنس للنوع، كما تقول لحم بقر . (٢) أى : جرحت رأسه وكسرته .

« عبد الخالق »

طلقتُ المرْأَةَ، وَسمّتهُ بنتُ عمى الغُلامَ النَّاصحَ، فلَمْ يُمْكنّى أَنْ أُكَلِّمهُ فقلتُ: أَعْتقُ هذا وَأَسْترِيحُ، فلمَّا أَعْتقتهُ لزمنى وقالَ: الآنَ وَجبَ حقّكَ عَلَيَّ، ثُمَّ إنّهُ أَرادَ الحجَّ فزوَّدْتهُ فغَابَ عِشْرِينَ يوْمًا وَرجعَ وقالَ: قُطِعَ الطّرِيقُ وَرأيْتُ حقّكَ قدْ وَجبَ. ثُمَّ أَرادَ الغزْوَ فجَهّزْتهُ، فلمَّا غابَ بِعْتُ مالى بالبصْرةِ وَخرجْتُ منْها خوْفًا أَنْ يرْجعَ.

وُلِدَ أَبُو العَيْناءِ بالأَهْوازِ سنَةَ إحدَى وتسْعينَ وَمائةٍ، وَتُوُفِّيَ ببغْدادَ فى جُمادَى الآخرةِ سنَةَ ثلاثٍ وَثمانِينَ وَمائتيْنِ، وَقيلَ سنَةَ اثْنتَيْنِ وَثمانِينَ وَمائتيْنِ.

وَقالَ ابْنهُ أَبُو جعْفرٍ: ماتَ أَبِى لِعشْرِ ليالٍ خلوْنَ منْ جُمادَى الأُولَى سنَةَ ثلاثٍ وَثمانِينَ وَمائتيْنِ.

وَمنْ شِعْرِهِ:

إنْ يأْخُذِ اللهُ منْ عيْنَيَّ نورَهُما فَفِي لِسانِي وَسَمْعِي مِنْهُما نُورُ
قلْبٌ ذكِيٌّ وَعقلٌ غيْرُ ذِي خطَلٍ وَفِي فمِي صارِمٌ كالسَّيْفِ مأْثُورُ

وَقالَ:

حَمِدْتُ إلٰهِي إذْ بَلانِي بِحُبِّها عَلَى حوَلٍ يُغْنِي عَنِ النَّظرِ الشَّذْرِ
نظَرْتُ إليْها وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي نظَرْتُ إليْهِ فَاسْترَحْتُ مِنَ العُذْرِ

وَقَالَ يَهْجُو أَسَدَ بْنَ جَوْهَرٍ :

تَعِسَ الزَّمَانُ لَقَدْ أَتَى بِعُجَابِ ... وَمَحَا رُسُومَ الظَّرْفِ وَالْآدَابِ

وَأَتَى بِكُتَّابٍ لَوِ انْبَسَطَتْ يَدِى ... فِيهِمْ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الْكُتَّابِ (١)

جِيلٌ مِنَ الْأَنْعَامِ إِلَّا أَنَّهُمْ ... مِنْ بَيْنِهَا خُلِقُوا بِلَا أَذْنَابِ

لَا يَعْرِفُونَ إِذَا الْجَرِيدَةُ جُرِّدَتْ ... مَا بَيْنَ عَيَّابٍ إِلَى عَتَّابِ (٢)

أَوْ مَا تَرَى أَسَدَ بْنَ جَوْهَرَ (٣) قَدْ غَدَا ... مُتَشَبِّهًا بِأَجِلَّةِ الْكُتَّابِ

فَإِذَا أَتَاهُ مُسَائِلٌ فِى حَاجَةٍ ... رَدَّ الْجَوَابَ لَهُ بِغَيْرِ جَوَابِ

وَسَمِعْتَ مِنْ غَثِّ الْكَلَامِ وَرَثِّهِ ... وَقَبِيحِهِ بِاللَّحْنِ وَالْإِعْرَابِ

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ هَبْكَ مِنْ بَقَرِ الْفَلَا ... مَا كُنْتَ تَغْلَطُ مَرَّةً بِصَوَابِ !

وَقَالَ فِى الْوَزِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... أَشْكِلْ وَزِيرَكَ إِنَّهُ رَكَّالُ (٤)

قَدْ أَحْجَمَ الْمُتَظَلِّمُونَ مَخَافَةً ... مِنْهُ وَقَالُوا مَا نَرُومُ مُحَالُ

---

(١) الكتاب التى فى أول البيت جمع كاتب ، وأما الثانية فالمراد بها مكان تعليم الصبية

(٢) الجريدة : سعفة طويلة رطبة أو يابسة تقشر من خوصها ، أو خيل لا رجالة فيها . أو الصحيفة يكتب فيها ، والعياب : الكثير العيب ، والعتاب : الكثير العتب .

(٣) جوهر مصروفة إلا أنها منعت من التنوين لضرورة الشعر .

(٤) من ركله برجله : ضربه ، فهو لهذا يرجو الخليفة ليضع فيه الشكال : « حبل تقيد به الدابة » . « عبد الخالق »

مَا دَامَ مُطْلَقَةً عَلَيْنَا رِجْلُهُ   أَوْ دَامَ لِلنَّزِقِ الْجَهُولِ مَقَالُ
قَدْ نَالَ مِنْ أَعْرَاضِنَا بِلِسَانِهِ[1]   وَلِرِجْلِهِ بَيْنَ الصُّدُورِ مَجَالُ
إِمْنَعْهُ مِنْ رَكْلِ الرِّجَالِ[2] وَإِنْ تُرِدْ   مَالًا فَعِنْدَ وَزِيرِكَ الْأَمْوَالُ

وَقَالَ :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ لِي فَرَسٌ   وَلَا عَلَى بَابِ مَنْزِلِي حَرَسُ
وَلَا غُلَامٌ إِذَا هَتَفْتُ بِهِ   بَادَرَ نَحْوِي كَأَنَّهُ قَبَسُ[3]
إِبْنِي غُلَامِي وَزَوْجَتِي أَمَتِي   مَلَّكَنِيهَا الْمُلَاكُ وَالْعُرُسُ[4]
غَنِيتُ بِالْيَأْسِ وَاعْتَصَمْتُ بِهِ   عَنْ كُلِّ فَرْدٍ بِوَجْهِهِ عَبَسُ[5]
فَمَا يَرَانِي بِبَابِهِ أَبَدًا   طَلْقَ الْمُحَيَّا سَمْحٌ وَلَا شَرِسُ[6]

وَقَالَ :

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ   شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَا
وَتَقَدَّمَ الْفُصَحَاءُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ   وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَالَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي فِي كِيسِهِ   لَرَأَيْتَهُ شَرَّ الْبَرِيَّةِ حَالَا

---

(١) أي عابنا وانتقص من عرضنا . (٢) الركل : الضرب بالرجل . (٣) القبس محركة مصدر : وشعلة من نار تؤخذ من معظم النار (٤) العرس بالتحريك : طعام الوليمة . (٥) العبس والعبوس : الكلح والتقطب (٦) المحيا : الوجه ، والشرس بفتح الراء : سوء الخلق ، ومنه فلان شرس بكسر الراء   « عبد الخالق »

إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ كَاذِبًا   قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالَا
وَإِذَا الْفَقِيرُ أَصَابَ قَالُوا لَمْ يُصِبْ
وَكَذَبْتَ يَا هَذَا وَقُلْتَ ضَلَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً   وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

وَقَالَ :

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا   فَكُلٌّ جَدِيدِهَا خَلَقُ
وَخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ   فَمَا أَدْرِي بِمَنْ أَثِقُ
رَأَيْتُ مَعَالِمَ الْخَيْرَا   تِ سُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ
فَلَا حَسَبٌ وَلَا أَدَبٌ   وَلَا دِينٌ وَلَا خُلُقُ

وَقَالَ :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرَكِ اللَّهُ أَنَّنِي
كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامُ قَلِيلُ
وَإِنِّي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُقْتِرٌ
جَوَادٌ وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي
لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ

إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطِّوَالِ فَضَلْتُهُمْ
بِطَوْلِي لَهُمْ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ(١)
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
إِذَا لَمْ يَزِنْ طُولَ الْجُسُومِ عُقُولُ
وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ جُسُومٍ طَوِيلَةٍ
تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ(٢)
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ   فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وَقَالَ :

يَاوَيْحَ هَذِي الْأَرْضِ مَا تَصْنَعُ   أَكُلَّ حَيٍّ فَوْقَهَا تَصْرَعُ ؟
تَزْرَعُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا أَتَوْا   أَشُدَّهُمْ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُ

٩١ — مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ *

محمد بن القاسم الأنباري

ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَيَّانَ بْنِ سَمَاعَةَ بْنِ فَرْوَةَ ابْنِ قَطَنِ بْنِ دِعَامَةَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ، النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ الْأَدِيبُ، كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِنَحْوِ الْكُوفِيِّينَ وَأَكْثَرِهِمْ حِفْظًا لِلُّغَةِ، وَكَانَ صَدُوقًا زَاهِدًا مُتَوَاضِعًا فَاضِلًا، أَدِيبًا ثِقَةً

---

(١) وفي البيت رواية أخرى

إذا كنت في القوم الطوال علوتهم   بعارفة حتى يقال طويل

ويريد من العارفة : المعروف . (٢) ويروى البيت : « وكائن رأينا من فروع كثيرة » هذا وهذه الأبيات رويت لغير أبي العيناء . « عبد الخالق »

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة

خَيِّراً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ حَسَنَ الطَّرِيقَةِ ، أَخَذَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ وَخَلْقٍ .

وَرَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَجَمَاعَةٌ وَكَتَبَ عَنْهُ وَأَبُوهُ حَيٌّ ، وَكَانَ يُمْلِي فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَبُوهُ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَمَرِضَ فَعَادَهُ أَصْحَابُهُ فَرَأَوْا مِنَ انْزِعَاجِ وَالِدِهِ أَمْراً عَظِيماً فَطَيَّبُوا نَفْسَهُ فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَنْزَعِجُ وَهُوَ يَحْفَظُ جَمِيعَ مَا تَرَوْنَ ، وَأَشَارَ إِلَى خِزَانَةٍ مَمْلُوءَةٍ كُتُباً .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَالِيُّ : كَانَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ يَحْفَظُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ بَيْتٍ شَاهِداً فِي الْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مِائَةً وَعِشْرِينَ تَفْسِيراً بِأَسَانِيدِهَا . وَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَرُوضِيُّ : قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي حِفْظِكَ فَكَمْ تَحْفَظُ ؟ فَقَالَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ صُنْدُوقاً (١) . قَالَ : وَسَأَلَتْهُ جَارِيَةُ الرَّاضِي يَوْماً عَنْ تَعْبِيرِ رُؤْيَا فَقَالَ : أَنَا حَاقِنٌ (٢) ثُمَّ مَضَى مِنْ يَوْمِهِ فَحَفِظَ كِتَابَ الْكَرْمَانِيِّ فِي التَّعْبِيرِ وَجَاءَ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ صَارَ مُعَبِّراً لِلرُّؤْيَا .

---

(١) كناية عن أنه كان يحفظ كثيراً ، حتى لو وضعت الكتب التي يحفظها في صناديق لملأت هذا القدر (٢) الحاقن : المجتمع بوله كثيراً ، ومنه المثل « لا رأى لحاقن » أي من اشتد احتقان بوله ، فلا يكون مخيراً بين حبسه وإطلاقه . مثل يضرب للمضطر الذي لا يملك أمر نفسه . « عبد الخالق »

وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ الدَّقَّاقُ : كَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ يُمْلِي كُتُبَهُ الْمُصَنَّفَةَ وَمَجَالِسَهُ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ حِفْظِهِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ . أَمَّا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ فَمَا رَأَيْنَا أَحْفَظَ مِنْهُ وَلَا أَغْزَرَ مِنْهُ عِلْمًا ، وَكَانَ يَحْفَظُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ صُنْدُوقًا وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَحْفَظْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ يُونُسُ النَّحْوِيُّ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى فِي الْحِفْظِ ، وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِلُّغَةِ وَالشِّعْرِ . وَحَكَى أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ : أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ إِمْلَائِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَصَحَّفَ اسْمًا أَوْرَدَهُ فِي إِسْنَادِ حَدِيثٍ ، إِمَّا كَانَ حَبَّانَ فَقَالَ حَيَّانَ . قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : فَأَعْظَمْتُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْ مِثْلِهِ [1] فِي فَضْلِهِ وَجَلَالَتِهِ وَهْمٌ وَهِبْتُ أَنْ أُوقِفَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِمْلَائِهِ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ لَهُ وَهَمَهُ [2] ، وَعَرَّفْتُهُ صَوَابَ الْقَوْلِ فِيهِ وَانْصَرَفْتُ ، ثُمَّ حَضَرْتُ الْجُمُعَةَ الثَّانِيَةَ مَجْلِسَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُسْتَمْلِي : عَرِّفْ جَمَاعَةَ الْحَاضِرِينَ أَنَّا صَحَّفْنَا الِاسْمَ الْفُلَانِيَّ لَمَّا أَمْلَيْنَا حَدِيثَ كَذَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَنَبَّهَنَا ذَلِكَ الشَّابُّ عَلَى

(١) أى ينقل عنه (٢) وهمه بالتحريك : خطأه وغلطه

الصَّوَابِ وَهُوَ كَذَا، وَعَرَّفَ ذَلِكَ الشَّابَّ أَنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ فَوَجَدْنَاهُ كَمَا قَالَ. (١)

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْأَصْبَهَانِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَمَّنْ آخُذُ عِلْمَ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ. وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْعَرُوضِيُّ: اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ عِنْدَ الرَّاضِي بِاللهِ عَلَى الطَّعَامِ وَكَانَ الطَّبَّاخُ قَدْ عَرَفَ مَا يَأْكُلُ أَبُو بَكْرٍ، وَشَوَى لَهُ قَلِيَّةً يَابِسَةً قَالَ: فَأَكَلْنَا نَحْنُ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَأَطَايِبَهُ وَهُوَ يُعَالِجُ تِلْكَ الْقَلِيَّةَ، ثُمَّ فَرَغْنَا وَأُتِينَا بِحَلْوَى فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا فَقُمْنَا وَمِلْنَا إِلَى الْخَيْشِ، فَنَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَيْشِ وَنِمْنَا نَحْنُ فِي خَيْشَيْنِ وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً إِلَى الْعَصْرِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ قَالَ: يَا غُلَامُ، الْوَظِيفَةَ، فَجَاءَهُ بِمَاءٍ مِنَ الْجُبِّ وَتَرَكَ الْمَاءَ الْمُزَمَّلَ بِالثَّلْجِ فَغَاظَنِي أَمْرُهُ وَصِحْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِي وَقَالَ: مَا قِصَّتُكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَدْبِيرِ نَفْسِهِ

(١) أولستم ترون الأمانة في العلم، فهذا الشيخ العظيم لا يبالي أن يعترف بخطئه، ولا يأنف من أن يرشد الناس إلى النهج القويم في الصدق والتثبت من الحقائق، ثم لا يعيبه أن ينسب الصواب إلى قائله ولو أنه مستمل عليه، فليتق الله من لا يذعن للحق.
«عبد الخالق»

لِأَنَّهُ يَقْتُلُهَا، وَلَا يُحْسِنُ عِشْرَتَهَا، فَضَحِكَ وَقَالَ لَهُ: فِي هَـذَا لَذَّةٌ وَقَدْ جَرَتْ لَهُ بِهِ عَادَةٌ وَصَارَ آلِفًا لِذَلِكَ فَلَنْ يَضُرَّهُ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لِمَ تَفْعَلُ هَـذَا بِنَفْسِكَ؟ فَقَالَ: أُبْقِي عَلَى حِفْظِي. وَيُحْكَى أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الرُّطَبَ وَيَشُمُّهُ وَيَقُولُ: أَمَا إِنَّكَ طَيِّبٌ وَلَـكِنْ أَطْيَبُ مِنْكَ مَا وَهَبَ اللهُ لِي مِنَ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ.

وَحُكِيَ أَنَّهُ مَرَّ يَوْمًا بِالنَّخَّاسِينَ فَرَأَى جَارِيَةً تُعْرَضُ حَسَنَةَ الصُّورَةِ كَامِلَةَ الْوَصْفِ قَالَ: فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِي ثُمَّ مَضَيْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاضِي بِاللهِ فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ إِلَى السَّاعَةِ؟ فَعَرَّفْتُهُ الْأَمْرَ وَأَخْبَرْتُهُ بِالْجَارِيَةِ فَأَمَرَ بِشِرَائِهَا وَحُمِلَتْ إِلَى مَنْزِلِي وَلَمْ أَعْلَمْ، فَجِئْتُ فَوَجَدْتُهَا فِي الْمَنْزِلِ فَقُلْتُ لَهَا: اعْتَزِلِي إِلَى الِاسْتِبْرَاءِ (١) وَكُنْتُ (٢) أَطْلُبُ مَسْأَلَةً قَدْ خَفِيَتْ عَلَيَّ فَاشْتَغَلَ قَلْبِي بِالْجَارِيَةِ فَقُلْتُ لِلْخَادِمِ: خُذْهَا وَامْضِ بِهَا إِلَى النَّخَّاسِ فَلَيْسَ يَبْلُغُ قَدْرُهَا أَنْ يَشْغَلَ قَلْبِي عَنْ عِلْمِي، فَأَخَذَهَا الْغُلَامُ فَقَالَتْ: دَعْنِي حَتَّى أُكَلِّمَهُ فَقَالَتْ لِي: أَنْتَ رَجُلٌ لَكَ مَحَلٌّ وَعَقْلٌ، فَإِذَا أَخْرَجْتَنِي وَلَمْ تُبَيِّنْ ذَنْبِي لَمْ آمَنْ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ بِي ظَنًّا قَبِيحًا فَعَرِّفْنِيهِ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَنِي،

---

(١) الاستبراء: انتظار مدة تبعد فيها الجارية عن الرجل حتى يتبين أنها لم تحمل من غيره (٢) فى الأصل «وكانت».

فَقُلْتُ : مَالَكِ عِنْدِى ذَنْبٌ غَيْرَ أَنَّكِ شَغَلْتِنِي عَنْ عِلْمِى ، فَقَالَتْ هَذَا سَهْلٌ عِنْدِى. قَالَ : فَبَلَغَ الرَّاضِى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِى فَقَالَ . لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ فِي قَلْبِ أَحَدٍ أَحْلَى مِنْهُ فِي قَلْبِ هَذَا الرَّجُلِ . وَلِابْنِ الْأَنْبَارِيّ شِعْرٌ لَطِيفٌ فَمِن ذَلِكَ قَوْلُهُ :

إِذَا زِيدَ شَرًّا زَادَ صَبْراً كَأَنَّمَا
هُوَ الْمِسْكُ مَا بَيْنَ الصَّلَايَةِ وَالْفِهْرِ (١)
فَإِنَّ فَتِيتَ الْمِسْكِ (٢) يَزْدَادُ طِيبُهُ
عَلَى السَّحْقِ وَالْحُرُّ اصْطِبَاراً عَلَى الضُّرِّ

وَمِنْ أَمَالِيهِ :

فَهَلَّا مَنَعْتُمْ — إِذْ مَنَعْتُمْ كَلَامَهَا —
خَيَالًا يُوَافِينِي عَلَى النَّأْىِ هَادِيَا
سَقَى اللهُ أَطْلَالًا بِأَكْثِبَةِ الْحِمَى (٣)
وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ مَا بِيَا
مَنَازِلُ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَّ جَنَازَتِى
لَقَالَ الصَّدَى يَا صَاحِبَىَّ انْزِلَا بِيَا

---

(١) الصلاية : مدق الطيب ، وقيل : حجر يسحق عليه الطيب أو غيره ، والفهر بكسر الفاء : الحجر قدر ما يدق به الجوز ، أو يملأ الكف ، ويستعمل عند الأطباء للحجر الرقيق الذى تسحق فيه الأدوية (٢) فتيت المسك : ما دق منه .

(٣) الطلل : الشاخص من آثار الديار ، ويجمع على أطلال ، وأكثبة جمع كثيب : وهو التل من الرمل .

وَأَمْلَى أَيْضًا :

وَبِالْهَضْبَةِ الْبَيْضَاءِ إِنْ زُرْتُ أَهْلَهَا
مَهًا (١) مُهْمَلَاتٌ مَا عَلَيْهِنَّ سَائِسُ

خَرَجْنَ لِخَوْفِ الزَّيْبِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ
عَفَائِفَ بَاغِي اللَّهْوِ مِنْهُنَّ آئِسُ (٢)

وَلِأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ مِنَ التَّصَانِيفِ : غَرِيبُ الْحَدِيثِ قِيلَ إِنَّهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ وَرَقَةٍ أَمْلَاهُ مِنْ حِفْظِهِ .

وَمِمَّا أَمْلَاهُ أَيْضًا مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ : كِتَابُ الْهَاءَاتِ نَحْوُ أَلْفِ وَرَقَةٍ ، وَشَرْحُ الْكَافِي نَحْوُ أَلْفِ وَرَقَةٍ ، وَكِتَابُ الْأَضْدَادِ وَمَا أُلِّفَ فِي الْأَضْدَادِ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَكِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ مَا صَنَّفَ أَحَدٌ أَتَمَّ مِنْهُ ، وَرِسَالَةُ الْمُشْكِلِ رَدَّ فِيهَا عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ وَأَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ ، وَكِتَابُ الْمُشْكِلِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ بَلَغَ فِيهِ إِلَى طَهَ وَأَمْلَاهُ سِنِينَ كَثِيرَةً وَلَمْ يُتِمَّهُ ، وَشَرْحُ الْجَاهِلِيَّاتِ سَبْعُمِائَةِ وَرَقَةٍ (٣) ، وَكِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ ، وَالْكَافِي فِي النَّحْوِ ، وَالزَّاهِرُ ، وَكِتَابُ اللَّامَاتِ ، وَشَرْحُ الْمُفَضَّلِيَّاتِ ، وَالْأَمَالِي ، وَأَدَبُ الْكَاتِبِ ، وَالْوَاضِحُ

(١) المها : بقر الوحش ويراد بها النساء (٢) عفائف جمع عفيفة : أى طاهرات الذيل لم يدنسن بريبة ، وآئس : قانط (٣) لا أدرى ما قدر الورقة فى اصطلاح ياقوت ، فهذا شرح المعلقات له بين أيدينا لا يبلغ هذا القدر . « عبد الخالق »

فِى النَّحْوِ ، وَالْمُوَضِّحُ فِى النَّحْوِ أَيْضًا ، وَشَرْحُ شِعْرِ النَّابِغَةِ ، وَشَرْحُ شِعْرِ الْأَعْشَى ، وَشَرْحُ شِعْرِ زُهَيْرٍ ، وَشِعْرِ الرَّاعِى ، وَالْمَقْصُورُ وَالْمَمْدُودُ ، وَكِتَابُ الْأَلِفَاتِ ، وَكِتَابُ الْهِجَاء وَالْمُجَالَسَاتُ ، وَكِتَابُ مَسَائِلِ ابْنِ شَنْبُوذٍ ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ مُصْحَفَ عُثْمَانَ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ وِلَادَةُ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِىِّ يَوْمَ الْأَحَدِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّى لَيْلَةَ عِيدِ النَّحْرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ا. هـ .

انتهى الجزء الثامن عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء التاسع عشر ﴾

ـ﴿ وأوله ترجمة ﴾ـ

﴿ محمد بن أبى القاسم البقالى الخوارزمى ﴾

فهرس

الجزء الثامن عشر

—

﴿ من كتاب معجم الأدباء ﴾

لياقوت الرومى